

الكشف والبيان

عن تفسير القرآن

١

مجتمع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٣/١٥٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



جهة - المملكة العربية السعودية
سابع محمد نصيف - محال الزلزل

ص ب ١٢٢٤٩٧ جدة ٢١٣٣٢

تلفاكس ٠١٢ - ٦٦٨٨٨٢٣

الكشف والبيان

عن تفسير القرآن

للإمام السَّخَّاءِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَالِي

المتوفى سنة ٤٢٧ هـ

أشرف على إخراجهم

د/صلاح باعثمان د/حسن الغزالي د/زيد مهارش د/أمين باشه

المجلد الأول

مؤلفه من تحقيق الكشف والبيان

دار التفسير

للشعر والتوزيع

جدة

المجلد الأول
مقدمة تحقيق الكشف والبيان

شكر وتقدير

يسرنا أن نتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير والعرفان إلى
مؤسسة الشيخ علي بن عبد الله الجفالي الخيرية
للدعم الكريم في إصدار هذا الكتاب
رئيس اللجنة العلمية ومدير دار التفسير
د. صلاح بن سالم باعثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة اللجنة العلمية المشرفة على إخراج الكتاب

الحمد لله الذي شَرَحَ بكتابه الصدور، وأخرج بنور هدايته عباده من الظلمات إلى النور، فأنازل بتلاوته بصائرهم، وهدى بشره حائرهم، وكتب الفوز والنجاة لمن صلحت بهدايته سرائرهم، وجعله لعباده فرقاناً بين الحق والباطل، فمن أقام أحكامه واتخذ إمامه صلحت له دُنياه وآخرته، ومن تنكبه وجعله خَلْفَ ظهره خاب وخسر وضل سعيه؛ إذ القرآن حجة الله البالغة، ومعجزته الخالدة، تحدى الله به الفصحاء فألجموا، واسمعه البلغاء فأفحموا، شهد له أعداء المنزل عليه بالحلاوة، ولروعة بيانه بالطلاوة، ومباينته للسحر والرجز والكهانة، لا تنقضي عجائبه، فهو للقلوب شفاء، وللإبصار ضياء، وللظمآن رواء، ولا يعكره وزد الواردين، ولا يخلق على كثرة الرد. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسول الله وخيرة خلق الله محمد البشير النذير، والسراج المنير، من أرسله ربه رحمة للعالمين، وحجة على السالكين، وأيده بالذكر الحكيم، فبينه أكمل بيان، انقياداً لأمر ربه له بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِثُبِينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فنقل عنه أصحابه ذلك البيان، وتناقله وُعاة العلم جيلاً إثر جيل، وطبقة بعد طبقة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورفع درجاتهم في عليين، وحشرنا معهم في زمرة العلماء العاملين والنصحة لدين الله وكتابه المبين الذين هم أهل الله وخاصته.

أما بعد: فإن كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» لأبي إسحاق الثعلبي المتوفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة من الهجرة النبوية، كتاب من كتب التفسير بالمأثور؛ إذ أودع فيه مصنفه ما أخرجه الأئمة المتقدمون مما جمعوا في التفسير من أحاديث رسول الله ﷺ، وأثار الصحابة والتابعين كل ذلك بإسناده إلى قائله رفعاً أو وقفاً، والحق أنه عمل صعب عسير لا ينقاد إلا لأمثال الثعلبي في غزارة علمه، وسعة إطلاعه واستقصائه، مع ذهن متوقد، وذاكرة وحفظ وإتقان، حتى صار لمن بعده مرجعاً؛ ومن ثم تبرز أهمية تحقيق هذا السفر المبارك، تحقيقاً يليق بمقام المؤلف والمؤلف.

ولما لم يكن هذا الأمر بالسهل اليسير في بدايته، كانت الخطوة الأولى هي البحث في المؤسسات الأكاديمية عمن قام بتحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً رصيناً فوجدنا أن جامعة الأزهر وفي كلية أصول الدين والدعوة قام قسم التفسير وعلوم القرآن بتحقيق أجزاء من التفسير لكن لم يتم إكمال التحقيق - في حينه - نظراً لأن النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية فيها أجزاء مفقودة فتوقف المشروع، بينما الكتاب قد حقق تحقيقاً علمياً كاملاً في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، فاتجهنا إلى هذا التحقيق المبارك، وتم الاتصال بأصحاب الفضيلة الباحثين أصحاب الرسائل الجامعية وأخذ موافقاتهم على المشروع، ومنذ ذلك الحين تم تشكيل لجتين:

الأولى: لجنة إشرافية متخصصة قامت بوضع منهج علمي لتنسيق الرسائل وإخراجها في شخصية كتاب واحد والإشراف على تنفيذ هذا المنهج وذلك بعد النظر في التجارب العلمية الماثلة والإفادة منها، والتشاور مع العلماء المبرزين في هذا الفن.

ويتمثل منهج الإخراج والتنسيق في الضوابط التالية:

١. مراجعة الرسائل ومقابلتها على المخطوطات.
٢. حذف فروق النسخ التي لا داعي لها وليست لها فائدة علمية.
٣. توحيد الرموز للمخطوطات التي اعتمد الباحثون عليها.
٤. تحويل الآيات القرآنية من الرسم الإملائي إلى الرسم العثماني.
٥. ترجمة رجال الثعلبي ورواته وتخريج الآثار بما يكفي للحكم عليها.
٦. بيان الغريب والتعريف بالأماكن والبلدان.
٧. اعتماد تصدير الحديث بالحكم عليه، ثم الحكم على الإسناد.
٨. حذف المكرر من تراجم وتخريج وغير ذلك مما لا يمس بالجهد الأكاديمي.
٩. نقل جميع التراجم في مجلد مستقل في آخر البحث مع الفهرس.
١٠. المراجعة الإملائية واللغوية للنص والتحقيق.

الثانية: لجنة تنفيذية قوامها مجموعة من المحترفين مهمتها تنفيذ مريثات اللجنة العلمية في إخراج الكتاب وفق المنهج السابق.

وزيادة في الحرص على رفع مستوى جودة العمل تم تشكيل لجنة من الأكاديميين المتخصصين في اللغة والتفسير والحديث لمراجعة هذا العمل مراجعة إضافية.

والجدير بالذكر أن هذا المشروع الضخم قد اعترضه بعض العقبات التي يسر الله تجاوزها ومنها:

١. تواجد عدد من الباحثين أصحاب الرسائل خارج المملكة بعد تخرجهم من الجامعة وعدم معرفة عناوينهم مما استغرق وقتاً طويلاً للتواصل معهم.
٢. الاضطرار إلى إعادة كتابة أكثر الرسائل العلمية نظراً لعدم وجود نسخ الكترونية لبعضها، وعدم صلاحية بعضها الآخر مما تطلب وقتاً ليس بالقصير.
٣. الأوضاع المضطربة التي عاشتها جمهورية مصر العربية بعد قيام ثورة ٢٥ يناير مما أدى إلى إعاقة العمل زمناً طويلاً.

وختاماً فإننا نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في موازين الحسنات، وأن يكون أثراً باقياً لكل من ساهم في تحقيقه وإخراجه وطباعته ونشره.

والحمد لله رب العالمين.

اللجنة العلمية المشرفة على طباعة الكتاب

كلمة الناشر

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد...

فإن أعظم ما تقضى فيه الأعمار وتجهد فيه العقول والأبدان طلب العلم، فهو حياة القلوب، وقنديل البصائر، به تبلغ منازل الأبرار.

وقد حثَّ ديننا الحنيف على طلب العلم ومدارسته، والنصوص القرآنية والنبوية في ذلك كثيرة، حتى أن العلماء أخذوا من هذه النصوص أن الاشتغال بالعلم مُرَجَّحٌ على نوافل العبادات. ومما يجعل لهذا الدين القوامه على حياة المسلمين، وتستمر هذه القوامه جيلا بعد جيل أن يهتم علماء هذا الدين بعلوم القرآن، وفي مقدمتها علم التفسير.

وإنَّ من خير الأعمال نشر هذه العلوم بين الناس، لذلك سعينا لإخراج هذا العمل العظيم والسفر الجليل، ((تفسير الكشف والبيان عن معاني القرآن)) للعلامة الثعلبي، محققا تحقيقا علميا أكاديميا مُحْكَمًا، فقد تم إنجازها في عدد كبير من الرسائل الجامعية، فنسقنا بينها بمنهج علمي دقيق، ثم قدمناه للطبع في صورة بهية، ولم ندخر جهدا ولا مالا، آمليْن أن ينفع الله به من اقتناه، وأن يكون باكورة خير لأعمالنا.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل،

الفصل الأول ترجمة المؤلف

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ولقبه، وكنيته.

المبحث الثاني: ولادته، وعصره، وتأثير الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية فيه.

المبحث الثالث: نشأته، وطلبه للعلم.

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الخامس: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

المبحث السادس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الثامن: وفاته.

المبحث الأول

اسمه ونسبه، ولقبه، وكنيته^(١)

هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم، النيسابوري، الشافعي، أبو إسحاق الثعلبي، ويقال: الثعالبي. المقرئ، المفسر، الواعظ، الأديب. يُنسب أبو إسحاق إلى مدينته التي عاش بها، نيسابور. ونيسابور: بفتح النون، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين، وفتح السين المهملة، وبعد الألف باء مضمومة منقوطة بواحدة، وفي آخرها الراء^(٢). وهذه المدينة العظيمة، كانت أحسن مدن خراسان، وكانت معقلًا عظيمًا من معاقل العلم، تضم بين جنباتها عددًا كبيرًا من العلماء والفضلاء. قال السمعاني^(٣): هي حسن مدينة وأجمعها للخيرات بخراسان. والمتنسب إليها جماعة لا

(١) مصادر ترجمته:

((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) (١٩٧)، ((اللباب في تهذيب الأنساب)) ٢٣٨/١، ((إنباه الرواة)) ١٥٤/١، ((معجم الأدباء)) ٣٦/٥، ((وفيات الأعيان)) ٩٩/١، ((طبقات الشافعية للأسنوي)) ١٥٩/١، ((الوافي بالوفيات)) ٣٠٧/٧، ((سير أعلام النبلاء)) ٤٣٥/١٧، ((تذكرة الحفاظ)) ١٠٩٠/٣، ((العبر)) ٢٥٥/٢، ((دول الإسلام)) ٢٥٤/١، ((مرآة الجنان)) ٤٦/٣، ((البداية والنهاية)) ٤٨٥/١٢، ((طبقات الشافعية)) للسبكي ٥٨/٤، ((طبقات الشافعية)) لابن قاضي شهبة ٢٣٣/١، ((شذرات الذهب)) ٣٨٩/٣، ((غاية النهاية)) ١٠٠/١، ((بغية الوعاة)) ٣٥٦/١، ((طبقات المفسرين)) للسيوطي (ص ١٧)، ((طبقات المفسرين)) للدواودي ٦٦/١، ((طبقات المفسرين)) للأدرنوي (٤٣٢)، ((مفتاح السعادة)) ٥٨/٢، ((كشف الظنون)) ١٤٩٦/٢، ((هدية العارفين)) ٧٥/٥، وهناك دراسة مستقلة عن الثعلبي وكتابه في رسالة دكتوراه بعنوان ((الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان)) من إعداد محمد أشرف مليباري، مقدمة إلى قسم التفسير بكلية القرآن وعلومه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. انظر فهرس المراجع.

(٢) ((الأنساب)) للسمعاني ٥٥/٥.

(٣) أبو سعد عبد الكريم بن الإمام الحافظ الناقد أبي بكر محمد بن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور بن عبد الجبار، التميمي السمعاني الخراساني المروزي. الإمام الحافظ الكبير الأواحد الثقة، صاحب المصنفات الكثيرة. ومنها كتابه ((الأنساب)) توفي سنة (٥٦٢).

((المنتظم)) ١٧٨/١٨، ((سير أعلام النبلاء)) ٤٥٦/٢٠، ((طبقات السبكي)) ١٨٠/٧.

يُحصون. وقد جمع الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ البيهقي^(١) تاريخ علمائها في ثمان مجلدات ضخمة^(٢).

وقال ياقوت الحموي^(٣): هي مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، لم أرَ فيما طوّفتُ من البلاد مدينة كانت مثلها^(٤).

وفي سبب تسميتها بنيسابور: ساق أبو علي الغساني في كتابه ((تقييد المهمل)) بسنده إلى أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني^(٥) أنه قال: إنَّما قيل لها نيسابور، لأنَّ سابور مرَّ بها، فلما نظر إليها قال: هذه تصلح أن تكون مدينة، فأمر بها، فقطع قصبها، ثم كبس، ثم بُنيت، فقيل لها: نيسابور، والنبي: القصب^(٦).

وكان فتحها زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد ابن خاله عبد الله بن عامر بن كُريز^(٧) في سنة تسع وعشرين من الهجرة.

وقيل إنها فتحت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأحنف بن قيس، وإنما انتقضت في أيام عثمان، فأرسل إليها عبد الله بن عامر، ففتحها ثانية^(٨).

(١) صاحب ((المستدرك على الصحيحين)). وهو شيخ أبي إسحاق الثعلبي. ستأتي ترجمته مفصلة في قسم التحقيق في الإسناد رقم (٣).

(٢) هذا الكتاب ((تاريخ نيسابور)) للحاكم. من أنفس وأعظم كتب التراجم. وقد أفاد منه العلماء كثيرًا. ومن أبرز هؤلاء السمعاني في ((أنسابه))، والإمام الذهبي في كتابه ((سير أعلام النبلاء)) وغيرهما. ولكن للأسف، فالكتاب مفقود. وقد عمل عليه عبد الغافر الفارسي ذيلاً بعنوان ((السياق لتاريخ نيسابور)) وهو مخطوط في تركيا كما في ((تاريخ التراث العربي)) لسزكين ١/ ٣٦٩، وقام إبراهيم بن محمد الصريفي، واختصر السياق في مصنف وأسماء ((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) وهو مطبوع انظر: فهرس المراجع. وعقد أيضاً الثعالبي (ت ٤٢٩) في كتابه ((يتيمة الدهر)) باباً في ذكر النيسابوريين، وباباً آخر في ذكر الطائرين على نيسابور من بلاد شتى.

انظر: يتيمة الدهر، الباب التاسع والعاشر ٤/ ٤٤١ - ٥٢٠.

(٣) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي النحوي الأخباري المؤرخ صاحب ((معجم البلدان)) وغيره. من المصنفات. توفي سنة (٦٢٦).

((التكملة لوفيات النقلة)) للمندري ٣/ ٢٤٩، ((سير أعلام النبلاء)) ٢٢/ ٣١٢.

(٤) ((معجم البلدان)) ٥/ ٣٣١.

(٥) ستأتي ترجمته في الإسناد (٨٩).

(٦) ((الأنساب)) ٥/ ٥٥٠. وانظر: ((وفيات الأعيان)) ١/ ٩٩.

(٧) عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن القرشي العبشمي، الأمير الذي افتتح إقليم خراسان. رأى النبي ﷺ وروى عنه حديثاً. وهو ابن خال عثمان. وأبوه عامر هو ابن عمه رسول الله ﷺ البيضاء بنت عبد المطلب. ولي البصرة لعثمان، ثم وفد على معاوية، فزوجه بابنته هند. توفي سنة (٥٩).

((سير أعلام النبلاء)) ٣/ ١٨، ((الإصابة)) ٥/ ١٤.

(٨) ((الأنساب)) ٥/ ٥٥٠، ((معجم البلدان)) ٥/ ٣٣١.

ويُلَقَّب أبو إسحاق بـ((الثعلبي)) بفتح الثاء المنقوطة بثلاث، وسكون العين المهملة، وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة^(١).

وهو لقب لا نسب، كما قال ابن الأثير وتبعه ابن كثير^(٢).

ويقال له أيضًا الثعالبي: بفتح الثاء المثلثة، والعين المهملة، وفي آخرها الباء الموحدة بعد الألف واللام^(٣).

وأما كنيته: فأبو إسحاق. ولم يُذكر بغيرها عند جميع من ترجم له إلا جلال الدين السيوطي، حيث كناه بأبي القاسم في كتابه ((طبقات المفسرين))^(٤) ولم أجد من ذكره بهذه الكنية غيره.

(١) ((الأنساب)) ٥/٥٥٠.

(٢) ((اللباب)) ١/٢٣٨، ((البداية والنهاية)) ١٢/٤٨٥.

(٣) ((اللباب)) ١/٢٣٨.

(٤) ص (٤٦).

المبحث الثاني ولادته، وعصره، وتأثير الحالة السياسية، والاجتماعية، والعلمية فيه

المطلب الأول: ولادته.

لم يحظ أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله عليه بترجمة واسعة، تبين لنا سنة ولادته، ونشأته، وطلبه للعلم.

فجميع الذين ترجموا له لم يذكروا سنة ولادته، فليس لنا سبيل إلى معرفة ذلك، إلا عن طريق كتاب الثعلبي ((الكشف والبيان)) نتلمس في ثناياه، ما يدلنا على تاريخ ولادته، ومكانها. وبعد البحث: وجدت أن أبا إسحاق رحمه الله يذكر تاريخ بعض سماعاته، وهذه السماعات كلها بعد سنة (٣٨٠هـ).

ومن هذه السماعات ما يلي:

أ- قال رحمه الله: أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس العبدوي في رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^(١).

ب- وقال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بن الفضل بقراءتي عليه في صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، فأقر به^(٢).

وحدث الثعلبي كذلك عن شيخه ابن المقرئ محمد بن إبراهيم بن علي الصبهاني، وابن مهران وقد توفيا سنة (٣٨١هـ)^(٣).

ونستنتج مما سبق أمرين:

الأول: أن الثعلبي طلب العلم، وبدأ بالسماع من الشيوخ، بعد سنة (٣٨٠هـ).

الثاني: أن ولادة الثعلبي كانت - بالتأكيد - قبل سنة (٣٧٥) وبعد سنة (٣٦٠هـ)، والله أعلم.

(١) انظر: ((الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان)) للمليباري ٤٠/١ والجزء الأخير المحقق من ((الكشف والبيان)) رسالة ماجستير، الإسناد رقم (١٨٥).

(٢) الإسناد (١٩٧).

(٣) ترجمتهما في رقم (٩١ - ٩٩).

المطلب الثاني عصره من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية وتأثره بذلك

لا شك أن الإنسان ابن بيئته وعصره، وهذه البيئة، ولذاك العصر، آثار تنطبع على الإنسان، وتؤثر فيه. وفقاً لمدى قابلية الشخص للتفاعل مع بيئته، واستجابته للظروف البيئية التي تدخل في مكونات النشأة والسلوك، ثم تمتد جذورها في الأعماق النفسية، لتدخل في بناء الشخصية واتجاهاتها السلوكية والعملية.

فكل شخص يتأثر بمشايخه وأساتذته، ويتأثر بالبيئة التي تحيط به، ويعيش فيها. ويتأثر كذلك بالحالة السياسية، والاجتماعية، والعلمية، في بيئته وعصره.

وعند دراسة أي علم من الأعلام، يتأكد الوقوف على العصر الذي عاش فيه، وبم اتسم ذلك العصر من الناحية السياسية والاجتماعية، والعلمية، لنعلم مدى تأثير ذلك العلم بتلك الأحوال، وكيف كان تأثير ذلك كله عليه.

وهذا ما سأقوم به مع أبي إسحاق الثعلبي، من دراسة عصره سياسياً، واجتماعياً، وعلمياً. لنخلص بعد ذلك إلى أثر ذلك كله على الثعلبي رحمه الله.

أولاً: الحالة السياسية:

تبيّن لنا من المطلب الأول السابق، أن الثعلبي رحمه الله عاش ما بين الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، إلى ما يقرب من نهاية العقد الثالث من القرن الخامس (٤٢٧هـ).

وهذا يعني أن الثعلبي عاصر الدولة العباسية في أسوأ أيامها، حيث كان عهد الدويلات المتناحرة، وحيث أفل الوجود الفعلي، للسلطة العليا. بحيث لم يبق للخليفة العباسي حكم إلا على بغداد وما حولها، إضافة إلى أن الخليفة نفسه صار يتحكم فيه وزراؤه ورؤساء الجند، وقد يعزلونه، أو يقتلونه.

وخرج كثير من البلدان عن حكم الدولة العباسية، فأصبح على كل بلد أمير مستقل بحكمه عن سلطان الخلافة ببغداد، ولم يبق لخلفاء بني العباس إلا الاسم فقط، وأصحاب الأطراف يُقدّمون للخليفة الدعاء في المساجد معترفين بالسيادة العليا للدولة^(١).

ومن أقوى عوامل ضعف الخلافة: اعتماد الخلفاء العباسيين في حكمهم على الأتراك، وكان المعتصم بالله هو أول خليفة أدخل الأتراك واستكثر منهم^(٢).

(١) انظر: ((تاريخ الإسلام السياسي)) ٢٤٧/٣.

(٢) ((تاريخ الخلفاء)) للسيوطي (ص ٢٥٩).

وقد حكم خلال هذه الفترة ثلاثة من خلفاء العباسيين وهم:

١- الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١).

٢- القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢).

٣- القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧).

وتعتبر فترتا حكم القادر والقائم هما الأهم في حياة الثعلبي، إذ كان في فترة حكم الطائع ما يزال صغيراً.

١- أمّا القادر بالله^(١): فهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر. الذي تولى الخلافة سنة (٣٨١هـ) بعد خلع الطائع لله.

قال الخطيب البغدادي: وكان القادر من الديانة والسيادة وإدامة التهجد وكثرة الصدقات، وحسن الطريقة على صفة اشتهرت عنه وعُرف بها عند كل أحد، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، تفقه على العلامة أبي بشر الهروي الشافعي، وقد صنّف كتاباً في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن، وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي، وبحضرة الناس^(٢).

٢- وأمّا القائم بأمر الله^(٣): فهو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله. ولي الخلافة عند موت أبيه سنة (٤٢٢) واستمر إلى سنة (٤٦٧هـ).

وهؤلاء الخلفاء كما أسلفت ليس لهم من السلطة الفعلية شيء.

وحقيقة أمر البلاد التمزق والتفكك والتشردم، فالبويهيون في العراق وما جاورها، والحمدانيون في الشام، والفاطميون في المغرب، ومصر، والشام، والغزنويون والسلاجقة بالمشرق^(٤).

ويصوّر لنا المؤرخون هذه الحالة البئيسة من التفكك والتمزق فيقولون: البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد أبي عبد الله البريدي، وفارس إلى عماد الدولة ابن بويه، وكرمان في يد أبي علي محمد بن إلياس، والري وأصبهان والجل في يد ركن الدولة الحسن بن بويه، والموصل

(١) له ترجمة في ((تاريخ بغداد)) ٣٧/٤، ((تاريخ الخلفاء)) (ص ٣١٦)، ((سير أعلام النبلاء)) ١٥/١٢٧.

(٢) ((تاريخ بغداد)) ٣٧/٤.

(٣) له ترجمة في ((تاريخ بغداد)) ٣٩٩/٩، ((الكامل)) لابن الأثير ٩/٤١٧، ((شذرات الذهب)) ٤/١٤.

(٤) انظر: ((الدولة العباسية)) للشيخ محمد الخضري (٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٠) وما بعدها، و((ظهر الإسلام)) لأحمد أمين ٧/١٥٦، ٨/٥٤.

وديار بكر ومُضَرَّ وربيعة في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج الإخشيدي، وبلاد أفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقَّب بالناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني. ولم يبق في يد الخليفة غير مدينة السلام، وبعض السواد^(١).

هذه هي الصورة العامة لحالة العالم الإسلامي آنذاك. والذي يعنينا أكثر في هذا المقام هو المشرق الإسلامي، موطن الإمام الثعلبي، حيث كان يقطن نيسابور، ذلك الجزء الهام من المشرق.

ولقد تنازعت المشرق الإسلامي في تلك الفترة عدة دول:

١- الدولة البويهية: (٣٣٤ - ٤٤٧).

٢- الدولة الغزنوية: (٣٥١ - ٥٨٢).

٣- الدولة السلجوقية: (٤٢٩ - ٥٢٢)^(٢).

وهم وإن تأخر تأسيس دولتهم، إلا أن بداياتهم كانت من أول القرن الخامس - كما سيأتي - أما البويهيون: فقد كانت لهم الغلبة والسيطرة على بغداد ونواحيها، وقد استبدوا بأمر الدولة، رغم قربهم من مقر الخليفة، حيث شاركوه في بعض مظاهر الخلافة، إذ كان الأمير البويهي هو الذي يتولى إصدار الأوامر، أما الخليفة فما عليه إلا توقيعها، لتأخذ صفة الشرعية أمام الرأي العام^(٣).

وأما الغزنويون: فقد قامت دولتهم على أنقاض الدولة السامانية، على يد محمود بن سُبُكتكين الغزنوي، حيث كانت بينه وبينهم مناوشات، انتهت بالنصر والتمكين له في خراسان، فأزال عنها اسم السامانية، وخطب للقادر بالله سنة (٣٨٩هـ) وجعل أخاه نصرًا قائدًا لجند نيسابور،

(١) ((البداية والنهاية)) ٢١٩/١١.

(٢) البويهيون: قوم من الفرس، ينتسبون إلى أبي شجاع بويه الساساني، استوزرهم العباسيون، فأقاموا لأنفسهم سلطانًا قويًا في العراق وفارس.

والغزنويون: نسبة إلى عاصمتهم غزنة، القريبة من كابل، امتد سلطانهم إلى شمال الهند كما سيأتي وخراسان، وسجستان، وأسس دولتهم ألب تكين، وتولى حكمهم ستة عشر ملكًا، أشهرهم سبكتكين، وابنه محمود الغزنوي.

والسلاجقة: فرع من الأتراك الغز، ونسبتهم إلى سلجوق بن ققاق، عاشوا أولًا في تركستان، ثم استقروا ببخارى، حتى سيطروا على خراسان بعد القضاء على البويهيين.

انظر: ((معجم المصطلحات والألقاب التاريخية)) (ص ٣٣١، ٢٥٤).

(٣) انظر: ((الكامل في التاريخ)) ٤٦٦/٨.

وسار هو إلى بلخ، فاتخذها دار ملك له، واتفق أصحاب الأطراف على طاعته^(١). وكان محمود هذا من أعظم ملوكهم، وأكثرهم فتوحًا، وأشدّهم بطشًا بأعدائه، حتى ألقى بزعماء السلاجقة في غياهب السجون. وفي عهده توسعت الدولة الغزنوية خارج بلاد غزنة، حيث ضم بلاد الغور، ثم أدخل جزءًا عظيمًا من بلاد الهند تحت سلطانه، وأسلم على يديه أكثر ملوك الهند. ومن الجهة الأخرى ضُمَّت إليه خراسان والري والجلال، ودانت له ملوك طبرستان وجرجان، ولم يزل في عزه وسلطانه، إلى أن أدركته الوفاة سنة (٤٢١هـ).

وبعد وفاة هذا القائد العظيم دبّ النزاع بين ولديه محمد، ومسعود، مما شجع السلاجقة على تجميع صفوفهم، وإعادة كرتهم في محاولة الاستيلاء على خراسان، حتى تمكنوا من ذلك سنة (٤٢٩هـ) وأعلنوا قيام دولتهم^(٢).

وقد عاصر أبو إسحاق الثعلبي الغزنويين، وهم في أوج قوتهم، وكانت نيسابور موطن الثعلبي تنعم بحكم محمود الغزنوي في استقرار سياسي، وأمن داخلي، وقوة دينية، مما كان له اثر الإيجابي الكبير بلا شك على الإمام الثعلبي، وحياته العلمية.

وأما السلاجقة: فقد بدأت حركاتهم وتهديداتهم للدولة الغزنوية منذ أوائل القرن الخامس، ولكن السلطان محمود كان يتغلب عليهم، ويتمكن منهم في بداية الأمر.

وخوفًا من خطر السلاجقة على الدولة، احتال محمود الغزنوي عليهم، وأبدى رغبته في التفاهم والصدقة معهم، وأرسل إليهم ليقرّر موعدًا للقاء برؤساء السلاجقة.

وما إن ذهب إسرائيل زعيمهم للقاءه قرب جيحون مع أعوانه، حتى قبض عليهم، وأودعوا غياهب السجن بإحدى قلاع الهند، حيث ظل إسرائيل في معتقله إلى أن مات سنة (٤٢٢هـ).

ومن هنا بدأت لدى السلاجقة فكرة الانتقام، وأخذت قوتهم في الازدياد، وتحاليل ميكائيل أخو إسرائيل على السلطان محمود، فاستأذنه في المرور من بلاده للإقامة بخراسان، فسمح له، فكان في ذلك فرصة للإعداد العسكري، فقاموا بعدة هجمات ضد الغزنويين، وكانت وفاة السلطان محمود الغزنوي سببًا آخر لرفع شأن جيوش السلاجقة، فيما بعد على يد (طغرل بك) و (داود) ابني ميكائيل، ومن هنا استطاع زعماء السلاجقة (طغرل بك) و (داود) ابني ميكائيل، ومن هنا استطاع زعماء السلاجقة تنظيم صفوفهم، والاستيلاء على معظم بلاد خراسان، حتى وصلوا قاعدة الغزنويين نيسابور مقر غمامنا الثعلبي، وطلب السلاجقة من واليها السماح لهم

(١) انظر: ((الكامل)) ٧/ ٣١٥، ٣٣٥، ((النجوم الزاهرة)) ٤/ ٢٠٠، ((تاريخ الإسلام السياسي)) ٣/ ٨٨.

(٢) ((الدولة العباسية)) للخضري (ص ٣٤٦).

بالإقامة بجوارها، فرفض، واندلعت نيران المعركة بينهم، حتى استطاع السلاجقة الانتصار على مسعود الغزنوي وجيشه انتصاراً ساحقاً. وكان ذلك عام (٤٢٩هـ) وبذلك تم الاستيلاء الكامل على نيسابور، وجلس طغرل بك على عرش الغزنويين، معلناً قيام دولة السلاجقة، وخطب له على منابر نيسابور ملقباً بالسلطان الأعظم^(١).

وبعد:

فنخلص مما سبق إلى أن العصر الذي عاش فيه الثعلبي، كان عصر تفكك وانقسام، تميز بكثرة الدويلات الإسلامية المتناحرة، وتفشي الفساد السياسي، وانعدام السلطة المركزية. إلا أن الثعلبي رحمه الله عاش جزءاً كبيراً من حياته، بمنأى إلى حد كبير عن تلك الفوضى، وذلك في الفترة التي عاشها تحت ظل الدولة الغزنوية بقيادة قائدها محمود الغزنوي، الذي جعل نيسابور مركزاً لدولته.

فعاشرت نيسابور -آنذاك- وعاش فيها أبو إسحاق في استقرار، مكّنه بلا شك من طلب العلم، وهياً له الجو المناسب لذلك.

ثانياً: الحالة الاجتماعية:

تبين لنا مما سبق أن الحالة السياسية في تلك الحقبة من أيام الدولة العباسية -التي عاصرها الثعلبي- كانت حالة سيئة، بسبب التفرق والتشردم، والحروب والصراعات التي كانت مستمرة.

ولا شك بأن العلاقة وثيقة جداً بين الحالين: السياسية، والاجتماعية، فالحالة الاجتماعية مرآة للحالة السياسية، فإذا كانت الحالة السياسية مستقرة، وكانت الدولة قوية وعادلة، أثر ذلك على المجتمع، فأصبح مجتمعاً قوياً متماسكاً، يسوده الأمن والاستقرار والرخاء.

وبعكس ذلك تصير الأمور، إذا كانت الحالة السياسية مضطربة، والسلطة ضعيفة لا تملك من أمرها شيئاً، فالحالة الاجتماعية -عندئذ- تنهار، فلا أمن ولا أمان، ولا هدوء ولا استقرار، وهذا ما حصل للدولة الإسلامية في هذه الفترة التي نتحدث عنها.

فالحروب والصراعات التي دارت أنهكت الاقتصاد، وقضت على الموارد، وشجعت على إشاعة الفوضى في شتى ميادين الحياة.

فالفرع والرعب سيطر على القلوب، بسبب اختلال الأمن، مما أوجد الفرصة للسلب

(١) ((الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان)) ٨/١، وانظر: ((الكامل)) ١٧٠/٥، ((تاريخ الإسلام السياسي)) ٤/٤، وكتاب ((سلاجقة إيران والعراق)) (ص ٢٤).

والنهب فكثرت العيَّارون^(١)، وانتشر اللصوص وقطاع الطرق.

يقول ابن الأثير، في أحداث سنة (٤١٧هـ): في هذه السنة كثر تسلط الأتراك ببغداد، فأكثروا مصادرات الناس، وأخذوا الأموال. وعظم الخطب، وزاد الشر، وأُحرقت المنازل والدروب والأسواق، ودخل في الطمع العامة والعيَّارون، فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره..^(٢)

بل إن السلب والنهب ما سلم منه الحكم أنفسهم، وهذا أكبر دليل على ضعفهم، ووهن سلطتهم كما سبق في الحالة السياسية.

نعم لقد كان ضعف السلطان سبباً مباشراً لشيوع شريعة الغاب بين الناس في ذلك العهد، حتى انتشرت الفوضى ولم يسلم منها حتى الحكام.

يقول ابن الأثير في حوادث سنة (٤١٩هـ) في هذه السنة ثار الأتراك ببغداد على جلال الدولة، وشغبوا... ونهبوا صياغات أخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم وتفرق فيهم، وحصروا جلال الدولة في داره ومنعوه الطعام والماء، إلى أن قال: فباع جلال الدولة فرشه وثيابه وخيمته، وفرق ثمنها فيهم حتى سكتوا^(٣).

وعن العيَّارين وما أحدثوه من نهب وسلب. يقول ابن كثير: ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلثمائة، فيها عظم الخطب بأمر العيَّارين، عاثوا ببغداد فساداً، وأخذوا الأموال والعملات الثقال ليلاً ونهاراً، وحرقوا مواضع كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات، وتطلبتهم الشرط، فلم يفد ذلك شيئاً، ولا فكروا في الدولة، بل استمروا على ما هم عليه..^(٤)

ولم يقتصر سوء الحال في تلك الفترة على اختلال الأمن وإنما تعداه إلى نواحي المعيشة، فأثرت تلك الأوضاع السيئة على الناس من الناحية الاقتصادية والمعيشية، وصاحب تلك الحوادث غلاء شديد في المعيشة.

فقد اشتد الغلاء بخراسان جميعها، وعدم القوت، فكان الإنسان يصيح: الخبز، الخبز، ويموت^(٥).

(١) العيَّارون: هم طائفة من الرعاع، وأحدهم لا يهتم بأمور عيشه، ولا يتقيد بالدين، ولا بالمتعارف عليه بين الناس.

انظر: ((معجم المصطلحات والألقاب التاريخية)) (ص ٣٢٨).

(٢) ((الكامل)) ١٥٦/٨.

(٣) المصدر السابق ١٦٥/٨.

(٤) ((البداية والنهاية)) ٣٧٨/١١.

(٥) ((الكامل)) لابن الأثير ٣٣٤/٧.

ويقول ابن كثير عن سنة (٣٧٣هـ): فيها غلت الأسعار ببغداد ومات كثير من الناس جوعاً، وجافت الطرقات من الموتى من الجوع^(١). وذكر الجوع أيضاً في سنة (٣٨٢هـ)، وسنة (٣٩٣هـ)^(٢). وهكذا كانت الحالة الاجتماعية في هذه الحقبة، اختل الأمن، وذهب الاستقرار والاطمئنان، وعمت الفوضى، وانتشر اللصوص والعيّارون، وكثر السلب والنهب، واشتد الغلاء، وحدث الجوع. وكل ذلك انعكاس للحالة السياسية السيئة التي عاشتها البلاد آنذاك. ونيسابور موطن الإمام الثعلبي وإن كانت أحسن حالاً من غيرها، حيث تعيش في ظلال الدولة الغزنوية القوية آنذاك، إلا أنها لا بد أن تتأثر بما حولها، ولا بد أن يتأثر ساكنها أبو إسحاق الثعلبي بذلك.

الحالة العلميّة:

تبين مما سبق أنّ العصر الذي نشأ فيه الثعلبي رحمه الله كان مضطرباً غير مستقر من الناحية السياسية، حيث ضعفت الخلافة العباسية، وقامت دول ثم سقطت، وقامت على إثرها دول، وهكذا، كانت القلاقل والصراعات سمة هذا العصر، الأمر الذي انعكس أثره سلباً على الحالة الاجتماعية كما سبق.

وأما الحالة العلميّة فكانت على العكس من ذلك! فمع هذا الضعف والسوء في الحالتين السياسية والاجتماعية، نجد أن الحركة العلمية نشطت، حتى كان هذا العصر من أزهى عصور الإسلام الثقافية، فيه كثر طلاب العلم والعلماء.

ولعلّ مردّ تلك الحركة العلميّة النشطة إلى تنافس الإمارات الإسلامية المختلفة، بضم أكبر عدد من العلماء والأدباء، والتفاخر بهم، وتسهيل السبل للعلم وأهله. إضافة إلى حبّ الحاكم للعلم والعلماء، وتقريبه إليهم، ودعمهم، مما كان له أكبر الثرى في ازدهار الحركة العلمية والثقافية^(٣).

(١) ((البداية)) ١١ / ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق ١١ / ٣٧٦، ١١ / ٤٠٤.

(٣) انظر: ((ظهر الإسلام)) لأحمد أمين ١ / ٤، و((الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان)) ١ / ١٨.

الحركة العلمية في نيسابور:

بعد أن اتضحت لنا الصورة العامة للحركة العلمية في الفترة التي عاشها الإمام الثعلبي من بعد منتصف القرن الرابع، إلى سنة وفاته (٤٢٧).

نريد بعد ذلك أن نستجلي الصورة مفصلة عن الحركة العلمية في موطن الثعلبي، نيسابور. لدق كانت نيسابور معظم هذه الفترة، تنعم في ظل الدولة الغزنوية، بقيادة ملكها الصالح محمود الغزنوي^(١) الذي كان بلاطه حافلاً بالعلم والعلماء، لما اتصف به من حب للعلم وأهله. جاء في ((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) في ترجمة السلطان محمود: كان مجلسه مورد العلماء ومقصد الأئمة والقضاة، يعرف لكل واحد حقه، ويخاطبه بما يستحقه، ويستدعي الأكابر والصدور والعلماء من كل فن إلى حضرة غزنة، ويوئهم من ظله وإنعامه وإكرامه المحل الرفيع، ويصلهم بالصلاة السنّة^(٢).

لقد كانت نيسابور من أهم وأبرز مراكز العلم والفكر، ولذا نجد الإمام السخاوي رحمه الله يصفها بأنها دار السنة والعوالي وكان يتوافد إليها العلماء باستمرار، حتى اكتسحها المغول^(٣). وإذا علمنا أن أبا عبد الله الحاكم لما ألف كتابه الكبير ((تاريخ نيسابور)) ضمّنه ترجمة (١٣٧٥) عالماً من علماء نيسابور، والواردين عليها، ثم ذكّر عبد الغافر الفارسي في ((السياق لتاريخ نيسابور)) وهو ذيل على ((تاريخ نيسابور)) ومختصر له، (١٦٩٩) عالماً من علمائها والواردين عليها^(٤).

إذا علمنا ذلك اتضح لنا بجلاء مدى ازدهار نيسابور آنذاك بالعلم وأهله، وأنها بحق معقلاً عظيماً من معال العلم والعلماء^(٥).

المدارس العلمية في نيسابور:

ونتيجة لهذا الوضع العلمي المزدهر، شيدت بنيسابور المدارس، التي ضمت بين جنباتها العلماء وطلاب العلم. ومن هذه المدارس:

١. مدرسة أبي بكر أحمد بن إسحاق الصّبغي (ت ٣٤٢) المعروفة بدار السنّة^(٦).

(١) سبق بيان ذلك في الحالة السياسية.

(٢) ((المنتخب)) (١٥٠٦).

(٣) ((الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)) (ص ١٤١).

(٤) سياتي الكلام حول كتاب ((تاريخ نيسابور)) في أول ترجمة المؤلف.

(٥) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ١٩/١.

(٦) ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي ١٥٩/٤.

٢. مدرسة الدَّارِي، وهي دار الحديث التي أنشأها أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد الدَّارِي، الرئيس البسطامي، في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري^(١).
 ٣. مدرسة القُطَّان: وهي مدرسة للمالكيَّة، كان يدرِّس فيها إبراهيم بن محمود بن حمزة الفقيه المالكي^(٢).
 ٤. مدرسة أبي الوليد النيسابوري القرشي الأموي (ت ٣٤٩هـ)^(٣).
 ٥. دار العلم بنيسابور: أسسها الحافظ محمد بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤هـ)^(٤).
 ٦. المدرسة السعدية التي أنشأها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي، عندما كان والياً على نيسابور في حدود سنة (٣٨٩هـ)^(٥).
 ٧. مدرسة أبي بكر محمد بن فورك (ت ٤٠٦هـ)^(٦).
 ٨. المدرسة البيهقيَّة، التي أسسها الإمام أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) وكان إنشائها قبل سنة (٤٠٨هـ)^(٧).
 ٩. مدرسة أبي إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨هـ)^(٨).
 ١٠. المدرسة النظامية التي أنشأها مع غيرها من المدارس نظام الملك الحسن بن علي الطوسي (ت ٣١٢هـ)، وكان يدرس فيها إمام الحرمين الجويني^(٩).
- هذه بعض المدارس في نيسابور، وهناك غيرها، حتى إنَّ المؤرِّخ محمد بن حسين البيهقي قال في تاريخه: إنَّه كان في نيسابور سنة (٤١٤هـ) وذلك في زمن السلطان محمود الغزنوي بضع وعشرون مدرسة^(١٠).

(١) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ٢٠/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ((طبقات الشافعية)) ٢٢٧/٣.

(٤) ((العبر في خبر من غير)) للذهبي ٩٤/٢.

(٥) ((طبقات السبكي)) ٣١٤/٤، ((تاريخ الإسلام السياسي)) ٨٨/٣.

(٦) ((طبقات السبكي)) ١٤٨/٤.

(٧) ((طبقات السبكي)) ١٦٩/٥، ٣١٤، ((الخطوط)) للمقريزي ٣٦٣/٢، و((البيهقي وموقفه من الإلهيات))،

للدكتور أحمد عطية الغامدي (ص ٢٧).

(٨) ((طبقات السبكي)) ٢٥٦/٤، ٣١٤.

(٩) نفس المصدر ٣١٤/٤.

(١٠) ((تاريخ البيهقي)) (ص ٢٢٦).

وظهور هذه المدارس دليل على نمو الحركة العلمية وازدهارها في نيسابور، ودليل على الاهتمام بالعلم وطلابه.

يقول المقرئ في ((حُطَّطَه)): ويعتبر ظهور المدرسة في هذا العصر بشكل مستقل عن المسجد، خير دليل على الاهتمام بالعلم، وكانت الأولى هي المدرسة البيهقية بنيسابور التي تعددت فيها المدارس بعد ذلك^(١).

ويعتبر القرن الرابع بداية ظهور هذه المدارس والمعاهد، التي بقيت طريقة متبعة إلى أيامنا هذه.

ومما سلف يتضح لنا أن نيسابور موطن الإمام الثعلبي كانت مهد هذه المعاهد، فكانت بذلك تضاهي بغداد، حاضرة العلم والعلماء في ذلك العصر، بل كانت سابقة لبغداد في إنشاء المدارس الأولى في الإسلام^(٢).

وقد بلغت العناية بالعلم وطلابه إلى حد أن كثيراً من أهل الفضل كانوا ينفقون على طلاب العلم من مالهم الخاص، ويقفون عليهم كتبهم، كما حدث مع ابن حبان البستي الذي بنى مدرسة لطلاب العلم، وأوقف عليها جملة من ماله^(٣).

دور المساجد في النهضة العلمية بنيسابور:

لقد كان للمساجد -منطلق العلم الأول- دور رائد في الحركة العلمية بنيسابور، ففي مساجد نيسابور كانت تعقد دروس اللّم بمختلف أنواعه، من تفسير، وحديث وفقه، ووعظ وقصص، وغيرها، حتى أضحت هذه المساجد مراكز إشعاع، ومنازل علم^(٤).

والثعلبي رحمه الله كان من رواد تلك المساجد، ولذا نجده يصرّح بتلقّي بعض سماعاته عن شيوخه في المسجد، فيقول على سبيل المثال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن علي بن إبراهيم السراج بقراءتي عليه في الجامع، يوم الجمعة، سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة^(٥).

(١) ((حُطَّطَه)) ٢/ ٣٦٣.

(٢) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ١/ ١٩.

(٣) ((طبقات السبكي)) ٤/ ٨٠.

(٤) ((أحسن التقاسيم)) للمقدسي (ص ٢٩٤) وما بعدها.

(٥) ((الكشف والبيان)) الجزء الأخير رسالة ماجستير (١٢٧).

المكتبات:

وبالإضافة إلى المساجد، والمدارس، كان هناك رافداً علمياً آخر، ألا وهو تلك المكتبات العلمية، والخزائن الثرية بالكتب النفيسة، وخاصة في جهة نيسابور، وما حولها، وهذه المكتبات ما هي إلا نتاج الازدهار العلمي، والثقافي.

ومن هذه المكتبات والخزائن:

١. خزانة دار العلم: أسسها بنيسابور ابن أردشير البويهى، سنة (٣٨٣هـ) وتشتمل على عشرة آلاف وأربعمائة مجلداً في العلوم المتنوعة^(١).

٢. مكتبة نوح بن نصر الساماني: وهي مكتبة عظيمة، قال عنها ابن خلكان: عديمة المثل، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها، مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته^(٢).

٣. مكتبة غزنة: الملحقه بجامعة غزنة، التي أسَّسها ونقل إليها الكتب السلطان محمود الغزنوي^(٣).

٤. بيت الكتب: الذي كان في بلاط الصاحب بن عباد بالري، كان به من الكتب ما يحتاج في نقله إلى أربعمائة جمل، وكانت فهرست هذه الكتب تقع في عشر مجلدات^(٤).

٥. هذا بالإضافة إلى: خزائن كتب الخلفاء والحكام، وكانت تُعد من مكملات مظاهر الملك والسلطان.

إضافة أيضاً إلى ما يمتلكه العلماء والأدباء في هذا العصر من مؤلفاتهم التي يتعذر استقصاؤها.

وكل ذلك برهان واضح على بلوغ الازدهار العلمي في عصر الثعلبي أوجه في شتى ميادين الثقافة والعلوم^(٥).

(١) ((البداية والنهاية)) ١١/ ٣٧٧.

(٢) ((وفيات الأعيان)) ٢/ ١٣٤.

(٣) ((تاريخ الإسلام السياسي)) ٤/ ٤٣١.

(٤) ((معجم الأدباء)) لياقوت الحموي ٢/ ٣١٥.

(٥) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ١/ ٢٢.

علماء نيسابور:

هذه الحركة العلمية النشطة التي تحدثنا عنها سابقاً، وذلك الازدهار العلمي، إنما قام على أيدي العلماء الذين كانوا في نيسابور، وما حولها، وهذا التفوق العلمي والثقافي، أثمر علماء في شتى ميادين العلم.

وإذا عرفنا الكم الهائل من العلماء النيسابوريين، والواردين على نيسابور، الذين ذكرهم الحاكم في ((تاريخ نيسابور))^(١).

علمنا أن نيسابور كانت مجمعاً للعلماء وطلاب العلم.
ولا أدلّ على ثرائها بالعلماء مما ذكره الذهبي من أن الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) أراد الرحلة إلى ابن النحاس في مصرن فاستشار البرقاني في ذلك فقال له: إن خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى رجل واحد، فإن فاتك ضاعت رحلتك، وإن خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة، فخرج إلى نيسابور^(٢).

ومن مشاهير علماء نيسابور:

١. الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١)^(٣)، صاحب ثاني أصح الكتب بعد كتاب الله ((الجامع الصحيح)).

٢. الإمام أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥)^(٤) صاحب ((المستدرك على الصحيحين)) وغيره، وهو شيخ الثعلبي.

٣. الإمام ابن المنذر النيسابوري (ت ٣١٨)^(٥): من أشهر فقهاء نيسابور في بداية القرن الرابع، وهو صاحب كتاب ((الإشراف على مذاهب العلماء))، ((الإجماع)) وغيرها.

٤. الإمام محمد بن علي القفال الشاشي (ت ٣٦٥)^(٦)، الفقيه الشافعي. وهو من أبرز علماء الشافعية في بلاد ما وراء النهر.

(١) سبق الكلام حول ذلك في أول ترجمة المصنف.

(٢) (تذكرة الحفاظ) للذهبي ١١٣٧/٣.

(٣) له ترجمة في ((تاريخ بغداد)) ١٠٠/١٣، ((سير أعلام النبلاء)) ٥٥٧/١٢، ((التقريب)) (٦٦٦٧).

(٤) ستأتي ترجمته في قسم التحقيق، عند الإسناد (٣).

(٥) له ترجمة في: ((تذكرة الحفاظ)) ٧٨٢/٣، ((طبقات السبكي)) ١٠٢/٣، ((طبقات المفسرين)) للدودي ٥٠/٢.

(٦) ستأتي ترجمته في قسم التحقيق، في أول مقدمة المؤلف.

٥. الإمام الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت ٤١٨هـ)^(١) صاحب كتاب ((أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) وغير هؤلاء^(٢).

وبعد:

فنخلص مما سبق إلى أن العصر الذي عاش فيه الثعلبي، كان عصر ازدهار علمي، وتفوق ثقافي، والموطن الذي كان يقطن فيه الثعلبي، كان مجتمعا للعلماء وطلاب العلم، حيث كانت الدروس والحلقات العلمية تترى في مساجد نيسابور، وكانت المدارس التي أنشئت في ذلك الوقت، تقوم بدور عظيم في تنشيط الحركة العلمية، من خلال الدروس التي كانت تعقد فيها، حتى أضحت نيسابور من أكبر وأهم مراكز العلم في العالم الإسلامي، إلى حد أنها أصبحت تضاهي بغداد حاضرة العلم والعلماء.

ولقد كان لهذا ازدهار الثقافي، والثراء العلمي، أثره الكبير على الإمام الثعلبي. فالثعلبي وجد نفسه في نيسابور بين العلم وطلابه، فأخذ ينهل من هذا المعين المتدفق، فتنوعت معارفه، وتعدد مشايخه، وكثرت مسموعاته.

حيث يقول حرمه الله في مقدمة تفسيره:

فاستخرتُ الله تعالى في تصنيف كتاب شامل مهذب، كامل ملخص مفهوم منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات، سوى ما التقطته من التعليقات، والأجزاء المتفرقات، وتلقفته من أفواه المشايخ الثقات، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ^(٣).

وها نحن اليوم نعيش أثر تلك النهضة العلمية الجارية، فنستقبل كل يوم من كتبهم أسفاراً ضخمة يقدمها لنا المحققون في عصرنا الحاضر، وما بين أيدينا اليوم من تراثهم الوفير إنما هو غيض من فيض، فليس كل ما ألفه أولئك العظماء وصل إلينا، فالحروب الدامية لم تقتصر على إراقة دماء البشر، بل امتد أوراها حتى أتى على كثير من مكتبات العالم الإسلامي، وليس بخاف علينا ما فعله التتار بكتب العلم، إبان غزوهم بغداد.

ومن هذه الأسفار الضخمة التي وصلتنا من تلك النهضة، هذا السفر العظيم ((الكشف والبيان)) الذي يعكف على تحقيق مجموعة من طلاب العلم في جامعة أم القرى حرسها الله، ليخرجوه محققاً، فيستفيد منه طلاب العلم، ويعيشوا بين فرائده وفوائده.

(١) ((المنتظم)) لابن الجوزي ١٥/ ١٨٨، ((طبقات الحفاظ)) للسيوطي (٩٥٣)، ((شذرات الذهب)) ٣/ ٣٦٤.

(٢) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ١/ ٢٥.

(٣) ((مقدمة المؤلف)) (ص ٢٤٣).

المبحث الثالث نشأته وطلبه للعلم

المطلب الأول نشأته:

سبق أن ذكرت في أول ترجمة المؤلف، أن الإمام الثعلبي رحمه الله عليه لم يحظَ بترجمة وافية عند من ترجم له. فمصادر ترجمته ليس فيها شيء عن نشأته ولا عن طلبه للعلم. ولكن من يطلع على تفسير الثعلبي، يجد بعض الدلالات التي تشير إلى أنه رحمه الله نشأ وترعرع في بيئة علم. ولا غرو في ذلك، فهو نيسابوري، عاش في نيسابور، موطن العلم والعلماء، ومركز الازدهار العلمي والثقافي، هذا من حيث العموم. أما من حيث الخصوص، فإنَّ بيئة أبي إسحاق الخاصة، كانت هي الأخرى بيئة علم وعلماء. ولا أدل على ذلك من أنَّ بيته رحمه الله كان روضةً من رياض العلم، يأتي إليه العلماء وطلاب العلم، وتُعقد فيه الحلقات والدروس العلميَّة، كما سيأتي بيانه في المطلب الثاني. وبما أن الثعلبي نشأ في بيئة علم، وعاش في كنف بيت يأتي إليه أساتذة العلم، وتنعقد فيه دروس العلماء، فإنَّ ذلك الأمر كان له أكبر الأثر على نشأة الثعلبي، وطلبه للعلم، بل جده واجتهاده في هذا الطلب، إذ أنَّ البيت الذي يأتي إليه العلماء سيكون حقلاً علمياً خصيباً، وبالتالي يكون صاحبه مقبلاً على العلم، حريصاً على المعرفة، وعلى قضاء ربيع حياته وعنفوان شبابه في رحاب العلم والعلماء^(١).

المطلب الثاني طلبه للعلم:

بداية طلبه للعلم:

عند النظر في ((تفسير الثعلبي)) نجد أنَّه رحمه الله يشير أحياناً إلى تاريخ سماعه من بعض شيوخه. وهذه الساعات كلها بعد سنة (٣٨٠هـ) وحَدَّث عن شيخه ابن المقرئ وابن مهران، وقد توفيَا سنة (٣٨١) كما سبق ذكره عند الكلام عن ولادته.

(١) انظر: ((الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان)) ١ / ٤١.

ومن خلال الأمرين السابقين:

أ- تاريخ السماعات. ب- وأقدم شيوخه وفاءً.

يتبين أن أبا إسحاق رحمه الله قد بدأ طلبه للعلم في الربع الأخير من القرن الرابع. ويمكن أن يكون قبل ذلك أيضًا والله أعلم.

جده ومثابرتة ونشأته في طلب العلم:

عرفنا فيما سبق أن الثعلبي رحمه الله نشأ في بيئة علمية، حتى إن بيته الذي يسكن فيه، كان روضة غناء، بحلق العلم ودروس العلماء.

ولقد وافقت هذه البيئة من الثعلبي إقبالاً كبيراً على العلم، وجداً واجتهاداً في الطلب.

فقد استطاع الثعلبي استثمار الجو العلمي الذي عاش فيه استثماراً قوياً ناجحاً، عاد عليه بالنفع التام في حياته العلمية، وأثمر إثارة عظيمة في بناء شخصيته العلمية. وإن المتأمل لخطبة الإمام الثعلبي التي صدر بها تفسيره، ليدرك تمام الإدراك مدى قوة أبي إسحاق في تحصيله العلمي، ومدى جده واجتهاده.

ومما يدل على ذلك الجد والاجتهاد، وتلك المهمة العالية ما يلي:

أ- قوله رحمه الله: وإني منذ فارقت المهدي إلى أن بلغت الأشد، اختلفت إلى طبقات الناس، واجتهدت في الاقتباس من هذا العلم الذي هو للدين الأساس، وللعلوم الشرعية الرأس، ووصلت الظلام بالضياء، والصباح بالمساء، بعزم أكيد، وجهد جهيد، حتى رزقني الله تعالى وله الحمد من ذلك ما عرفت به الحق من الباطل، والمفضول من الفاضل، والصحيح من السقيم، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحجة من الشبهة^(١).

هكذا كانت مهمة أبي إسحاق، وجده واجتهاده في طلب العلم، فقد كان رحمه الله يصل الظلام بالضياء، والصباح بالمساء، بعزم أكيد، وجهد جهيد.

فأي همّة بعد هذه، وأي اجتهد بعد هذا!!

ب- كثرة شيوخه، وتعدد مصادره:

ولا شك أن ذلك لا يتأتى إلا لمن جد واجتهد في الطلب، فأخذ يتردد على مجالس العلماء، ودروس العلم، ويسمع من هذا، ويقرأ على ذاك، في طلب مستمر، وعمل متواصل، لا يعرف الكلل، ولا يستسلم للسآمة والملل.

(١) ((مقدمة المؤلف)) (ص ٢٣٨).

وهكذا كان أبو إسحاق الثعلبي، حتى تحقق له من ذلك، إنجاز عظيم، تمثل في ثلاثمائة شيخ، وعدد كبير من الكتب والمسموعات^(١).

وهذا العمري برهان ساطع على الجهد والاجتهاد في طلب العلم، وثني الركب أمام العلماء. ج- تنوع المادة العلمية في تفسيره:

حيث ذكر أنه ضمّن كتابه أربعة عشر نوعاً:

- ١- البسائط والمقدمات.
 - ٢- والعدد والتنزيلات.
 - ٣- والقصص والنزولات.
 - ٤- والوجوه والقراءات.
 - ٥- والعلل والاحتجاجات.
 - ٦- والعربية واللغات.
 - ٧- والإعراب والموازنات.
 - ٨- والتفسير والتأويلات.
 - ٩- والمعاني والجهات.
 - ١٠- والغوامض والمشكلات.
 - ١١- والأحكام والفقهيات.
 - ١٢- والحكم والإشارات.
 - ١٣- والفضائل والكرامات.
 - ١٤- والأخبار والمتعلقات^(٢).
- وهذا دليل آخر على سعة علم الثعلبي رحمه الله، وهذه الموسوعية ما هي إلا ثمرة الجهد والهمة العالية في طلب العلم.

ميادين علمه:

كما تنوّعت معارف الثعلبي وعلومه، تنوّعت كذلك الميادين التي تلقّى فيها أبو إسحاق هذه العلوم.

وهذه الميادين هي:

- أ- دار الثعلبي: ذكر رحمه الله في مقدمة كتابه أنه روى تفسير الدميّاطي عن شيخه أبي حامد الصوفي في داره (أي دار الثعلبي).
- قال رحمه الله: تفسير الدميّاطي.. أخبرنا أبو حامد أحمد بن الوليد الصوفي بقراءتي عليه في داري سنة ثمان وأربعمائة^(٣).

(١) انظر: ((مقدمة المؤلف)) (ص ٢٤٣).

(٢) ((مقدمة المؤلف)) (ص ٢٤٤).

(٣) ((مقدمة المؤلف)) (٤).

وكذلك يروي رحمه الله عن شيخه ابن فنجويه في داره، فيقول في تفسير سورة الإخلاص: أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي الحافظ بقراءتي عليه في داري^(١).

ب- دُور شيوخه: حيث كان الثعلبي رحمه الله يقصد شيوخه في منازلهم، يجلس بين أيديهم، يسمع منهم، ويقرأ عليهم.

فها هو رحمه الله يقصد دار شيخه المُكثّر عنه أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني الوزان، ليجلس بين يديه، ويسمع منه تفسير أبي حذيفة النهدي، الذي يرويه ابن حامد بسنده إلى أبي حذيفة.

يقول رحمه الله: تفسير النهدي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الوزان بقراءتي عليه في داره الخ^(٢).

ج- المساجد: رغم كثرة المدارس بنيسابور، وإقبال العلماء وطلاب العلم عليها. إلا أن ذلك لم يؤثر في المكانة العلمية للمساجد، التي تعتبر المنطلق العلمي الأول في العالم الإسلام آنذاك.

والثعلبي أبو إسحاق كان من رواد تلك المساجد. حيث نجده يصرح في تفسيره بأنه تلقى أحد مروياته في الجامع بنيسابور فيقول: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن علي بن إبراهيم السراج بقراءتي عليه في الجامع، يوم الجمعة، سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة^(٣).

د- المدارس: وقد سبق عند بيان الحالة العميّة لعصر الثعلبي، أن نيسابور بلد الإمام الثعلبي، كانت منطلق المدارس العلمية في العالم الإسلامي. وكانت نيسابور تزدهر بهذه المدارس، وتفخر بها.

وكان من هذه المدارس العلميّة، بعض المدارس التي أنشأها بعض مشائخ الثعلبي. كمدرسة شيخه أبي بكر محمد بن فورك. ومدرسة شيخه أبي إسحاق الإسفراييني.

هـ- رحلاته العلميّة: لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً عن رحلات الإمام الثعلبي. والثعلبي رحمه الله الجاد المجد المثابر في طلب العلم، والذي تلقى العلم عمّا يقارب ثلاثمائة شيخ، يبعد ألا يرحل إلى العلماء حيث يوجدون. لكننا لا نستطيع أن نقطع بأنه رحمه الله قد رحل لعدة أسباب:

الأول: أن غالب شيوخه نيسابوريون، أو مَن قدم نيسابور.

الثاني: أن الرحلة لم تُذكر عنه رحمه الله عند من ترجم له.

(١) ((الكشف والبيان)) الجزء الأخير رسالة ماجستير، الإسناد (٢١٤).

(٢) مقدمة المؤلف (٥٤).

(٣) ((الكشف والبيان)) الجزء الأخير رسالة ماجستير، الإسناد (١٢٧).

الثالث: أنَّ غياب مؤلفاته الضخمة التي تبلغ أكثر من خمسمائة جزء^(١)، يجعل ذلك الأمر بالنسبة إلينا مجهولاً.

الرابع: أنَّ الواقع لا يحيل عدم الرحلة، ذلك لأن خراسان، وخاصة ((نيسابور)) كانت مجمعا للعلم والعلماء. حتى إنَّ الرحلة في ذلك الوقت كانت إليها^(٢).

الخامس: أنَّني لم أجد حسب بحثي في تفسيره ما يدل على ذلك وإنَّما الذي وجدته هو أنَّ أبا إسحاق رحل خارج نيسابور، ولكن هذه الرحلة لم تتجاوز منطقته خراسان.

حيث رحل رحمه الله إلى ((الطابران)) وهي قرية من قرى ((طوس)) في خراسان، بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ^(٣) سمع فيها من شيخه أبي الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبراني بها^(٤).

ورحل كذلك إلى ((درب الحاجب)) حيث سمع فيها شيخه يعقوب العروضي^(٥).

(١) قال ذلك الواحدي، في مقدمة تفسيره ((البيسط)) ١/ ٢٣٣.

(٢) انظر: المبحث الثاني: الحالة العلمية.

(٣) ((معجم البلدان)) ٤/ ٤٩.

(٤) الإسناد (١٠٨).

(٥) ((الكشف والبيان)) القسم السابع عشر رسالة ماجستير، الإسناد (٦٦).

المبحث الرابع شيوخه وتلاميذه

المطلب الأول: شيوخه:

عرفنا فيما سبق أنَّ الثعلبي رحمه الله قد عاش في عصر ازدهار علمي، ونهضة علمية، وأنَّ موطنه نيسابور كانت رياضاً غنّاء، بدروس العلم والعلماء، حيث كانت تمتلئ بأساطين المعرفة، وأفذاذ العلماء، وكانت بحق معدن الفضلاء، ومنبع العلماء.

فالثعلبي رحمه الله نشأ وترعرع في بيئة العلم والعلماء، حتى إنَّ بيته الذي يعيش في كنفه كانت تعقد فيه دروس العلم، ويقصده العلماء وطلاب العلم.

وعرفنا أيضاً أنَّ الثعلبي بجده واجتهاده، ومثابرته العجيبة استثمر هذا الجو العلمي المزدهر، استثماراً ناجحاً، أثمر شخصية علمية قوية متكاملة.

ألا إنَّ من أعظم وجوه هذا الاستثمار: مواظبة الثعلبي على دروس العلم، وتردُّده على مجالس العلماء، وتنقله بين تلك الرياض، وجلسه بين أيدي أولئك الأفذاذ، وطوافه على شوامخ أعلام الأمة في عصره، يتبع معين العلم، ويُلقي الدلاء في بحار العلماء، ويتصلَّع من محصَّلات جهابذة العلماء، في مختلف فروع العلم: من تفسير وقراءات وحديث وفقه ولغة وأدب وغير ذلك. كلُّ ذلك في جلد عجيب، وهمّة عالية، وطلب مستمر، دون كلل أو ملل، حتى بلغ عدد شيوخه الذين روى عنهم في تفسيره ((الكشف والبيان)) ثلاثمائة شيخ.

وطالب العلم إذا كثر شيوخه، وتنوّعت فنونهم ومعارفهم، كان لذلك أثره الكبير، في بناء شخصيته العلمية، واتساع علمه، وشمول معرفته.

وهذه السعة، وهذا التنوع في المعارف والفنون، ظاهر في شخصية الثعلبي، يدركه كل من قرأ في تفسيره، وتنقل في رياض هذا التفسير، بين آية، وحديث، وأثر، وشعر، تارة في توضيح معنى آية، وتارة في بيان قراءة من القراءات، وتارة في مسألة فقهية، وأخرى في نصيحة وعظية زُهدية، وهكذا مما سيأتي بسط الكلام فيه عند التعريف بالكتاب.

وسنذكر إن شاء الله أسماء شيوخ الثعلبي رحمه الله الذين روى عنهم في هذه المقدمة مع ترجمة مختصرة لمن وجدنا له ترجمه - ومن لم نجد له ذكرًا في كتب التراجم ذكرنا اسمه فقط - وستأتي إن شاء الله ترجمة موسعة لكل منهم في الأعلام المترجم لهم، هذا إلى جانب الترجمة لهم في أول موضع يردون فيه، وأما مواطن رواياتهم فيمكن الوقوف عليها في فهرس شيوخ المصنف.

١ - إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن جعفر أبو إسحاق المستملي المقرئ الهمداني الأعور. روى عنه الحاكم أبو عبد الله، وذكره في ((تاريخ نيسابور)) وتوفي بها سنة (٣٥٥ هـ)، وكان أعور صالحًا، ثبتًا في الحديث. ذكره في إسناده (ج ٢/ ص ١٨٨).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ١/ ١٩٢.

٢ - إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الطبري النحوي كان من أهل الفضل والأدب، ولم نجد فيه جرحًا ولا تعديلاً.

انظر: ((تاريخ بغداد)) ٦/ ١٧.

٣ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الإسفراييني، المهرجاني الإمام العلامة، أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة، وذكره أبو عبد الله الحاكم في ((تاريخه)) لجلالته، وكان ثقة ثبتًا في الحديث. توفي سنة (٤١٨ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ١/ ١٤٤، ((السير)) للذهبي ١٧/ ٣٥٣.

٤ - أبو الحسن الشاماتي.

٥ - أبو الحسن العبدري، العبدوسي.

٦ - أبو الحسن بن مهران.

٧ - أبو القاسم السمري.

٨ - أبو ذر بن أبي الحسين بن أبي القاسم المذكر.

٩ - أبو عبد الله بن محمد بن جعفر الأسود.

١٠ - أبو علي بن أبي عمرو الحيري الجرشي.

١١ - أبو محمد بن أبي القاسم بن المؤمل.

١٢ - أحمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس أبو الحسن العبدوي الهذلي، النيسابوري.

روى عن ابن خزيمة وأبي العباس الثقفي وجماعة، وعنه ابن الحافظ أبو حازم والحاكم أبو عبد الله وغيرهم، توفي سنة (٣٨٥ هـ).

انظر: ((تكملة الإكمال)) لابن نقطة ٤/ ٢٩٤، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦/ ٥٠٤.

١٣ - أحمد بن أبي أحمد محمد بن محمد بن إبراهيم بن حميد أبو بكر الأشناني، جليل، ثقة، من كبار الصالحين، سمع الكثير بنيسابور والعراق والحجاز مع أبي عبد الرحمن السلمي. روى عن الأصم وأبي الحسن الطرائفي وابن نجيد. توفي سنة (٤١٦ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٧٧).

١٤ - أحمد بن أبي الفراتي أبو عمرو الخوجاني قال السمعاني: ممن سكن خوجان، وأعقب بها جماعة من الأولاد. وقال ابن ناصر الدين: له جزء معروف، توفي سنة (٣٩٩ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني ٢٩، ٢١٨، ((الأنساب)) للسمعاني ٤/١٢٧، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/٣٦٣، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٥٨/٧.

١٥ - أحمد بن أبي الفضل محمد بن هبة الله بن علي بن فارس أبو الحسين الأنصاري الأكفاني المعدل. سمع: أبا الحسن بن السمسار وأبا القاسم بن الطيز وغيرهما، وروى عنه: ابنه (أبو محمد ابن الأكفاني)، ولم أجد فيه جرحاً أو تعديلاً.

انظر: «تاريخ دمشق» ٥/٤٦٣.

١٦ - أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن حفص بن مسلم بن يزيد، أبو بكر الحرشي الحيري النيسابوري الشافعي. كان من أصحاب أقرانه سماعاً، وأوفرهم إتقاناً، وأتمهم ديانةً واعتقاداً. وأثنى عليه الحاكم وفخّم أمره. وقال السمعاني: هو ثقة في الحديث. توفي سنة (٤٢١ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٢/٢٠٢ - ٢٠٣، ٢٩٨، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٤/٦، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٣٥٦.

١٧ - أحمد بن الحسين بن مهراّن أبو بكر الأصبهاني الأصل، النيسابوري، المقرئ، مصنف كتاب «الغاية في القراءات» وكتاب «المبسوط في القراءات العشر». قال ابن الجزري: ضابط محقق، ثقة صالح، مجاب الدعوة. توفي سنة (٣٨١ هـ).

انظر: ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦/٤٠٦، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/٤٩، «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/٢٢٠.

١٨ - أحمد بن الوليد بن أحمد بن محمد بن الوليد أبو حامد الزوزني الواعظ الصوفي، المحدث ابن المحدث، شيخ ثقة، سمع الكثير، ورحل في السماع، وأدرك الإسناد العالي، وروى بجرّان عن الطبراني، وأبي بكر الشافعي، والقاسم. توفي بنيسابور سنة (٤١٨ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٧٦)، «تاريخ جرجان» للسهمي (١٢١)، ((الأنساب)) للسمعاني ١٧٦/٣.

١٩ - أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله أبو الفضل الشارغي الخوارزمي، قدم نيسابور سنة (٤٠٠ ص)، وعقد مجلس النظر ومجلس الإملاء وحضره المشايخ والكبار، وكان عنده الحديث عن مشايخ بغداد.

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ٩٠).

٢٠ - أحمد بن محمد أبي الفضل بن يوسف أبو الحسن القهндزي النيسابوري الفقيه، وكان من أعيان المعدلين، ومن المناظرين المبرزين، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وقال: توفي في رجب سنة (٣٩٢ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٥٦٨/٤.

٢١ - أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الخفاف، أبو الحسين القنطري النيسابوري. قال الحاكم: مجاب الدعوة، وسماعاته صحيحة بخط أبيه من أبي العباس السراج، وأقرانه، وبقي واحد عصره في علو الإسناد. توفي سنة (٣٩٥ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٣٨٧/٢، ٥٥٣/٤، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٤٨١/١٦.

٢٢ - أحمد بن محمد بن جعفر بن الطيب أبو الحسين الكلاباذي.

٢٣ - أحمد بن محمد بن حاتم أبو حاتم الحاتمي الطوسي الفقيه.

سمع: أبا سعيد ابن الأعرابي، والصفار، وطبقتها. وعنه: الحاكم. ليس بحكيم؛ من جزء ابن عرفة. توفي سنة (٣٩٣ هـ).

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧٩/٢٧.

٢٤ - أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمويه.

٢٥ - أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف أبو الفضل النهشلي الصِّقَّار العروضي. قال عبد الغافر: وهو شيخ أهل الأدب في عصره، حدث عن الأصم، وأبي الفضل المزكي، وأبي منصور الأزهري، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدي. توفي بعد سنة (٤١٦ هـ).

انظر: «تتمة يتيمة الدهر» (ص ٢٠٥)، «معجم الأدباء» لياقوت ٤٩١/١ «بغية الوعاة» للسيوطي ٣٦٩/١.

٢٦ - أحمد بن محمد بن محمد أبو العباس العدل.

٢٧ - أحمد بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن نصر أبو الحسن النصري المؤذن الجرجاني روى عن أحمد بن محمد بن مالك، ولم يذكر بجرح أو تعديل.

انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي (ص ٩٨).

٢٨ - أحمد بن يوسف، أبو حامد الخياط، شيخ قديم، ثقة، معروف. سمع الكثير، وحدث عن الأصم، وأبي الوليد القرشي، وأبي حامد العسفي، ثم عن أبي عمرو بن نجيد، وأبي جعفر محمد ابن أحمد بن سعيد الرازي، وغيرهم.

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٨٩).

٢٩ - إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن علي أبو محمد المطوعي، كما صرح به المصنف في غير موضع، ولم أجد له ترجمة إلا أن يكون ابن أبي إسحاق الكيال الجرجاني، نزيل نيسابور، قدم بغداد، وحدث بها عن محمد بن أحمد بن سعيد الرازي، وأبي العباس الأصم، ومحمد بن عبد الله الصفار الأصبهاني. ولم يذكر بجرح أو تعديل.

انظر: ((تاريخ بغداد)) ٤٠٢/٦، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ١٥٩).

٣٠ - الحسن بن أحمد بن محمد أبو محمد المخلدي الشيباني، النيسابوري. روى عنه الحاكم ووثقه. قال الحاكم: وهو صحيح السماع والكتب، متقن الرواية، صاحب الإملاء في دار السنة، محدث العصر. وقال الذهبي: الإمام الصدوق المسند العدل، شيخ العدالة. توفي سنة (٣٨٩ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٢٢٧/٥، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٥٣٩/١٦، «شذرات الذهب» لابن العماد ٢٦٠/٣.

٣١ - الحسن بن علي بن المؤمل بن الحسن بن عيسى أبو محمد المؤمل الماسرجسي، الثقة العدل، من بيت العلم والعدالة حدث عن الأصم، وأبي عثمان عمرو بن عبد الله البصري، وأبي بكر أحمد بن إسحاق الصبغي وطبقته، توفي في شعبان سنة (٤٠٧ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ١٦٦)، «تاريخ الإسلام» للذهبي ١٥٨/٢٨.

٣٢ - الحسن بن علي بن محمد بن حمدان أبو محمد السَّجَزي الخطيب.

٣٣ - الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو الحسين المحمودي.

٣٤ - الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم الحبيبي

النيسابوري، العلامة المفسر الواعظ. قال عنه عبد الغافر الفارسي: إمام عصره في معاني القرآن وعلومه، مصنف التفسير المشهور، وكان أدبياً نحوياً، عارفاً بالمغازي والقصص والسير. حدث عن الأصم، وأبي زكريا العنبري، وأبي عبد الله الصفار، وأبي الحسن الكارزي، وأبي محمد المزي، وأبي سعيد عمرو بن منصور الضرير، وأبي جعفر محمد بن صالح بن هانئ. قال الذهبي: تكلم فيه الحاكم في رقعة نقلها عنه مسعود بن علي السجزي، فإله أعلم اهـ. وقد صنف ابن حبيب في القراءات، والتفسير، والآداب، وعقلاء المجانين. توفي سنة (٤٠٦ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٤٨٢)، «تاريخ جرجان» للسهمي (٢٦٩)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٢٣٧/١٧، ٣٣٥ «الوافي بالوفيات» للصفدي ٢٣٩/١٢، «طبقات المفسرين» للسيوطي (٣٢).

٣٥ - الحسن بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله المرتب.

٣٦ - الحسين بن محمد بن إبراهيم أبو علي البستاني الأصبهاني لعله السيوري الآتي ترجمته.
٣٧ - الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن صالح بن شعيب ابن فنجدويه أبو عبد الله الثقفي الدينوري. شيخ فاضل، كثير الحديث، كثير الشيوخ، كثير التصانيف الحسنة، والمعرفة بالحديث، روى الحديث نحواً من أربعين سنة... وكان من ثقات الرجال. قال شيرويه في «تاريخه»: كان ثقة صدوقاً، كثير الرواية للمناكير، حسن الخط، كثير التصانيف. وقال ابن العماد الحنبلي: كان ثقة مصنفًا. مات سنة (٤١٤ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٩٣)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٣٨٣/١٧، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ١١٨/٧، «تبصير المنتبه» لابن حجر ٣/١٨٤، «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/٣٤٩.

٣٨ - الحسين بن محمد بن حبش بن حمدان أبو علي الدينوري المقرئ. قرأ القراءات علي أبي عمران موسى بن جرير الرقي، والعباس بن الفضل الرازي، وأبي بكر ابن مجاهد. قرأ عليه محمد ابن المظفر بن حرب الدينوري، وأبو العلاء محمد بن علي الواسطي، ومحمد بن جعفر الخزاعي. قال أبو عمرو الداني: متقدم في علم القراءات مشهور بالإتقان، ثقة مأمون. وقال ابن الجزري: حاذق ضابط متقن. توفي سنة (٣٧٣).

انظر: «معرفة القراء الكبار» للذهبي (ص ١٨٢)، «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري ١/٢٥٠.

٣٩ - الحسين بن محمد بن علي بن إبراهيم أبو علي السيوري النيسابوري. وهو شيخ قديم

ثقة، كثير الحديث، سمع أبا بكر القطان وأبا حامد بن بلال قبل أبي العباس الأموي الأصم، ثم سمع الأصم وأقرانه، وحدث. وتوفي سنة (٣٩٧ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٣/ ٣٦٦، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ١٩٤) (٥٥٨).

٤٠ - الحسين بن محمد بن محمد بن علي بن حاتم أبو علي الروذباري الطوسي، الإمام، المسند سمع «السنن» لأبي داود من أبي بكر محمد بن بكر بن داسة، وحدث بها عنه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. توفي في ربيع الأول سنة (٤٠٣ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٣/ ١٠٠، «التقييد» لابن نقطة (ص ٢٣٢، ٢٤٩)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/ ٢١٩.

٤١ - الربيع بن محمد أبو الطيب الحاتمي.

٤٢ - النعمان بن محمد بن محمود بن النعمان أبو نصر الجرجاني، التاجر الدهقان. سكن نيسابور، سديد صالح، فاضل، كتب الكثير وجمع وصنّف أبواباً، روى عن أبي يعقوب البجري، وأبي حاجب الجهني، مات بنيسابور سنة (٣٩٦ هـ)، وقيل: (٣٩٧ هـ).

انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي (٤٨٠)، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٥٩٨).

٤٣ - حمد بن محمد بن حمد بن مرداس أبو منصور البوزجاني الحاكم الفقيه. تفقه ببلخ عند أبي القاسم الصفار، ثم سكن نيسابور، سمع منه الحاكم أبو عبد الله. مات سنة (٣٨٦ هـ). انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ١/ ٤١٢.

٤٤ - زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى، أبو علي السرخسي، الإمام العلامة، فقيه خراسان، شيخ القراء والمحدثين. قال الحاكم: كان قد قرأ علي أبي بكر ابن مجاهد... وكانت كتبه تَرَدُّ عليّ على الدوام. توفي سنة (٣٨٩ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٣/ ٢٤٤، «المنتظم» لابن الجوزي ٥/ ١٥، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦/ ٤٧٦، «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٢٩٣، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/ ٢٨٨.

٤٥ - سعيد بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن أبي عثمان أبو عمرو الحيري.

٤٦ - سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم أبو عثمان الزعفراني الحيري المقرئ. شيخ كبير ثقة صالح، كثير السماع، كثير الحديث والشيوخ، عالم بالقراءات، مقصود في علم القراءات. قال أبو الحسن: قرأت من خط أبي صالح الحافظ: إنه تغير بعض التغير في آخر أمره. وحكي عن بعض الثقات أنه خلط في بعض مسموعاته. توفي في جمادى الأولى سنة (٤٢٧ هـ).
انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٧٢٨)، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٤٩٦/٢.

٤٧ - سهل بن محمد بن سعيد أبو العباس المروزي.
٤٨ - سهل بن محمد بن سليمان بن موسى، أبو الطيب النيسابوري الصعلوكي شيخ الشافعية بخراسان، ومفتيها. قال الخليلي: الإمام في وقته، متفق عليه، عديم النظر في وقته علماً، وديانة. توفي سنة (٤٠٤ هـ).
انظر: «الإرشاد» للخليلي ٨٦١/٣، ((الأنساب)) للسمعاني ٥٤٠/٣، «طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح ٤٨٠/١.

٤٩ - شعيب بن محمد بن شعيب بن محمد بن إبراهيم أبو صالح العجلي البيهقي. سمع أبا نعيم عبد الملك بن عدي، ومحمد بن حمدون، وأبا حامد ابن الشرقي، ومكي بن عبدان. روى عنه الحاكم أبو عبد الله، وأبو عثمان سعيد البحيري وغيرهما، وفي «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور»: مستور من أهل النواحي، توفي سنة (٣٩٦ هـ).
انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٨٠١)، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٣٠٣/٣.

٥٠ - شيبه بن محمد أبي أحمد بن أحمد بن شعيب بن هارون أبو محمد الشيعي. ذكره الحاكم في ((تاريخ نيسابور)) فقال: سمع الحديث بإفادة أبيه من جماعة من الشيوخ، وكان من الصالحين، سمعه أبوه سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة وفي «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور»: مشهور من أهل بيت الحديث والورع والديانة. سمع من أبيه وعلي بن محمد الوراق، وأقاربه محدثون. وتوفي في المحرم سنة (٣٩٥ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٨٠٢)، ((الأنساب)) للسمعاني ٤٣٥/٣، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٣١٥/٢٧.

٥١ - طاهر بن علي بن الحسين بن محمد بن عصمة أبو القاسم الصوفي، المقرئ. من وجوه أصحاب الإمام ابن مهران، قرأ للعشرة عليه.

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفي (٨٥٣)، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/٣٤١.

٥٢ - ظفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن زبارة أبو منصور الحسيني. قال عبد الغافر: خرّج له الحاكم أبو عبد الله «الفوائد»، وسمع الخلق منه، وكانت أصوله وسماحاته صحيحة، ثم احترق قصره بما فيه من الكتب، فضاعت أصوله، فبعد ذلك كانت تقرأ عليه مسموعاته من الفروع التي كتبت من أصوله وعورضت بها إلى آخر عمره. توفي سنة (٤١٠ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفي (ص ٢٧٥)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٢٦٣.

٥٣ - عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق بن إسحاق، أبو القاسم المؤذن المحتسب، الشافعي، النيسابوري. مشهور، ثقة، كثير الحديث والرواية، مبارك الإسناد، سديد الطريق، أمر بالمعروف، شديد في النهي عن المنكر. توفي (٤٠٥ هـ).

انظر: «التدوين في أخبار قزوين» للرافعي ٣/٤٧٩ - ٤٨٠، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفي (١١٨٨)، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٨/١١٥.

٥٤ - عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر أبو القاسم الحيري.

٥٥ - عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن نوح أبو سعيد.

٥٦ - عبد الرحمن بن عبد الله بن علي بن سمقويه وفي «طبقات السبكي» سحنويه بن حمشاذ أبو بكر المزكي الشافعي النيسابوري. ذكره الذهبي، وقال: روى عن أبي العباس الأصم وغيره، ودّرّس الفقه سنين. توفي سنة (٤٠٠ هـ).

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/٣٨٤، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٥/١٠٥.

٥٧ - عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سحنويه، أبو الحسن وأبو عبد الله الطبراني ابن أبي إسحاق المزكي، من فقهاء نيسابور، كان من عقلاء الرجال والعباد، ثقة. توفي سنة (٣٩٧ هـ).

انظر: ((تاريخ بغداد)) للخطيب ١٠/٣٠٢، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٤٩٧/١٦.

٥٨ - عبد الرحمن بن محمد بن أحمد أبو محمد المزكي. سمع: أبا العباس محمد بن يعقوب، وأبا بكر محمد بن أحمد بن بالويه البالوي، وأبا جعفر محمد بن غالب بن حرب. سمع منه: أبو علي الحسين بن علي الحافظ والحاكم. قال عبد الغافر: أحد الثقات المتقنين والأمناء المعروفين. ومات في شعبان سنة (٤١٠ هـ) قال الذهبي: الرئيس الأوحد، الثقة المسند، وكان من وجوه البلد، وكان صادقاً أميناً.

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ١/١٢٧، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ٢٩٥)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٢٤٠.

٥٩ - عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حبيب بن الليث بن شبيب أبو زيد القاضي النيسابوري الفقيه، وصفه عبد الغافر الفارسي بالإمام، أحد أئمة أصحاب الشافعي ومدرسيهم، وقال: وكان كثير الشيوخ، صحيح السماع. حدث عن الأصم، وأبي بكر الصبغي، والبيهقي، وعنه: القشيري، وابن أبي زكريا. توفي سنة (٤١٣ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ٣٠٢)، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٥/١٠٩، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٢٣٨.

٦٠ - عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن ياسر أبو الحسن التميمي، الدمشقي الجَوْبَرِي. ذكر الذهبي عن أحد الذين أخذوا عن عبد الرحمن، ويدعى الكتاني، أنه قال عنه: كان يحسن المتون، وجدت سماعه في «صحيح البخاري»، ثم قال: مات في صفر سنة (٤٢٥ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٢/١٠٨، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٤١٥، «شذرات الذهب» لابن العماد ٣/٣٨٥.

٦١ - عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو سهل الضرير.

٦٢ - عبد السلام بن أحمد بن داود بن عبد الصمد أبو محمد الهاشمي البغدادي.

٦٣ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بالويه أبو محمد البالوي الحيري لم يذكر بجرح أو تعديل.

٦٤ - عبد الله بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن رستم بن ماهان، أبو محمد الماهاني، الأصبهاني الوزان الفقيه، الواعظ، من أهل نيسابور، ولد بنيسابور، وتفقه علي أبي الحسن البيهقي، ثم خرج إلى أبي علي ابن أبي هريرة، وتعلم الكلام من أبي علي الثقفي، وأعيان الشيوخ، وسمع بنيسابور أبا حامد ابن الشرقي، ومكي بن عبدان، وأقرانها، روى عنه الحاكم وغيره. توفي سنة (٣٨٩ هـ) وهو ابن (٨٣) سنة.

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٥/١٨٢ وتصحف فيه إلى (عبد الله بن جابر)، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٣/٣٠٦، «كشف الظنون» لحاجي خليفة ١/٤٥٢.

٦٥ - عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق.

٦٦ - عبد الله بن محمد أبو محمد الهروي الهاروني.

- ٦٧ - عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو القاسم الحرزي.
- ٦٨ - عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو القاسم البابي.
- ٦٩ - عبد الله بن محمد بن أحمد بن عقيل أبو محمد الأنصاري.
- ٧٠ - عبد الله بن محمد بن الطيب أبو محمد.
- ٧١ - عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو القاسم النهدي.
- ٧٢ - عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو محمد الماسرجي.
- ٧٣ - عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن همردان، أبو أحمد الرازي.
- ٧٤ - عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن زياد أبو القاسم السَّمْذِي الدورقي. سمع أبا بكر محمد بن حمدون وأبا حامد ابن الشرقي. حدث عنه: أبو سعيد عبد الرحمن بن حمدان النصروي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحاكم النيسابوري، توفي سنة (٣٩١ هـ).
- انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٢١٧/٧، «التقييد» لابن نقطة (٣٨٤)، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ١٧٠/٥ - ١٧١.
- ٧٥ - عبد الله بن محمد بن عبد الله - وقيل: ابن عبد - أبو محمد الفامني، وقيل: القايني. وقيل: القايني. ولعله الماسرجي السابق.
- ٧٦ - عبد الله بن يحيى العدل.
- ٧٧ - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن بامويه أبو محمد الأردستاني الأصبهاني. نزيل نيسابور. قال الخطيب: وكان ثقة. وقال السمعياني:
- كان أحد الثقات الكثيرين، وكان له قدم ثابت في التصوف، وعاش حتى صارت إليه الرحلة. ولد سنة (٣١٥ هـ)، وتوفي في رمضان سنة (٤٠٩ هـ).
- انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ١٠٨/١، «معجم البلدان» لياقوت ١/١٤٦، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٢٣٩/١٧، ((تاريخ بغداد)) للخطيب ١٠/١٩٨.
- ٧٨ - عبد الملك بن أبي عثمان واسمه محمد بن إبراهيم الزاهد أبو سعد النيسابوري الخركوشي. قال الخطيب: كان ثقة، صالحًا، ورعًا، زاهدًا. توفي سنة (٤٠٦ هـ)، وقال الذهبي: توفي في جمادى الأولى سنة (٤٠٧ هـ).
- انظر: ((تاريخ بغداد)) للخطيب ١٠/٤٣٢، ((الأنساب)) للسمعاني ٢/٣٥٠، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٢٥٦.

٧٩ - عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن الأزهر أبو نعيم الأزهرى الإسفرايينى الشيخ العالم، مُسند خراسان. قال الحافظ عبد الغافر: كان صالحاً ثقةً، حضر إلى نيسابور في آخر عمره، ولم يُعهد بعد ذلك المجلس مثله لقراءة الحديث كما حدثنا الثقات، وعاد إلى إسفرايين، وذلك في سنة تسع وثلاث مئة. وقال الحاكم: رأيت سماعاته التي نظرت فيها صحيحة وقد خرجت عنه في «الصحيح». توفي سنة (٤٠٠ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ١/ ١٤٤، «العبر» للذهبي ٢/ ١٩٧، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/ ٧١، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٠٧٤).

٨٠ - عبد الملك بن علي أبو حنيفة القزويني، شيخ روى بنيسابور التفسير المعروف بـ «الواضح»، رواه عنه أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، والثعلبي.

انظر: «التدوين في أخبار قزوين» للرافعي ٣/ ٢٧١.

٨١ - عبد الملك بن محمد بن أحمد بن حبيب أبو سهل المقرئ.

٨٢ - عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد، أبو الفضل الفامي. سمع أبا العباس السراج، وأكثر عنه لعلو سنده، قال الحاكم: سماعاته بخط أبيه صحيحة.

روى عنه سعيد العيار وآخرين.

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/ ١٦٨، «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي ٣/ ١٢٨.

٨٣ - عبيد الله بن محمد بن محمد بن مهدي بن سعيد بن عاصم أبو محمد النيسابوري القشيري الصيدلاني الأصم العدل. قال الذهبي: ثقة رضى. قال أبو صالح المؤذن: دخلت عليه فقرأ علي جزءاً من حديث الأصم بلفظه، وكان صحيح السماع وروى عنه البيهقي في «سننه».

انظر: «تاريخ الإسلام» ٢٨/ ١٩١.

٨٤ - عروة بن محمد بن عروة، أبو القاسم وأبو الهيثم.

٨٥ - عقيل بن محمد بن أحمد الجرجاني الإستراباذي الفقيه.

٨٦ - علي بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن السكري المؤذن الأعرج أبو الحسن، نبيل من أصحاب أبي عبد الرحمن السلمي، حدث عن الأصم، وابن نجيد، وابن مطر، توفي سنة (٤١٠ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٢٥٠)، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٨/٢٠٨.

٨٧ - علي بن الحارث أبو الحسن البصري الخراساني، صاحب كتاب «شرح الحماسة» و«صناعة الشعر»، قال الباخري: عنده مفصل الفضل ومجموعه، ومرأى الأدب ومسموعه، ومعدن العلم وينبوعه. والذي تشد إليه الرحال، وتزم نحوه الجمال، ويقصد محله القصاد، وينثال على مناهله الرواد.

انظر: «دمية القصر» للباخري (ص ٣٥٢)، «إنباه الرواه» للقفطي ٢/٢٧٤.

٨٨ - علي بن محمد بن الحسن بن محمد أبو الحسين أو الحسن الحنّازي الكبير الجرجاني المقرئ. قال ابن الجزري: إمام ثقة، مؤلف محقق. توفي بنيسابور سنة (٣٩٨ هـ).

انظر: «غاية النهاية» لابن الجزري ١/٥٧٧، «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين ٢/٤٦٠.

٨٩ - علي بن محمد بن القاسم بن حجر أبو الحسن الجرجاني الشاعر المعروف ببارع، سكن بخارى. روى عن: أبي أحمد ابن عدي، وأبي بكر الإسماعيلي، وجماعة.

انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي (ص ٣٥٤، ٥٦٦).

٩٠ - علي بن محمد بن سعيد أبو الحسن السرخسي الخطيب.

٩١ - علي بن محمد بن علي بن حسين بن شاذان بن السقا أبو الحسن الإسفراييني، القاضي، الإمام، الحافظ الناقد، من أولاد أئمة الحديث. توفي سنة (٤١٤ هـ).

انظر: ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٣٠٥.

٩٢ - علي بن محمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن البغدادي الطرازي، الشيخ الكبير، مسند خراسان، من كبار النيسابوريين.

انظر: ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٤٠٩.

٩٣ - عمر بن أحمد بن محمد بن عمر أبو حفص الجوري لم يذكر بجرح أو تعديل.

٩٤ - كامل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر أبو جعفر الغزائمي المستملي النيسابوري، النحوي، مشهور، حافظ، عارف بالنحو، بارع في الرواية، حسن القراءة. قال عبد الغافر: ثقة، صحيح الرواية. حدث في سنة (٤٠٥ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ٤٢٦)، «بغية الوعاة» للسيوطي ٢/٢٦٦.

٩٥ - محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان أبو بكر الأصبهاني المشهور بابن المقرئ، صاحب «المعجم الكبير». قال ابن مردويه: هو ثقة مأمون صاحب أصول. وقال أبو نعيم: محدث كبير، ثقة صاحب مسانيد. مات سنة (٣٨١ هـ).

انظر: «ذكر أخبار أصفهان» لأبي نعيم ٢/ ٢٦٧، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦/ ٣٩٨، «غاية النهاية» لابن الجزري ٢/ ٤٥.

٩٦ - محمد بن إبراهيم بن يحيى أبو بكر النيسابوري، الكسائي، الشيخ النحوي البار. قال الذهبي: تخرّج به جماعة في العربية، وروى «صحيح مسلم» عن ابن سفيان، رواه عنه أبو مسعود أحمد ابن محمد البجلي، وذلك إسناد ضعيف. وقال في «ميزان الاعتدال»: غمزه الحاكم، فقال: روى الحديث من غير أصل. توفي في سنة (٣٨٥ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٥/ ٦٧، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦/ ٤٦٥، «ميزان الاعتدال» للذهبي ٣/ ٤٥٠، «لسان الميزان» لابن حجر ٥/ ٢٦.

٩٧ - محمد بن أبي إسماعيل علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبو الحسن الصوفي السني. سمع: أبا يعقوب الأذري، وأبا الميمون بن راشد، وجعفر بن محمد بن عديس وجماعة. روى عنه: الحاكم أبو عبد الله، وأبو سعد الجوزي، وأبو عبد الرحمن السلمي. قال شيوخه: ثقة صدوق. توفي سنة (٣٩٣ هـ).

انظر: ((تاريخ بغداد)) للخطيب ٣/ ٩٠ - ٩١، ((الأنساب)) للسمعاني ٥/ ٦٠٧، «تاريخ دمشق» لابن عساكر ٥٤/ ٣٠٢.

٩٨ - محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حمدون أبو بكر الأشثاني، أكثر الخطيب من الرواية عنه. ٩٩ - محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم أبو عبد الله المقرئ الورشي، المغربي، الأندلسي. ذكره الحاكم في ((تاريخ نيسابور)) وقال: من الصالحين المذكورين بالتقدم في علم القرآن، سمع بمصر والشام والحجاز والعراقين والجلال وأصفهان الكثير بعد الخمسين، وورد نيسابور بعد السبعين وثلاث مئة، بعد أن سكنها سبع سنين. قال السمعي: قلت: سمع بأصفهان علي بن المرزبان الأصبهاني، وبكور الأهواز عبد الواحد بن خلف الجنديسابوري، وبفارس أحمد ابن عبد الرحمن بن الجارود الرقي.

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٥/ ٥٩١.

١٠٠ - محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر المزكي المنصوري لم يذكر بجرح أو تعديل.

١٠١ - محمد بن أحمد بن عبدوس بن أحمد أبو بكر المزكي الحيري النيسابوري، النحوي، الفقيه. روى عنه أبو عبد الله الحاكم، وقال: عقدت له مجلس الإملاء سنة ثمان وثمانين، توفي سنة (٣٩٦ هـ).

انظر: «إنباه الرواه» للقفطي ٥٦/٣، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٥٧/١٧. وتفسيره ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» ١/٤٤٠.

١٠٢ - محمد بن أحمد بن علي بن نصير بن عبد الله؛ أبو عبد الله النصيري النيسابوري. قال الحاكم: وليس الحديث من شأن الشيخ. وقال السمعاني: المعدل، من أكابر اليهود، ومتوسط التجار. خرج له أبو بكر البغدادى فوائده لخروجه إلى الحج. توفي في محرم سنة (٣٨٩ هـ).

انظر: «سؤالات مسعود السجزي للحاكم» (ص ٧١)، ((تاريخ بغداد)) للخطيب ١/٣٢١، ((الأنساب)) للسمعاني ٥/٤٩٩ - ٥٠٠، «الباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير ٣/٣١٣، «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/١٨٧.

١٠٣ - محمد بن أحمد بن محمد التمار أبو بكر.

١٠٤ - محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبدة بن قطبة بن سليط أبو العباس السليطي التميمي، من أهل نيسابور. قال السمعاني: كان شيخاً صالحاً سديداً، حسن السيرة. ثم قال: روى عنه الحاكم أبو عبد الله، وذكره في ((تاريخ نيسابور)).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٣/٢٨٤.

١٠٥ - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شاذان، أبو أحمد الرازي الصيدلاني الشافعي الأديب. دين ثقة مشهور. توفي سنة (٤١٥ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٨).

١٠٦ - محمد بن أحمد بن محمد بن عقيل أبو بكر القطان، النيسابوري. يروي عن محمد بن أحمد بن دلويه وعلي بن عبدان، وعنه الحاكم وأبو علي الصابوني، توفي سنة (٣٨٨ هـ).

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧/١٧٣.

١٠٧ - محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المزكي أبو عبد الله.

١٠٨ - محمد بن الحسن ابن فورك أبو بكر الأصبهاني. بلغت مصنفاته قريباً من مئة مصنف في أصول الدين والفقه ومعاني القرآن، وكان مؤلفاً في التفسير. قال الذهبي: كان أشعرياً، رأساً في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري. توفي سنة (٤٠٦ هـ).

انظر: «إنباه الرواه» للقفطي ١١٠/٣، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ١٢٧/٤، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٢١٤/١٧، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١).

١٠٩ - محمد بن الحسين بن داود بن علي بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو الحسن. روى عنه الحاكم والبيهقي، وأثنى عليه الحاكم. توفي سنة (٤٠١ هـ). قلت: قد صحح له البيهقي إسناد حديث رواه من طريقه فقال ١٤٢/٥: هذا إسناد صحيح. انظر: «طبقات الشافعية» لابن الصلاح ١٤٨/١، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٩٨/١٧.

١١٠ - محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرحمن الأزدي السلمي النيسابوري، كبير الصوفية، صاحب التصانيف. قال الخليلي: ثقة متفق عليه من الزهاد. وقال محمد بن يوسف القطان: كان يضع الحديث للصوفية. وقال الخطيب البغدادي: محله كبير، وكان مع ذلك صاحب حديث، مجوداً وقال السراج: مثله - إن شاء الله - لا يتعمد الكذب. ونسبه إلى الوهم. وقال الذهبي: وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة. وقال كذلك: تكلموا فيه، وليس بعمدة، روى عن الأصم، وطبقته، وعني بالحديث ورجاله، وفي القلب مما يتفرد به، وقال في «ميزان الاعتدال»: متكلم فيه. توفي سنة (٤١٢ هـ).

انظر: ((تاريخ بغداد)) للخطيب ٢٤٨/٢، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٢٤٧/١٧، «ميزان الاعتدال» للذهبي ٥٢٣/٣.

١١١ - محمد بن الحسين بن نجيد بن عبد الكريم أبو الحسن.

١١٢ - محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو الطاهر السلمي النيسابوري. قال الحاكم: عقدت له مجلس التحديث في سنة ثمان وستين وثلاث مئة، ودخلت بيت كتب جده، وأخرجت له منها مئتين وخمسين جزءاً من سماعاته الصحيحة، ومد يده إلى كتب غيره فقرأ منها، ثم إنه مرض وتغير بزوال عقله في ذي الحجة سنة أربع وثمانين، ثم أتته فوجدته لا يعقل. قال العراقي: فعلي هذا يكون مدة اختلاطه ستين وخمسة أشهر. وقال الذهبي: وما أراهم سمعوا منه إلا في حال وعيه، فإن من زال عقله كيف يمكن السماع منه، بخلاف من تغير، ونسي، وانهرم. توفي سنة (٣٨٧ هـ).

انظر: ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٤٩٠/١٦، «لسان الميزان» لابن حجر ٣٤١/٥، «التقييد والإيضاح» للعراقي (ص ٤٤٢).

١١٣ - محمد بن القاسم بن أحمد المرتب أبو الحسن الماوردي القلوسي الفارسي النيسابوري الفقيه الأصولي المفسر، صاحب كتاب «المصباح» والتصانيف المشهورة، سمع الكثير، وجمع الأبواب. توفي سنة (٤٢٢ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (٤٣).

١١٤ - محمد بن جعفر بن الحسن أبو زرعة.

١١٥ - محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل أبو الفضل الجرجاني المقرئ الخزاعي. صنف كتباً في القراءات، روى عن أبي بكر القطيعي والحسن بن سعيد المطوعي وأبي علي بن حبش مات بآمل سنة (٤٠٨ هـ).

انظر: «تاريخ جرجان» لأبي القاسم الجرجاني (ص ٤٥٨)، «معرفة القراء الكبار» للذهبي (ص ٢١٢).

١١٦ - محمد بن حسان أبي الوليد بن محمد أبو عبد الله القرشي النيسابوري. الفقيه الشافعي، أفتى، ودرس زمن أبيه، وروى عن ابن الشرقي، وابن عبدان، وعنه الحاكم وجماعة. توفي في شوال سنة (٣٨٦ هـ)، وله أربع وثمانون سنة.

انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٧ / ١٢٥، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢ / ٤٧٣.

١١٧ - محمد بن حمويه.

١١٨ - محمد بن عبد الله بن حمدون أبو سعيد النيسابوري العالم، الزاهد، الصالح، لم يذكر بجرح أو تعديل، ووصفه المصنف بأنه ثقة أمين.

١١٩ - محمد بن عبد الله بن حمشاذ أبو منصور النيسابوري الحمشاذي. قال الذهبي: تفقه وبرع، وأتقن علم الجدل والكلام والنظر، وأخذ النحو عن أبي عمر الزاهد، وكان عابداً، متأهلاً، واعظاً، مجاب الدعوة، منقبضاً عن أبناء الدنيا. بالغ في تقيظه الحاكم، وقال: ظهر له من مصنفاته أكثر من ثلاث مئة كتاب مصنف. توفي سنة (٣٨٨ هـ).

انظر: ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦ / ٤٩٨، «الوافي بالوفيات» للصفتي ٣ / ٣١٧، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٣ / ١٧٩.

١٢٠ - محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم أبو عبد الله الحاكم الضبي المعروف بابن البيع، الطهماني النيسابوري الشافعي المعروف بابن البيع، صاحب «المستدرک على الصحيحين»، ((تاريخ نيسابور)) وغيرهما من المصنفات. قال الخطيب البغدادي: كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ، وكان ثقة. قال عبد الغافر: الحاكم أبو عبد الله هو إمام أهل

الحديث في عصره، العارف به حق معرفته...، ثم قال: ومن تأمل كلامه في تصانيفه، وتصرفه في أماليه، ونظره في طرق الحديث، أذعن بفضل، واعترف له بالميزية علي من تقدمه، وإتعا به من بعده، وتعجزه اللاحقين عن بلوغ شأوه، عاش حميداً، ولم يخلف في وقته مثله. وقال الذهبي: سمع من نحو ألفي شيخ... وصنّف وخرّج، وجرّح وعدّل، وصحّح وعلّل، وكان من بحور العلم على تشيع قليل فيه. وقال في «ميزان الاعتدال»: إمام صدوق. توفي سنة (٤٠٥ هـ). انظر: ((تاريخ بغداد)) للخطيب ٥/٤٧٣، ((الأنساب)) للسمعاني ١/٤٣٢، «المنتظم» لابن الجوزي ١٥/١٠٩، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/١٦٢، «ميزان الاعتدال» للذهبي ٣/٦٠٨، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفي (١)، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٩٢٩).

١٢١ - محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا أبو بكر الشيباني، الجوزقي النيسابوري الخراساني. الإمام الحافظ، صاحب «الصحيح» المخرّج علي كتاب مسلم، وله «المتفق والمفترق» و«الأربعون». قال أبو يعلى الخليلي: ثقة، متفق عليه، سألت عنه الحاكم، فأثنى عليه، ووثقه. توفي سنة (٣٨٨ هـ).

انظر: «الإرشاد» للخليلي ٣/٨٥٩، ((الأنساب)) للسمعاني ٢/١١٩، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦/٤٩٣.

١٢٢ - محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم أبو جعفر البوناباذي الحلقاني.

١٢٣ - محمد بن علي بن الحسين بن الحسن أبو الحسن العلوي الحسني الزيدي الهمداني، الملقب بالوصي، ولد: سنة عشر وثلاث مئة. وسمع من: إسماعيل الصفار، وخيثمة الأطرابلسي، والأصم وابن الأعرابي، وأبي الميمون بن راشد، وغيرهم. وعنه: محمد بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبي الليث الصفار، ومحمد بن عمر بن عزيز، وغيرهم. ثقة صدوق. مات سنة (٣٩٣ هـ). انظر: ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٧/٧٧.

١٢٤ - محمد بن علي بن سهل بن مصلح أبو الحسن النيسابوري الشافعي الماسرجسي شيخ الشافعية في عصره، وأحد أصحاب الوجوه. قال الحاكم: وكان من أعراف أصحابنا بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل، تفقه بخراسان والعراق والحجاز، وعقد له مجلس الدرس والنظر. توفي سنة (٣٨٤ هـ).

انظر: ((الأنساب)) للسمعاني ٥/١٧٠، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ١٦/٤٤٦، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/٣٨٠.

١٢٥ - محمد بن علي بن محمد أبو نصر الشيرازي الفقيه التاجر نزيل نيسابور، والد أبي عبيد الله الشيرازي، الفاضل الثقة الأمين. سمع عن الأصم، وأبي عبد الله الشيباني الحافظ، وأبي بكر الشافعي، وابن الصواف، وغيرهم، توفي سنة تسع وأربع مئة ودفن بباب معمر.
انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٥)، «تاريخ الإسلام» للذهبي ١٤٥/٩.

١٢٦ - محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان أبو بكر الطرازي البغدادي المقرئ. قال الخطيب: ذاهب الحديث، روى مناكير وأباطيل. وقال ابن الجزري: مقرئ محقق كامل، أخذ القراءة عرضاً على ابن مجاهد. توفي سنة (٣٨٥ هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ٣/٢٢٥، «(الأنساب)» للسمعاني ٤/٥٦، «(سير أعلام النبلاء)» للذهبي ١٦/٤٦٦، «غاية النهاية» لابن الجزري ٢/٢٣٧.

١٢٧ - محمد بن محمد بن الحسن بن هانئ أبو بكر البزاز النيسابوري.
١٢٨ - محمد بن محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن الحجّاج أبو الحسين الحجّاجي النيسابوري. الإمام الحافظ الثقة، لقبه أبو نعيم بعفان لثقة. وقال الحاكم: الصدوق الثبت. وقال الخطيب: كان ثبناً حافظاً. توفي سنة (٣٦٨ هـ).

انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب ٣/٢٢٣، «(سير أعلام النبلاء)» للذهبي ١٦/٢٤٠، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٨٦٥).

١٢٩ - محمد بن موسى بن أبان أبو بكر الأصبهاني.
١٣٠ - محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان أبو سعيد الصيرفي النيسابوري قال الصريفيني: الثقة الرضا، المشهور بالصدق والإسناد العالي. وقال الذهبي: الشيخ الثقة المأمون. توفي سنة (٤٢١ هـ).

انظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (١٧)، «(سير أعلام النبلاء)» للذهبي ١٧/٣٥٠.

انظر: «(الأنساب)» للسمعاني ٥/٣٤٤، «المنتظم» لابن الجوزي ١٤/١١٢، «(سير أعلام النبلاء)» للذهبي ١٥/٤٥٢، «غاية النهاية» لابن الجزري ١/٢٨٣، «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ٣/٣١٧، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٨٠٤).

١٣١ - منصور بن أحمد أبو صالح المشطبي.

١٣٢ - مهدي بن عبد الله بن القاسم بن الحسن أبو محمد العلوي.

- ١٣٣ - ناصر بن محمد أبو المكارم الأنصاري.
- ١٣٤ - نافل [باقل] بن راقم بن أحمد بن عبد الجبار البابي القارئ.
- ١٣٥ - هارون بن محمد بن هارون العطار. وقد ذكره الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ٣٨٣/١٧ في شيوخ ابن فنجويه.
- ١٣٦ - يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أبو زكريا المزكي النيسابوري. قال الخليلي: ثقة. وقال عبد الغافر: وكان عديم النظير ديناً، وزهداً، وورعاً، وصلاًحاً، وإتقاناً، وصدقاً، واحتياطاً في الرواية ما كان يحدث إلا من كتابه يقرأ عليه؛ فينظر في أصله. توفي سنة (٤١٤ هـ). انظر: «الإرشاد» للخليلي ٨٦٣/٣، «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» للصريفيني (ص ٤٨١)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٢٩٥/١٧، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٣٩٦/٢.
- ١٣٧ - يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن زكريا بن حرب أبو زكريا النيسابوري المزكي الحرّبي، نسبةً إلى الجد. قال السمعاني: من ثقات أهل نيسابور. وقال الذهبي: كان أديباً، أخبارياً، عالماً، متفنتاً، رئيساً، محتشماً، من أهل الصدق والأمانة علي بدعة فيه، عُمر دهرًا واحتيج إليه. توفي سنة (٣٩٤ هـ).
- انظر: ((تاريخ بغداد)) للخطيب ٢٣٨/١٤، ((الأنساب)) للسمعاني ١٩٨/٢، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٥٤٣/١٦.
- ١٣٨ - يحيى بن محمد بن الحسن بن هارون أبو القاسم المقرئ الفامي المعلم الزاهد الملقب بآذي، شيخ سديد ورع عفيف، سمع من أبي علي الرضا الهروي، وروى كتاب «الأموال» لأبي عبيد وغير ذلك من المسانيد، وقرأ عليه الحفاظ، وحدث سنة (٣٩٠ هـ) وبعدها توفي. انظر «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» (ص ٥٣٠).
- ١٣٩ - يحيى بن محمد بن يحيى أبو بشر الكاتب، النيسابوري. ذكره الذهبي، وقال: روى عن الأصم، وعلي بن حمشاذ. وتوفي في شعبان سنة (٣٩٣ هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٩٦/٢٧.
- ١٤٠ - يعقوب بن أحمد بن السري أبو القاسم الأرغواني العروضي النحوي. ولم يكن هؤلاء المشايخ في فن واحد كما ذكر في تراجمهم فمنهم الأصولي، والفقهاء، والمقرئ، واللغوي، والمتكلم...، مما كان له أثر كبير في غزارة شخصية المصنف العلمية كما سبق أن أشرنا.

المطلب الثاني: تلاميذه:

إنَّ هذا العلم ميراث النبوة، يأخذه كل جيل عن سبقه ويسلمه لمن بعده. ولا تظهر مكانة الشيخ ومعرفة قدره وفضله بشكل جلي، إلا بالوقوف على آثاره في تلامذته، فإنَّ التلميذ أثر من آثار شيخه، وثمره من ثماره، يشيع به ذكره، وينتشر علمه. وكبار الأئمة السالفين، ما كنا نعرف عنهم شيئاً لولا تلامذتهم الذين نشروا علمهم في كل مكان، وحملوا للناس في شتى البقاع آثارهم، وكم من الأئمة الذين اندثر ذكرهم، واضمحل أثرهم، وتلاشى صيتهم، بعد أن امتلأت الدنيا بسمعتهم أثناء حياتهم. وما ذاك إلا لأنهم لم يُمنحوا تلامذة يحيون ذكرهم، ويحملون عنهم علمهم. وأبو إسحاق الثعلبي كان مقصد طلاب العلم في وقته، حيث كان يفد إليه الطلاب من كل حذب وصب.

حتى إنَّ أبا الفضل العروضي شيخ أبي الحسن الواحدي تلميذ الثعلبي، عاتب تلميذه الواحدي لما تأخر في طلب العلم عن الثعلبي^(١). وقال له: أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز، تقرأه على هذا الرجل الذي يأتيه البُعداء من أقاصي البلاد^(٢) يعني أبا إسحاق الثعلبي. وكيف لا يكون الثعلبي كذلك، وهو إمام التفسير في عصره، ولو لم يكن للثعلبي إلا تفسيره ((الكشف والبيان)) لكان حقيقةً أن تُشد إليه الرحال، وتُضرب إليه أكباد الإبل. فكيف إذا عرفنا أن الثعلبي كان إماماً في علوم أخرى، كالقراءات، والوعظ، وغيرهما^(٣). وله أكثر من خمسمائة جزء كما نصَّ على ذلك تلميذه الواحدي^(٤).

إلا أنَّ الترجمة المقتضبة للإمام الثعلبي، حالت دون الوقوف على عدد كبير من تلامذته. ويكفي الثعلبي شرفاً أن الإمام أبا الحسن الواحدي من تلامذته وسأذكر الآن من وقفت عليه من تلامذته بعد البحث والتنقيب:

١. الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. الإمام العلامة، المفسر النحوي^(٥). صاحب التفاسير الثلاثة ((البسيط)) و((الوسيط))

(١) كان سبب تأخر الواحدي أنه أراد أن يُلم بالأدب أولاً، ليتدرج به إلى التفسير. كما نصَّ هو على ذلك عندما قال في جوابه لشيخه: إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب، بجَدٍّ وتعب، لم أُرَم في غرض التفسير من كُتُب. ((مقدمة البسيط)) للواحدي ١/ ٢٢٩.

(٢) ((مقدمة البسيط)) ١/ ٢٢٨.

(٣) كما سيظهر عند الكلام عن مكانته العلمية.

(٤) ((البسيط)) ١/ ٢٣٣.

(٥) ((معجم الأدباء)) ١٢/ ٢٥٧، ((إنباه الرواة)) ٢/ ٢٢٣، ((سير أعلام النبلاء)) ١٨/ ٣٣٩، ((طبقات السبكي)) ٥/ ٢٤٠، ((غاية النهاية)) ١/ ٥٢٣، ((طبقات المفسرين)) للداودي ١/ ٣٨٧.

و((الوجيز)) و((أسباب النزول)) وغيرها من المصنّفات. ويعتد أبو الحسن الواحدي أشهر تلاميذ الإمام الثعلبي، وأخصّهم به، إذ لازمه أشد ملازمة، وأخذ عنه التفسير، وروى عنه تفسيره ((الكشف والبيان))^(١).

قال عبد الغافر الفارسي في ((السياق لتاريخ نيسابور)): فأما أبو الحسن: فهو الإمام المصنّف المفسّر النحوي، أستاذ عصره، وواحد دهره، أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة وسافر في طلب الفوائد، ولازم مجالس الثعلبي في تحصيل التفسير^(٢).

وسبق آنفاً أن الواحدي ذكر في مقدمة تفسيره ((البسيط)) في أثناء كلامه عن شيخه أبي الفضل العروضي الذي أخذ عنه اللغة أن شيخه عاتبه يوماً من الأيام وقال له: إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز، تقرأه على هذا الرجل الذي يأتيه البُعْداء من أقاصي البلاد، وتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار. قال الواحدي: يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله^(٣).

قال الواحدي: ثم فرغتُ للأستاذ الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله إلى أن قال: وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، وتفسيره الكبير، وكتابه المعنون بالكامل في علم القرآن، وغيرهما^(٤).

ويلاحظ أن الواحدي ينقل كثيراً عن الثعلبي، إلا أنه لا يذكر اسمه، ولا يعزو إليه، إلا عندما يروي عنه بالسند.

مات رحمه الله بنيسابور سنة (٤٦٨ هـ).

٢. عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن محمد القطّان المعروف بأبي معشر الطّبري.

الإمام في القراءات مصنّف ((التلخيص)) و((سوق العروس)) في القراءات المشهورة والغريبة. وكتاب ((الدر)) في التفسير و((عيون المسائل)) و((طبقات القراء)) وغير ذلك.

وكان مقرئ أهل مكة في عصره، وقد روى ((تفسير الثعلبي)) عن مؤلفه، ((مسند الإمام أحمد)) و((تفسير النقاش)).

قال السبكي: وكان من فضلاء الشافعية.

(١) سيأتي بيان ذلك عند توثيق نسبه الكتاب إلى مؤلفه.

(٢) ((معجم الأدباء)) ١٢/٢٥٨، ٢٥٩.

(٣) ((البسيط)) للواحدى ١/٢٢٨.

(٤) المصدر السابق ١/٢٣٣.

وقال ابن الجزري: إمام عراف محقق، أستاذ كامل، ثقة صالح.

توفي أبو معشر سنة (٤٧٨هـ) بمكة^(١).

٣. أبو سعيد أحمد بن محمد بن علي بن نمير الخوارزمي، العلامة، الشافعي، الضرير، أحد أئمة المذهب ببغداد^(٢).

قال الخطيب البغدادي: درس على أبي حامد الإسفراييني، وسكن بغداد، ودرّس وأفتى، وكان له حلقة في جامع المنصور للفتوى والنظر، وكان حافظاً متقناً للفقه، يقال لم يكن في وقته من الشيوخ بعد أبي الطيب الطبري أفقه منه، وكان يقدّم على أبي القاسم الكرخي، وأبي نصر الثابتي، وحدث عن أبي القاسم بن الصيدلاني. كتب عنه، وكان صدوقاً^(٣).
والخوارزمي هذا روى تفسير الثعلبي عن شيخه.

والإمام البغوي رحمه الله روى تفسير الثعلبي عن الخوارزمي كما نصّ على ذلك في مقدمة تفسيره ((معالم التنزيل))^(٤).

توفي أبو سعيد سنة (٤٤٨هـ).

٤. أحمد بن خلف الشيرازي

روى تفسير الثعلبي عن شيخه.

ومن طريق الشيرازي: روى ابن الأثير تفسير الثعلبي، في كتابه ((أسد الغابة في معرفة الصحابة))^(٥).

٥. أبو سعيد محمد بن سعيد بن محمد الفُرْخَرَادِي، أو الفَرْخَوَارِي الطوسي.

راوي تفسير ((الكشف والبيان)) عن شيخه.

ومن طريقه روى عدد من العلماء تفسير الثعلبي. ومن هؤلاء: أبو سعد السمعاني في ((أنسابه))^(٦). وأبو محمد العباس بن محمد بن أبي منصور الطابراني الطوسي^(٧).

(١) ((معرفة القراء الكبار)) للذهبي ٤٣٥/١، ((طبقات السبكي)) ١٥٢/٥، ((غاية النهاية)) ٤٠١/١، ((طبقات الداودي)) ٣٣٢/١.

(٢) ((تاريخ بغداد)) ٧١/٥، ((سير أعلام النبلاء)) ٨/١٨، ((طبقات الشافعية)) للسبكي ٨٣/٤، ((طبقات الشافعية)) للأسنوي ٥٣/٢.

(٣) ((تاريخ بغداد)) ٧١/٥.

(٤) ٢٨/١.

(٥) ((أسد الغابة)) ١١٥/١.

(٦) ((الأنساب)) للسمعاني ٤٣/٤.

(٧) ((سير أعلام النبلاء)) ٢٠/٢٨٩.

المبحث الخامس

عقيدته ومذهبه الفقهي

المطلب الأول عقيدته:

لم يتعرض الإمام الثعلبي رحمه الله لبيان اعتقاده في مؤلف خاص كما جرت به عادة بعض المتقدمين، إلا أنه من خلال تفسيره لكلام الله عز وجل كان لزاماً عليه أن يتعرض للكثير من المباحث العقيدية ويبين عن رأيه فيها.

وليس بوسعنا في هذا المقام أن نعرض لجميع المواطن التي ناقش الثعلبي فيها مباحث عقيدية وإن كان هذا الأمر مهماً لمن أراد أن يصدر عن رأي دقيق وتفصيلي حول منهج هذا الإمام في إثبات مسائل العقيدة.

ولكن حسبنا في مثل هذه العجالة أن نعرض لبعض المواضع التي عبر فيها المصنف عن آرائه حول بعض مسائل الاعتقاد التي تلقي الضوء على المنهج العام الذي سار عليه المصنف رحمه الله في تناول مسائل العقيدة، فنقول وبالله التوفيق:

إن المتأمل لتفسير أبي إسحاق يجد أنه تعرض من خلاله لكثير من مباحث العقيدة المتنوعة، فقد تعرض لمسائل الإيمان، والقدر، واليوم الآخر، والنبوات، والتوحيد وغيرها من المباحث. وكان في أكثر هذه المباحث مبيناً عن الحق بدليله، ذاباً عن منهج أهل السنة والجماعة، راداً على الفرق الضالة والمنحرفة.

فنجده يعرض عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ للإيمان وحقيقته، ويعقد لذلك فصلاً يقرر فيه أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة مؤلف من القول والاعتقاد والعمل، واستدل لذلك بأحاديث أخرجهما بسنده.

ثم هو عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، نجده يبين عن مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بزيادة الإيمان ونقصانه، فنجده يسوق في ذلك الآثار فيقول: قال مجاهد في هذه الآية: الإيمان يزيد وينقص، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وزن إيمان

أبي بكر رضي الله عنه بإيمان أهل الأرض لرجحهم، بلي إن الإيمان ليزيد وينقص. قالها ثلاث مرات. وروى زبيد الياامي عن ذر قال: كان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيماناً.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب كلما ازداد الإيمان عظماً ازداد البياض حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله. وإيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان سنناً وشرائع وحدوداً وفرائض من استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.

وقال ابن المبارك: لم أجد بدءاً من الإقرار بزيادة الإيمان أو أردّ كتاب الله تعالى.

ونجد المصنف رحمه الله عند قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، يذكر أقوال الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، ثم يرد عليهم. ثم يبين العقيدة الصحيحة في هذه المسألة بقوله: وعندنا أن المؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً فإنه لا يكفر بقتله، ولا يخرج به عن الإيمان إلا إذا فعل ذلك على جهة الاستحلال والديانة^(١). وذكر الأدلة على هذا. وهذا القول الذي قرره هو قول أهل السنة والجماعة^(٢).

وكذلك نجد الثعلبي يقرّر العقيدة الصحيحة في مسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة عند قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۖ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، فيثبت الرؤية كما أثبتها أهل السنة والجماعة، مستدلاً على ذلك بنصوص الكتاب والسنة. خلافاً لما ذهب إليه المعتزلة إذ نفوا هذه الرؤية.

وها هو يستفتح تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بإسناده لحديث أنس رضي الله عنه في تفسير النبي ﷺ للزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، ويبين أن ذلك هو قول أبي بكر وحذيفة وأبي موسى

(١) انظر: ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ١/ ١٤، ١٥، ٣٦.

(٢) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) ص ٢١١.

وصهيب وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن سابط والحسن وعكرمة وأبي الجوزاء والضحاك والسدي وعطاء ومقاتل، ثم يردف ذلك ببعض الآثار المسندة الدالة على ذلك.

وفي مقابل هذا التقرير الموفق لمنهج أهل السنة والجماعة في هذه المباحث نجده قد خالف هذا المنهج في مسألة إثبات الصفات، فقد سلك في تقرير الصفات مسلك الأشاعرة^(١) الذين يقوم مذهبهم على إثبات صفات المعاني، وتأويل الصفات الخبرية كاليد والوجه والمحبة والكره وغيرها.

ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن المصنف قد تتلمذ على أعلام المذهب الأشعري أمثال ابن فورك وأبي إسحاق الإسفراييني وغيرهما، مما كان له بالغ الأثر في آراء أبي إسحاق الاعتقادية خاصة ما يتعلق بالصفات، وقد أظهر مذهبه هذا، وناصح عنه، وهاجم خصومه. ومن الأمثلة على ذلك^(٢):

١ - تأويل صفة الرحمة: في قوله تعالى ﴿الرحمن الرحيم﴾:

إذ ذكر الثعلبي قولين في صفة الرحمة، قال: والرحمة: إرادة الله الخير لأهله، وهي على هذا القول صفة ذات.

وقيل: هي ترك عقوبة من استحق العقوبة، وابتداء الخير على من لا يستحق، وعلى هذا القول صفة فعل.

وهكذا سلك الثعلبي مسلك التأويل، فقام بصرف الآية عن معناها الظاهر. والحق في هذا الباب أن الآية دلت على أن الرحمة من صفات الله جل شأنه، فنثبت صفة الرحمة له سبحانه على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٣).

(١) الأشاعرة هم الذين ينتسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤) وهم يخالفون أهل السنة والجماعة في عدة مسائل، منها أنهم يثبتون لله سبع صفات، وهي التي دل عليها العقل، ويؤولون ما عداها. أما أهل السنة والجماعة: فيثبتون لله ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، على حدّ قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. علماً بأن أبا الحسن الأشعري الذي ينتسب إليه الأشاعرة، قد عاد عن ذلك التأويل، وأناوب إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وأعلن ذلك في كتابه ((الإبانة عن أصول الديانة)) (ص ٢٠).

وانظر: ((جامع الفرق والمذاهب الإسلامية)) (ص ٢٠)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٥٠٦/٢، وكتاب ((بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة)) (ص ٥٠).

(٢) انظر: ((المفسرون بين التأويل والإثبات)) للمغراوي ٦/٢ وما بعدها.

(٣) وسيأتي الكلام على هذه التأويلات في مواضعها إن شاء الله من التفسير.

٢- تأويل صفة الغضب:

لما فسر الثعلبي قوله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: واختلفوا في معنى الغضب من الله عز وجل: فقال قوم: هو إرادة الله الانتقام من العصاة. وقيل: هو جنس من العقاب يضاد الرضا. وقيل: هو ذم العصاة على قبيح أفعالهم. والحق في هذا المقام أن يقال: إن الآية دلت على أن الله جل شأنه من صفاته الغضب. فنثبت صفة الغضب لله سبحانه على ما يليق بجلاله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

٣- تفسير الإله بالقادر على الاختراع:

حيث قال عند تفسير لفظ الجلالة ﴿الله﴾. وقال قوم: إلهيته من صفات ذاته، وهي قدرته على الاختراع. وتفسير الإله، بالقادر على الاختراع، هو منهج المتكلمين، كما حكاها عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولذا ذكر الواحدي في ((السيط)) هذا القول وقال: وعند متكلمي أصحابنا: أن الإله من له الإلهية، والإلهية القدرة على اختراع الأعيان^(١).

٤- نفي صفة الإتيان والمجيء لله عز وجل:

عند قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] نراه يحاول تأويل الآية بتقدير أن (في) بمعنى الباء، ثم قال: وعلى هذا التأويل زال الإشكال، وسهل الأمر. ثم ذكر قول أبي الحسن الأشعري دون التصريح باسمه، ومال إليه، فقال: وقالت طائفة من أهل الحقائق: إن الله - عز وجل - يحدث فعلاً يسميه إتياناً؛ كما أحدث فعلاً سماه نزولاً بلا آلة ولا علة. ثم يذكر قولاً من اختياره إذ قال: ويحتمل أن يكون معنى الإتيان هاهنا راجعاً إلى الجزاء، فسمى الجزاء إتياناً كما سمي التخريب، والتعذيب في قصة نمرود إتياناً. ثم يخلص إلى قول جمع فيه بين رأيه الأخير وقول أبي الحسن، قال: فمعنى الآية: هل ينظرون إلا أن يظهر الله - عز وجل - فعلاً من أفعاله مع خلق من خلقه، فيقصد إلى مجازاتهم^(٢).

(١) ((السيط)) (ص ٢٥٩، ٢٦٠).

(٢) انظر ((المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات)) للدكتور محمد المغراوي ٦/٢.

ولا شك أن هذا تأويل فاسد بعيد، فيه نفي لصفة الإتيان والمجيء لله - سبحانه وتعالى - بما يليق بجلاله وعظمته.

ومن الأمثلة الأخرى أيضًا:

عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال: قال أهل المعاني: فيه إضمار، كأنه قال: فقل لهم؛ أو فأعلمهم (أني قريب) منهم بالعلم.

وهو يطلق بعض الألفاظ العقلية التي يكثر من إطلاقها الأشاعرة مثل: متمكن، متناهي، محدود، التي لم ترد في القرآن الكريم، ولا السنة المطهرة، ولا عن أحد من السلف الصالح. وهناك جوانب أخرى تتعلق بعقيدة المصنف ستأتي إن شاء الله عند الكلام عن منهجه في تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق، والكلام عن التفسير الصوفي الإشاري، وموقف الثعلبي منه ومنهم عند الحديث عن منهج المصنف في كتابه.

ونخلص من ذلك إلى أن المصنف رحمه الله، وإن كان في غالب أبواب الاعتقاد على مذهب أهل السنة عمومًا إلا أنه في مسائل الصفات كان مؤولًا على طريقة الأشاعرة، لذا يصدق عليه وصف أبي العباس ابن تيمية حين قال: (الثعلبي فيه سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليدًا لغيره)^(١).

المطلب الثاني: مذهبه الفقهي:

أبو إسحاق الثعلبي كان شافعي المذهب. ومن أجل ذلك ذكره الذين ألفوا في طبقات الشافعية. فقد ذكره السبكي^(٢)، والأسنوي^(٣)، وابن قاضي شعبة^(٤)، وغيرهم.

يقول الأسنوي: ذكره ابن الصلاح، والنووي من الفقهاء الشافعية.

وقال السبكي لما ترجم له: ومن المسائل عنه: ذهب الثعلبي إلى أن الدم الباقي على اللحم وعظامه غير نجس. قال: لمشقة الاحتراز عنه.

قال: ولأن النهي إنما ورد عن الدم المسفوح، وهو السائل.

(١) انظر ((مجموع الفتاوى)) ٣٨٥ / ١٣.

(٢) ((طبقات الشافعية الكبرى)) ٥٨ / ٤.

(٣) ((طبقات الأسنوي)) ١٥٩ / ١.

(٤) ((طبقات الشافعية)) ٢٠٢ / ١ - ٢٠٣.

بل إنَّ الثعلبي صرَّح بذلك بنفسه عند ذكر بعض المسائل في تفسيره، فتراه يقول مثلاً: قال أصحابنا أو وفي المذهب كذا أو مذهبنا كذا أو الأظهر في المذهب كذا. يعني بذلك كله المذهب الشافعي^(١).
وسياتي تفصيل ذلك عند الكلام حول منهج الثعلبي من الناحية الفقهية.



(١) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ١/٦٢.

المبحث السادس

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

المطلب الأول مكانته العلمية:

تسبّم الثعلبي رحمه الله مكانة علمية مرموقة، واحتل مقامًا رفيعًا بين علماء عصره، حتى كان الناس يأتون إليه من قاصي البلاد ودانيها.

ومن ينظر في ثناء العلماء عليه، وتبجيلهم له، يدرك تلك المنزلة، وذلك العلو. ومن يطالع تفسيره، وما حواه من العلوم والمعارف، على مختلف أنواعها، وتعدد فنونها، يعلم يقينًا أنّ أبا إسحاق الثعلبي كان موسوعة علمية، وكان بحرًا لا تكدره الدلاء.

العلوم التي برز فيها^(١):

علم التفسير:

وكفي للدلالة على بروزه في هذا العلم، كتابه الموسوعي: ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) الذي برهن من خلاله على علوّ كعبه في هذا العلم. حتى قال فيه ابن خلكان: كان أوحّد زمانه في علم التفسير^(٢).

وذكر تلميذه الواحدي أن الناس كانوا يأتون إليه من أقاصي البلاد ودانيها، كي يسمعوا منه التفسير، ويتلقونه عنه^(٣).

وبروز الثعلبي في التفسير يدل على بروزه في علوم أخرى، وذلك لأنّ العلوم الشرعية مترابطة، والمفسّر لا يكون مفسّرًا، حتى يلمّ بالعلوم الأخرى التي تمكّنه من التفسير، إذ يلزمه مثلاً أن يكون عالمًا بالسنة حتى يفسّر بها القرآن، وأن يكون مُلمًّا باللغة، من نحوٍ، وأدب، وغيرهما. ولا بد أن يكون على علم بالقراءات، وعلوم القرآن، وعلى علم بالفقه، والأحكام، وأصول الفقه، وغير ذلك من العلوم والمعارف، خاصة وأن علماءنا الأوائل لم يكونوا يتحيّزون

(١) ((تفصيل البروز العلمي)) للثعلبي في هذه العلوم يتجلى عند الكلام عن منهجه في إيراد هذه العلوم في تفسيره.

(٢) ((وفيات الأعيان)) ١/ ٩٩.

(٣) ((البسيط)) ١/ ٢٢٨.

في جانب تخصصي واحد، بل كان طلبهم للعلم -آنذاك- شاملاً لجميع العلوم الشرعية. ولذا فالثعلبي رحمه الله كانت له مكانة أيضاً في علوم أخرى منها:
علم القراءات:

ذكره ابن الجزري في طبقات القراء فقال: إمام بارع مشهور، روى القراءة عن علي بن محمد الطرازي، روى عنه القراءة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي^(١). والذين ترجموا له وصفوه بالمقرئ. كما سيأتي في ثناء العلماء عليه. والذي ينظر في تفسير الثعلبي وما حواه من القراءات، ويرى توجيه الثعلبي لتلك القراءات، يعلم مكانة الرجل في هذا العلم.

علم الحديث:

إنَّ من يقف على مرويات الثعلبي وأسانيده في تفسيره، يعلم أن هذا الرجل كان راويةً بحق، وكيف لا يكون كذلك، وهو قد جمع من ثلاث مائة شيخ كما ذكر في مقدمة تفسيره، وروايته لم تقتصر على الحديث، وإنما كان يروي أقوال المفسرين بأسانيده، بل ويروي أبيات الشعر والأقوال الأخرى بإسناده.

وهو وإن كان غير مفتش لما يرويه من الأحاديث ففيها الصحيح، والضعيف، والموضوع إلا أن هذا الكم الهائل من المرويات تدل على كثرة حديثه، وكثرة شيوخه، وسعة روايته^(٢). ولذا فقد وصفه بالحافظ كثير ممن ترجم له كما سيأتي.

علم الفقه:

تبين لنا في المبحث السابق، أن الثعلبي رحمه الله كان فقيهاً شافعيًا. وتفسيره مليء بالمسائل الفقهية، والأصولية، وعرض الثعلبي للمسائل الفقهية، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وترجيحه بين الأقوال، وردوده على المخالفين دليل على قدمه الراسخة في هذا العلم. وسيأتي بيان ذلك عند الكلام عن منهجه.

(١) ((غاية النهاية)) ١/ ١٠٠.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن منهج المؤلف في الرواية، وسوق الأسانيد.

الوعظ:

وُصف بالواعظ^(١)، بل قال الذهبي: طويل الباع في الوعظ^(٢)، وهو واعظ بحق، رحمه الله. وخير دليل على ذلك هو تأليف لكتاب في الوعظ اسمه ربيع المذكرين كما سيأتي في مؤلفاته، بل إن تفسيره مشحون بعبارات الوعظ والتذكير، وحكايات الزهاد، وقصص العباد.

علم اللغة والأدب:

ولذا فقد وصفه بالأديب جماعة ممن ترجموا له، وذكره المؤلفون ضمن تراجم اللغويين والأدباء، فقد ذكره القفطي في ((إنباه الرواة في أخبار النُّحاة))^(٣)، وياقوت الحموي في ((معجم الأدباء))^(٤)، والسيوطي في ((بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة))^(٥).

ووصفه العلماء بأنه كان عالماً بوجوه الإعراب والقراءات، ورأساً في العربية بصيراً بها كما سيأتي في ثناء العلماء عليه.

ويدرك إمامته في اللغة والأدب من ينظر في تفسيره، ويقف على تلك المباحث اللغوية الرائعة، والكم الهائل من الأبيات الشعرية. بل إنه رحمه الله كان يقول الشعر، ومن شعره:

وإني لأدعو الله والأمرُ ضيِّقُ

ورُبَّ فتى سُدَّتْ عليه وجوهه

عليّ فما ينفك أن يتفرَّجاً

أصابَ له في دعوةٍ مخرجا^(٦)

علم التاريخ:

الناظر لتفسير الثعلبي رحمه الله يدرك تماماً أنه أمام شخصية تاريخية تُعنى بذكر الأحداث، وتستطرد في تفصيلاتها لأدنى مناسبة، وقد لمس هذا الجانب بعض من ترجم له، فقال الزركلي في «الأعلام»: له اشتغال بالتاريخ^(٧).

(١) انظر على سبيل المثال ((المنتخب من السياق)) (١٩٧)، ((إنباه الرواة)) ١ / ١٥٤، ((معجم الأدباء)) ٣٦ / ٥.

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ٤٣٥ / ١٧.

(٣) ١٥٤ / ١.

(٤) ٣٦ / ٥.

(٥) ٣٥٦ / ١.

(٦) ((طبقات المفسرين للدودي)) ٦٦ / ١.

(٧) ((الأعلام)) ٢١٢ / ١.

ونعته بالأخباري رضا كحالة في كتابه ((علوم الدين الإسلامي))^(١).

المطلب الثاني ثناء العلماء عليه:

إنَّ من أعظم الدلائل على مكانة الإمام الثعلبي، وعلو شأنه، ورفعة قدره، ثناء العلماء عليه، ومدحهم له، وتوثيقهم إياه، وإليك بعض عباراتهم في ذلك:

١- قال عبد الغافر الفارسي في كتابه ((السياق لتاريخ نيسابور)): الأستاذ المقرئ، المفسر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، وهو صحيح النقل، موثق به.. كثير الحديث، كثير الشيوخ^(٢).

٢- وقال تلميذه أبو الحسن الواحدي: كان حبر العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم.. فمن أدركه وصحبه علم أنَّه كان منقطع القرين، ومن لم يدركه فليُنظر في مصنفاته ليستدل بها على أنه كان بحرًا لا يُنَزَف، وغَمْرًا لا يُسَبَّر^(٣).

٣- وقال أبو الحسن القفطي: المقرئ المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات^(٤).

٤- وقال ابن خلكان: المفسر المشهور، كان أوحد زمانه في علم التفسير^(٥).

٥- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين^(٦).

٦- وقال الذهبي في ((السير)): الإمام الحافظ العلامة، شيخ التفسير، كان أحد أوعية العلم، وكان صادقًا موثقًا، بصيرًا بالعربية، طويل الباع في الوعظ^(٧).

٧- وقال في ((العبر)): كان حافظًا واعظًا، رأسًا في التفسير، والعربية، متين الديانة^(٨).

(١) (ص ٦٦). وقد أشاد بالثعلبي في هذا الجانب أ. د. علي عبد الله الدفّاع في مقال له بجريدة (اليوم) السعودية في زاويته (روائع الحضارة العربية والإسلامية) بتاريخ: ١٧ / ١١ / ١٤١٧ هـ.

(٢) ((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) (١٩٧).

(٣) ((البسيط)) ١ / ٢٣٣.

(٤) ((إنباه الرواة)) ١ / ١٥٤.

(٥) ((وفيات الأعيان)) ١ / ٩٩.

(٦) ((مقدمة في أصول التفسير)) (ص ٦٦).

(٧) ((سير أعلام النبلاء)) ١٧ / ٤٣٥.

(٨) ((العبر)) ٢ / ٢٥٦.

- ٨- وقال السبكي: كان أُوحد زمانه في علم القرآن^(١).
 ٩- وقال ابن الجزري: إمام بارعٌ مشهور^(٢).
 ١٠- وقال الحافظ ابن كثير: كان كثير الحديث، واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير^(٣).



(١) ((طبقات الشافعية الكبرى)) ٥٨/٤.

(٢) ((غاية النهاية)) ١٠٠/١.

(٣) ((البداية والنهاية)) ٤٠/١٢.

المبحث السابع

مؤلفاته

لقد خلّف لنا الإمام الثعلبي تراثاً علمياً عظيماً، تمثل في أكثر من خمسمائة جزء كما ذكر ذلك تلميذه الملازم له الواحدي^(١).

وهذه المصنّفات ما هي إلا نتاج العلم الغزير الذي يحمله أبو إسحاق الثعلبي، وهي دليل على أن الإمام الثعلبي قرن العلم بالعمل، والقول بالفعل، فألّف تلك المؤلفات العظيمة، التي نهل منها طلاب العلم، وأفاد الثعلبي بها الأمة.

وليس ذلك بغريب، على رجل اجتهد في الطلب والتحصيل، فوصل الظلام بالضياء، والصباح بالمساء، بعزم أكيد، وجهد جهيد، حتى رحل الناس إليه من أقاصي البلاد فضلاً عن دانيها.

ولكنّ هذا التراث العظيم، وهذه المؤلفات الضخمة، حُرمت منها الأمة الإسلامية، فلم يصل لنا منها إلا النّزر اليسير.

وغاية ما وصلتُ إلى معرفته من مؤلفات الثعلبي ما يلي:

١ - قصص الأنبياء. المُسمّى ((عرائس المجالس)).

وهو مطبوع كاملاً، وقد طبع منه أجزاء مفردة لثلاث قصص مطولة ذكرت فيه، هي (قصة شمشون النبي ﷺ، قصة يوسف ﷺ، قصة موسى ﷺ) وقد طبعت هذه الأجزاء الثلاثة بالقاهرة سنة (١٢٧٩ هـ) وسنة (١٢٩٩ هـ) كلّ على حدة.

وللكتاب كاملاً عدة نسخ خطية مذكورة في ((الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط)) ١ / ٨٢، وذكر فيه للكتاب أسم آخر وهو ((نفائس العرائس ونزهة العيون والمجالس)).

وقد ذكر فيه المصنف قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويذكر قصص من له تعلق بهم، كهلاك النمرود بن كنعان، وقصة مؤمن آل فرعون، ونحو ذلك.

(١) ((البسيط)) للواحدي ١ / ٢٣٣.

وهو مليء بالقصص الغريبة والإسرائيليات كما هي عادة الكتب المؤلفة في هذا الشأن إلا ما ندر وهذه القصص يرويها الثعلبي أحياناً بإسناده. ويذكر أحياناً أخرى الأقوال معزوةً إلى قائلها.

وينقل كثيراً عن أهل السير والأخبار، أمثال محمد بن إسحاق، وغيره. وأحياناً يعزو على سبيل الإجمال، فيقول: قالت العلماء بأخبار الماضين، وأمور الأمم السابقين. ويصدر المؤلف كل قصة يوردها بما جاء فيها من القرآن الكريم، فيذكر الآيات التي نزلت في ذلك النبي، أو غيره، أو في القصة التي يسوقها.

وقسم الثعلبي كتابه هذا إلى أبواب، وفصول، ومجالس. والذين ترجموا للثعلبي أطبقوا جميعاً على نسبة هذا الكتاب له^(١). ومن له اطلاع ونظر في تفسير الثعلبي، ومعرفة بشيوخه، لا يشك في نسبة هذا الكتاب إليه.

٢- نفائس العرائس وواقيت التيجان في قصص القرآن. ذكره بروكلمان ونسبه للثعلبي، وذكر له عدة نسخ خطية. وذكر أيضاً أن هذا الكتاب طبع بالعربية بمصر، وبومباي، وكشمير تحت عنوان ((عرائس التيجان)) سنة ١٢٩٥ هـ، ١٣٠٦ هـ، وتُرجم إلى اللغة التركية^(٢).

٣- قتلى القرآن العظيم الذين سمعوا القرآن وماتوا بسماحه. وهو مخطوط، وله نسختان في ليدن، وأيا صوفيا^(٣). وله ذكر في آخر «تاريخ جرجان» على أنه من مسموعات عبد القادر الرهاوي عن عبد الغني المقدسي، سنة ٥٩٦ هـ^(٤).

٤ - الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة. ذكره بروكلمان، وذكر له نسخة خطية في راغب باشا بتركيا (١٠٧٩) وقال: لعله لأبي منصور الثعالبي وجاء في هامش كتاب بروكلمان ما نصّه: لعله لحمزة بن الحسن الأصفهاني^(٥). ٥ - الكامل في علوم القرآن.

(١) انظر: ((مصادر ترجمة الثعلبي)) في المبحث الأول.

(٢) ((تاريخ الأدب العربي)) ١٥٣/٦.

(٣) ((تاريخ الأدب العربي)) ١٥٤/٦، ((الفهرس الشامل)) ٨٨/١.

(٤) ((تاريخ جرجان)) للسهمي (ص ٥٦١).

(٥) ((تاريخ الأدب العربي)) ١٥٣/٦.

ذكره الواحدي في مقدمة تفسيره ((السيط)) وذكر أنه قرأه على شيخه الثعلبي^(١).

وهو ضمن كتبه المفقودة.

٦ - ربيع المذكّرين.

نسبه إليه عبد الغافر الفارسي، والسيوطي، والداودي، وغيرهم^(٢)، وهو مفقود.

٧ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن.

وهو أجلُّ كتب الثعلبي. وهو هذا السّفر العظيم، الذي بين أيدينا، وستأتي دراسة وافية شاملة عن هذا الكتاب، تعريفًا، وإثباتًا، ومنهجًا في الفصل الثاني من هذه المقدمة إن شاء الله.



(١) ((السيط)) ١/ ٤٢٥.

(٢) ((معجم الأدباء)) ٣٦/ ٥، ((طبقات المفسرين)) للسيوطي (ص ١٧)، ((طبقات الداودي)) ١/ ٦٦، ((هدية العارفين)) ٥/ ٧٥، ((معجم المؤلفين)) ١/ ٢٣٨.

المبحث الثامن

وفاته

توفي أبو إسحاق الثعلبي في المحرم، من سنة سبع وعشرين وأربعمائة للهجرة (٤٢٧هـ) بنيسابور.

هذا قول عامة الذين ترجموا للإمام الثعلبي رحمه الله تعالى^(١) وأولهم عبد الغافر الفارسي في كتابه ((السياق لتاريخ نيسابور)) إلا أن ابن خلّكان في ((وفيات الأعيان)) حكى عن غيره قولاً آخر، هو أن الثعلبي توفي يوم الأربعاء، لسبع بقين من المحرم، سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (٤٣٧هـ)^(٢). وقد حاول الأسنوي في ((طبقات الشافعية)) توجيه هذا القول الذي نقله ابن خلّكان فقال: قلت: الثعلبي أديب، صاحب نظم ونثر وتاريخ، واسمه عبد الملك وكنيته أبو منصور، وسُمّي بذلك لأنه كان فراءً يخطط جلود الثعالب، وتوفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ولمّا توهّم ابن خلّكان أنها واحد، وتبعاً لمن وقع فيه قبله، جعل هذا قولاً آخر في موته، ففطن لذلك^(٣). وهذا التوجيه من الأسنوي فيه نظر، إذ لم أقف على من قال بأن الثعلبي أبا منصور توفي سنة (٤٣٧هـ) حتى يحصل هذا الوهم.

وغاية ما وجدته من الأقوال في وفاة أبي منصور أنه توفي سنة (٤٢٧هـ) كما ذكر الأسنوي، وقيل: سنة (٤٢٩هـ) كما ذكر ابن كثير^(٤)، وقيل: سنة (٤٣٠هـ) كما ذكر الذهبي، وابن العماد^(٥). والقول الصحيح في وفاة أبي إسحاق الثعلبي هو سنة (٤٢٧هـ) لاسيما وهو قول عبد الغافر الفارسي، وهو أدري برجال نيسابور.

ثم إن ابن خلطان لم يبيّن قائل ذلك القول. وإنما عزاه على وجه الإجمال. والأقرب أن يكون الرقم قد تصحّف من سبع وعشرين إلى سبع وثلاثين. لا سيما والعددان قريبان من بعضهما. والله أعلم.

(١) انظر مصادر ترجمة الثعلبي المذكورة في بداية المبحث الأول من ترجمة المؤلف.

(٢) ((وفيات الأعيان)) ١/ ١٠٠.

(٣) ((طبقات الشافعية)) ١/ ١٥٩.

(٤) ((البداية والنهاية)) ١٢/ ٤٩١.

(٥) ((سير أعلام النبلاء)) ١٧/ ٤٣٧، ((شذرات الذهب)) ٣/ ٤٠٧.

الفصل الثاني

التعريف بكتاب (الكشف والبيان)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان اسم الكتاب.

المطلب الثاني: إثبات نسبته للثعلبي رحمه الله.

المبحث الثاني: مصادر المصنف في كتابه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مميزات هذه المصادر.

المطلب الثاني: ذكر هذه المصادر، وفيه تسعة أقسام:

أولاً: تفسير ابن عباس.

ثانياً: تفاسير التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير.

ثالثاً: مصادره من تفاسير شيوخه، وعنون لها بـ ((مصنفات أهل العصر)).

رابعاً: مصادره من كتب الوجوه والنظائر.

خامساً: مصادره من كتب معاني القرآن.

سادساً: مصادره من المؤلفات في غريب القرآن.

سابعاً: مصادره من كتب تأويل مُشكل القرآن.

ثامناً: مصادره من كتب القراءات.

تاسعاً: مصادره من كتب المغازي والسّير والتاريخ.

المبحث الثالث: منهج المصنف في كتابه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج المصنف إجمالاً من خلال مقدمته. وفيه:

أولاً: أقسام المصنفين في التفسير.

ثانياً: سبب تأليف الكتاب.

ثالثاً: وصف الكتاب.

- رابعاً: منهجه وعمله في التفسير.
- خامساً: مصادره في كتابه من خلال مقدمته:
- سادساً: أنواع المادة العلمية في «الكشف والبيان»:
- المطلب الثاني: منهج المصنف في كتابه مفصلاً
- ويشتمل على بيان منهجه في الأمور التالية:
- أولاً: طرق التفسير التي أنتهجها المصنف:
- أ- تفسير القرآن بالقرآن.
- ب- تفسير القرآن بالسنة.
- ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
- د- تفاسير التابعين.
- هـ- تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم.
- والإسرائيليات وموقف الثعلبي منها.
- ز- التفسير الصوفي والإشاري وموقف الثعلبي منه.
- ثانياً: علوم القرآن.
- أ- أسماء السور.
- ب- عدد آيات السورة، وكلماتها وحروفها.
- ج- المكّي والمدني.
- د- أسباب النزول.
- هـ- الوقف والابتداء.
- و- القراءات.
- ز- النسخ والمنسوخ.
- ح- الربط والمناسبة بين الآيات.
- ط- آخر ما نزل من القرآن.
- ثالثاً: منهجه الحديثي والرواية بالإسناد.
- رابعاً: تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق.
- خامساً: الجانب الفقهي.

سادساً: اللغة العربية، واعتماد الثعلبي عليها.
سابعاً: الجانب التاريخي.
المبحث الرابع: أهمية الكتاب، وقيّمته العلمية.
ويشتمل على أربعة مطالب:
المطلب الأول: ثناء العلماء على الكتاب.
المطلب الثاني: مميزات هذا التفسير.
المطلب الثالث: عناية العلماء به واستفادتهم منه.
المطلب الرابع: المآخذ على تفسير ((الكشف والبيان)) ومناقشتها.

المبحث الأول

بيان اسم الكتاب وإثبات نسبته إلى مؤلفه

المطلب الأول: بيان اسم الكتاب.

- تفسير الثعلبي اسمه ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) وهذا الاسم للتفسير ثابت ثبوتاً قطعياً، لا يتطرق إليه أدنى شك أو احتمال. وذلك لأدلة كثيرة، قوية ومتعاضدة منها:
- ١- أنَّ الثعلبي بنفسه رحمه الله صرَّح في مقدمة تفسيره أنَّه سمى تفسيره بهذا الاسم. حيث قال: وسمَّيته كتاب ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)).
 - ولو لم يكن إلا هذا الكفى دليلاً على هذا الاسم. فكيف إذا ضُمَّت إليه الأدلة التالية:
 - ٢- أنَّ تلميذه الملازم له، وراوي تفسيره أبا الحسن الواحدي قد سمَّاه بهذا الاسم أيضاً. حيث قال في مقدمة تفسيره (البسيط) في معرض ثنائه على شيخه الثعلبي: وله التفسير الملقَّب ((بالكشف والبيان عن تفسير القرآن))^(١).
 - ٣- أنَّ الذين رووا هذا التفسير بالإسناد عن الثعلبين سمَّوه في روايتهم بـ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) ومن هؤلاء:
 - أ- ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) في فهرست ما رواه عن شيوخه^(٢).
 - ب- عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه ((أسد الغابة))^(٣).
 - ٤- أنَّ هذا الاسم هو الموجود على النسخ الخطية للكتاب.
- وكذلك في الكتب التي ذكرت مخطوطات التفسير مثل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط^(٤).

(١) ((البسيط)) ١/ ٤٢٤.

(٢) ((فهرسة ابن خير)) (ص ٥٣).

(٣) ((أسد الغابة)) ١/ ١١٥.

(٤) ((الفهرس الشامل)) ١/ ٨٣.

٥- ذكّر هذا الاسم في المؤلفات التي اعتنت بجمع أسماء الكتب والعلوم، مثل: ((كشف الظنون))^(١)، و((هدية العرافين))^(٢)، و((معجم المؤلفين))^(٣). وهكذا أثبت لنا الدلائل السابقة بما لا يدع مجالاً للشك أن اسم هذا التفسير هو ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)).

المطلب الثاني إثبات نسبة الكتاب إلى الثعلبي رحمه الله.

بعد أن ثبت لدينا أن اسم تفسير الثعلبي هو ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) نأتي بعد ذلك إلى إثبات نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الثعلبي. فنقول: إن نسبة هذا الكتاب إلى الثعلبي ثابتة ثبوتاً قوياً، وذلك من خلال الأدلة القويّة، والبراهين الساطعة، التي أثبتت أنّها إثبات أن هذا التفسير هو للثعلبي، حتى غدا ذلك أمراً واضحاً مشهوراً، لا يقبل المراء ولا الاختلاف.

ومن الأدلة المثبتة لنسبة الكشف والبيان إلى الإمام الثعلبي ما يلي:

١- رواية الكتاب بالإسناد المتصل إلى مؤلفه. ومن الذين رَوَوْا هذا التفسير:

أ- أبو الحسن الواحدي التلميذ المشهور للإمام الثعلبي وراويّة تفسيره.

ففي بداية النسخة المحمودية ((الأصل)) للكشف والبيان، ذكر إسناد متصل، يرويّه المقرئ أبو عمران موسى بن علي بن الحسن الجزري، عن شيخه الإمام الأوحّد الحافظ أبي محمد عبد الله بن علي التكريتي في شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ الإمام بقية الشرق أبو الفضل بن أبي الخير اليميني، قال: أخبرنا الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، قال: أخبرنا المصنّف أبو إسحاق الثعلبي^(٤).

ب- وروى التفسير من طريق آخر عن الواحدي أيضاً حيث رواه ابن خير الإشبيلي في ((فهرسة ما رواه عن شيوخه)) عن شيخه القاضي عياض بسنده إلى الواحدي عن الثعلبي. فقد قال الإشبيلي: كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تصنيف الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله.

(١) ١٤٩/٢.

(٢) ٧٥/٥.

(٣) ٢٣٨/١.

(٤) (النسخة المحمودية) الأصل ق ١/أ.

حدثني به الفقيه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله إجازة فيما كتب به إليّ، قال: حدثني الشيخ أبو سعيد حيدر ابن يحيى بن حيدر بن يحيى الحنبلي الصوفي المجاور بمكة إجازةً فيما كتب به إليّ بخط يده من مكة حرسها الله، قال: حدثنا القاضي أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، عن أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي مؤلفه^(١).

ج- وروى هذا التفسير أيضًا الإمام أبو محمد البغوي في كتابه ((معالم التنزيل)) من طريق تلميذ الثعلبي أبي سعيد الشَّرِيحي الخوارزمي.

حيث قال في مقدمة تفسيره: وما نقلته فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه خبر هذه الأمة ومن بعده من التابعين وأئمة السلف فأكثرها مما أخبرني الشيخ أبو سعيد أحمد بن محمد الشَّرِيحي الخوارزمي فيما قرأته عليه، عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه^(٢). ثم ذكر الأسانيد في ذلك.

د- ومَن روى هذا التفسير بالإسناد المتصل إلى مؤلفه: الإمام عز الدين ابن الأثير في كتابه ((أسد الغابة))، حيث ذكر في مقدمة كتابه الكتب الكبار التي خَرَجَ منها الأحاديث وغيرها، وذكر في أول هذه الكتب تفسير الثعلبي، ثم ساق روايته لهذا الكتاب من طريق تلميذ الثعلبي أحمد بن خلف الشيرازي فقال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي بن مهدي الزرزارى الشيخ الصالح رحمه الله تعالى قال: أخبرنا الرئيس مسعود بن الحسن بن القاسم الأصبهاني، وأبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمي، قالوا: أخبرنا أحمد بن خلف الشيرازي، قال: أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي بجميع كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن. سمعت عليه من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء، وأما من أول سورة المائدة إلى آخر الكتاب، فإنه حصل لي بعضُه سماعًا وبعضُه إجازةً، واختلط السماع بالإجازة فأنا أقول فيه: أخبرنا به إجازةً إن لم يكن سماعًا. فإذا قلت: أخبرنا أحمد بإسناده إلى الثعلبي، فهو بهذا الإسناد^(٣).

هـ- وروى الكتاب أيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) الإمام المشهور، في كتابه ((المعجم المفهرس)) والذي ذكر فيه مروياته إلى الكتب المشهورة، والأجزاء المثورة.

وقد روى تفسير الثعلبي عن طريق تلميذه: أبي سعيد الفَرُّخرازي. قال ابن حجر رحمه الله ((كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن)) لأبي إسحاق الثعلبي. أخبرنا الكمال أحمد بن

(١) ((فهرست ابن خير)) (ص ٥٣).

(٢) ((تفسير البغوي)) ٢٨/١.

(٣) ((أسد الغابة)) ١١٥/١.

علي بن عبد الحق مشافهةً، عن الحافظ أبي الحجاج المزي، وأبي محمد القاسم بن محمد البرزالي في آخرين، قالوا: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن البخاري، إجازةً إن لم يكن سمعاً، عن منصور بن عبد المنعم، وعبد الله بن عمر الصفار، والمؤيد بن محمد الطوسي، قالوا: أنبأنا أبو محمد العباس بن محمد بن أبي منصور العَصَّاري الطُّوسي، المعروف بعبَّاسة، أنبأنا أبو سعيد محمد بن سعيد ابن محمد بن قُرْخَرَاذِ الفَرُّخَرَاذِي، أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي به^(١).

و- ومن الذين رووا هذا التفسير أيضاً تلميذ المؤلف أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد القُطَّان (ت ٤٧٨هـ). كما نقل ذلك السبكي في ((طبقات الشافعية)) حيث قال عند ترجمته: وقد روى تفسير الثعلبي عن المصنّف^(٢).

٢- ومن الأدلة على ثبوت نسبة هذا التفسير للثعلبي تعاقب العلماء على الإفادة منه، إما بالنقل منه، أو اختصاره، أو نحو ذلك مما سيأتي تفصيله عند الكلام على أهمية الكتاب في المبحث الرابع.

٣- ومن الأدلة أيضاً الشهرة الواسعة لنسبة هذا التفسير للثعلبي. فلا تكاد تجد للثعلبي ذكراً في كتب التراجم إلا مقروناً بتفسيره.

فها هو على سبيل المثال عبد الغافر الفارسي يقول عن الثعلبي: صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، مما لا يحتاج إلى ذكره لشهرته^(٣). ويقول ياقوت الحموي عنه أيضاً: المفسر، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس، المعروف بتفسير الثعلبي^(٤).

ويقول السيوطي: صاحب التفسير المشهور^(٥).
ويقول تلميذه الواحدي: وله التفسير المُلَقَّب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن^(٦).
ويقول القفطي: وله التفسير المشهور^(٧).

(١) ((المعجم المفهرس)) (ص ١١٢)، (٣٩٢).

(٢) ((طبقات الشافعية الكبرى)) ١٥٢/٥.

(٣) ((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) (١٩٧)، ((معجم الأدباء)) ٣٦/٥.

(٤) ((معجم الأدباء)) ٣٦/٥.

(٥) ((طبقات المفسرين)) (ص ١٧).

(٦) ((السيط)) للواحدي ٢٣٣/١.

(٧) ((إنباه الرواة)) ١٥٤/١.

ويقول ابن خَلَّكان: وصنَّف التفسير الكبير، الذي فاق غيره من التفاسير^(١).

ويقول الذهبي: له كتاب التفسير الكبير^(٢).

ويقول الأسنوي: صاحب التفسير المعروف^(٣).

ويقول السبكي: صاحب التفسير^(٤).

وهكذا اقترن ذكر الثعلبي بذكر تفسيره من فدل ذلك على أنَّ نسبته إليه مشهورة شهرة كبيرة.

٤- ويضاف إلى ما سبق من الأدلة على إثبات نسبة هذا التفسير للثعلبي النسخ الخطية الكثيرة لهذا الكتاب، المصدَّرة باسم الكتاب ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) واسم مؤلفه أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي^(٥).

وهكذا فإن ما سبق من الدلائل والبراهين تدل دالة قاطعة على ثبوت نسبة الكشف والبيان إلى أبي إسحاق الثعلبي رحمه الله.



(١) ((وفيات الأعيان)) ١/ ١٠٠.

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) ١٧/ ٤٣٥.

(٣) ((طبقات الشافعية)) ١/ ١٥٩.

(٤) المرجع السابق ٤/ ٥٨.

(٥) ((الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط)) ١/ ٨٣ وما بعدها.

المبحث الثاني

مصادر المصنف في كتابه (الكشف والبيان)

معرفة مصادر المؤلف في كتابه لها أهمية كبيرة وفائدة عظيمة، وتعتبر أساساً لكشف منهج المفسر، ومعرفة ما بذله من جهد في أخذه من تلك المصادر، وطريقته في ذلك ومعرفة ما أضافه على ما أخذه.

يقول الشيخ محمد ابو زهرة رحمه الله: إِنَّ المناهج في التفسير تختلف باختلاف ما يستعين به المفسر من مصادر التفسير^(١).

كما أنَّ معرفة المصادر تُبين القيمة العلمية للكتاب، والمكانة العلمية للمؤلف، فكلما تنوعت المصادر وكثرت، دلَّ ذلك على سعة علم المؤلف، وعلى أهمية الكتاب، وكثرة فنونه ومعارفه. والثعلبي قد أبان عن مصادره في ((الكشف والبيان))، حيث ذكر هذه المصادر، وذكر أسانيده إلى كل مصدر منها، في مقدمة كتابه.

وتميزت مصادره بميزات نذكرها في المطلب الآتي، ثم نذكر هذه المصادر في المطلب الثاني إن شاء الله.

(١) ((المعجزة الكبرى)) (ص ٥٨٦) لأبي زهرة.

المطلب الأول: مميزات هذه المصادر:

تتماز مصادر الثعلبي في «الكشف والبيان» بالمميزات الآتية:

١- الإسناد: حيث روى الثعلبي هذه المصادر بإسناده إلى أصحابها مما أكسب هذه المصادر أهميةً وتوثيقاً.

وهذا يدل على أن الثعلبي كان راويةً للأسانيد، وأن كتابه من أهم كتب الرواية والإسناد. وقد بلغ عدد الأسانيد التي روى بها هذه المصادر: مائة وخمسة أسانيد (١٠٥).

٢- الأصالة: فمصادر الثعلبي أصيلة، فهو يروي التفسير عن أئمة التفسير أنفسهم، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، بإسناده ولم ينقل عن الكتب التي نقلت عن هؤلاء. ولذلك كان مصدرًا لكثير من كتب التفاسير بعده.

٣- الكثرة: وتظهر كثرة مصادر «(الكشف والبيان)» لمن يقرأ كلام الثعلبي في مقدمته، حيث يقول: فاستخرتُ الله تعالى في تصنيف كتاب شامل مهذب، كامل مخلص مفهوم منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات، سوى ما التقطته من التعليقات، والأجزاء المتفرقات، وتلقفته من أفواه المشايخ الثقات، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ^(١).

٤- التنوع: حيث تنوعت مصادر الثعلبي، فشملت جملةً من العلوم والمعارف، ولم تقتصر على نوع واحد، مما أكسب الكتاب أهميةً عظيمةً، وجعله موسوعةً في علوم شتى.

وقد كان هذا التنوع في مصادر الثعلبي حسب ما ذكره في مقدمته على النحو التالي:

أ- تفسير ابن عباس.

ب- تفاسير التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير.

ج- تفاسير شيوخه والمعاصرين له.

د- كتب في الوجوه والنظائر.

هـ- كتب في معاني القرآن.

و- كتب في غريب القرآن.

د- كتب في مشكل القرآن.

ح- كتب في القراءات.

ط- كتب في السيرة والتاريخ والمغازي.

(١) مقدمة المؤلف (ص ٢٤٣).

٥- الشمولية: تبين لنا من خلال تنوع مصادر الكتاب، اشتغالها لكل ما يتعلق بالتفسير، وعلوم القرآن، وغيره. فقد شملت هذه المصادر جانبي التفسير بالمأثور، وبالرأي، من خلال مرويات التفسير عن ابن عباس، والتابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير. ومن خلال كتب معاني القرآن، وغريبه، ووجوهه ونظائره، ومشكله وقرأاته.

وسنقوم إن شاء الله في الصفحات الآتية بدراسة هذه المراجع على النحو الآتي:

أ- توثيق الكتاب ونسبته إلى مؤلفه.

ب- دراسة إسناد الثعلبي بالترجمة لرجاله رجلاً رجلاً، مع ذكر مصادر الترجمة.

ج- الحكم على الإسناد. مع ذكر أقوال العلماء في ذلك.

المطلب الثاني: ذكر هذه المصادر:

ونذكرها ههنا باختصار، وستأتي إن شاء الله مدروسة محققة في مقدمة المؤلف.

أولاً: تفسير ابن عباس:

وقد أخرج من خمسة طرق عن ابن عباس:

١- طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

٢- طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

٣- طريق عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس.

وله عن عطاء طريقان:

أ- طريق ابن جريج.

ب- طريق الضحاك.

٤- طريق عكرمة، عن ابن عباس.

٥- طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وله عن الكلبي ثلاثة طرق:

أ- طريق محمد بن فضيل.

ب- طريق السدي الصغير.

وله عن السدي الصغير طريقان:

طريق يوسف بن بلال السدي.

طريق صالح بن محمد الترمذي.

ج- طريق حبان بن علي العنزي.

ثانيًا: تفاسير التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير:

- ١- تفسير مجاهد.
- ورواه المؤلف من ثلاثة طرق عن مجاهد:
 - أ- طريق بن أبي نجيح.
 - وله عن ابن أبي نجيح طريقان:
 - ١- طريق مسلم بن خالد الزنجي.
 - ٢- طريق ورقاء.
 - ب- طريق ابن جريج.
 - ج- طريق ليق بن أبي سليم.
- ٢- تفسير الضحَّاك.
- ورواه المؤلف عنه من أربعة طرق:
 - أ- طريق جويهر.
 - ب- طريق علي بن الحكم.
 - ج- طريق عبيد بن سليمان الباهلي.
 - د- طريق أبي روق.
- ٣- تفسير عطاء بن أبي رباح.
- ٤- تفسير عطاء بن أبي مسلم الخراساني.
- ٥- تفسير عطاء بن دينار.
- ٦- تفسير الحسن البصري.
- ٧- تفسير قتادة.
- ورواه الثعلبي عنه من ثلاثة طرق:
 - أ- طريق سعيد بن أبي عروبة.
 - ويرويه عنه من طريق خارجة بن مصعب.
 - ب- طريق شيبان النحوي.
 - ج- طريق معمر بن راشد.
- ٨- تفسير أبي العالية، والربيع بن أنس.

- ٩- تفسير أبي جعفر الرازي.
- ١٠- تفسير محمد بن كعب القرظي.
- ١١- تفسير مقاتل بن حيان.
- ١٢- تفسير مقاتل بن سليمان.
- وقد رواه الثعلبي من ثلاثة طرق عن مقاتل.
- أ- طريق الهذيل بن حبيب.
- ب- طريق إسحاق بن إبراهيم التّغليبي.
- ج- طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم.
- ١٣- تفسير السّدي (الكبير).
- ١٤- تفسير الحسين بن واقد.
- ١٥- تفسير ابن جريجيز.
- ١٦- تفسير سفيان الثوري.
- ١٧- تفسير سفيان بن عيينة.
- ١٨- تفسير وكيع بن الجراح.
- ١٩- تفسير شبل بن غبّاد المكي.
- ٢٠- تفسير ورقاء بن عمرو.
- ٢١- تفسير زيد بن أسلم.
- يرويه عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد.
- ٢٢- تفسير روح بن عبّادة.
- ٢٣- تفسير محمد بن يوسف الفريابي.
- ٢٤- تفسير قبيصة بن عقبة.
- ٢٥- تفسير أبي حذيفة النهدي.
- ٢٦- تفسير سعيد بن منصور.
- ٢٧- تفسير عبد الله بن وهب القرشي.
- ٢٨- تفسير عبد بن حميد.
- ٢٩- تفسير محمد بن أيوب الرازي.

- ٣٠- تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم.
- ٣١- تفسير عبد الله بن سعيد الأشج.
- ٣٢- تفسير أبي حمزة الثمالي.
- ٣٣- تفسير المسيّب بن شريك.
- ثالثاً: مصادره من تفاسير شيوخه، وعنون لها بـ ((مصنفات أهل العصر)) وهي:
- ١- تفسير شيخه: عبد الله بن حامد الأصبهاني.
 - ٢- تفسير شيخه: أبي بكر بن عبدوس.
 - ٣- تفسير شيخه: أبي عمرو الفُراقِي.
 - ٤- تفسير شيخه: أبي بكر بن فورك.
 - ٥- تفسير جبريل عليه السلام.
 - ٦- تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
 - ٧- تفسير الصحابة رضي الله عنهم.
- والتفاسير الثلاثة من تصنيف شيخه محمد بن القاسم الفارسي الفقيه.
- ٨- كتاب الواضح: لبي محمد عبد الله بن المبارك الدّينوري.
 - ٩- حقائق التفسير: لشيخه أبي عبد الرحمن السُّلَمي.
- رابعاً: مصادره من كتب الوجوه والنظائر:
- ١- كتاب الوجوه: لابن عباس.
 - ٢- كتاب الوجوه والنظائر: لمقاتل بن سليمان.
 - ٣- كتاب النظائر: لعلي بن الحسين بن واقد.
- خامساً: مصادره من كتب معاني القرآن:
- ١- معاني القرآن: للفرّاء.
 - ٢- معاني القرآن: للكسائي.
 - ٣- معاني القرآن: لأبي عبيد.
 - ٤- معاني القرآن وإعرابه: للزّجاج.
 - ويرويه المؤلف من طريقين.
 - ٥- كتاب النظم: لأبي علي الجرجاني.

سادساً: مصادره من المؤلفات في غريب القرآن:

- ١ - مجاز القرآن: لأبي عبيدة.
 - ٢ - غريب القرآن: للأخفش.
 - ٣ - غريب القرآن: للنَّضر بن شُميل.
 - ٤ - غريب القرآن: للمؤرج السدوسي.
 - ٥ - تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة.
- ويرويه المؤلف عنه من طريقين.

سابعاً: مصادره من كتب تأويل مُشكل القرآن:

- ١ - مُشكل القرآن: لقطرب.
 - ٢ - تأويل مُشكل القرآن: لابن قتيبة.
- ويرويه المؤلف عنه من طريقين.
- ثامناً: مصادره من كتب القراءات:
- ١ - قراءة الفضل بن عباس الأنصاري.
 - ٢ - قراءة خلف بن هشام البزار.
 - ٣ - قراءة أبي عبيد القاسم بن سلام.
- ويرويه المؤلف من أربعة طرق عن علي بن عبد العزيز المكي راوية أبي عبيد عن أبي عبيد.
- ٤ - قراءة أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني.
 - ٥ - قراءة أبي معاذ النَّحوي.
 - ٦ - قراءة هارون بن حاتم المقرئ.
 - ٧ - قراءة محمد بن يحيى القطيعي.
 - ٨ - كتاب السَّبعة: لأبي بكر بن مجاهد.
- ويرويه عنه المؤلف من ثلاثة طرق.
- ٩ - كتاب السَّبعة: لأبي بكر النَّقاش.
 - ١٠ - كتاب الأنوار: لابن مقسم العطار.
 - ١١ - كتابة الغاية: لابن مهران.

تاسعاً: مصادره من كتب المغازي والسَّير والتاريخ:

- ١ - كتاب المبتدأ: لوهب بن منبّه.
- ٢ - كتاب المغازي: لابن إسحاق.
- ويرويه عنه الثعلبي من ثلاثة طرق.

المبحث الثالث

منهج المؤلف في كتابه

المطلب الأول: منهج المصنف إجمالاً من خلال مقدمته:

من العوامل الهامة التي تساعد الباحث على معرفة الخطوط العريضة لمنهج المؤلف في كتابه هي ((مقدمة الكتاب)) خاصة إذا أبان المؤلف فيها عن طريقته في كتابه، وخطته في ذلك، وسبب تأليفه لكتابته، ومصادره فيه. ثم يبدأ الباحث بعد ذلك بتفصيل هذا المنهج، من خلال البحث والتتبع والاستقراء، والمقارنة بين ما ذكره في المقدمة، وما قام به فعلاً في كتابه. والثعلبي رحمه الله قدّم لكتابته بمقدمة هامة، ذكر فيها المعالم الرئيسية لكتابته على النحو الآتي: صدر المؤلف مقدمته بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله ثم ذكر أهمية تدبر القرآن الكريم، وتفهم معانيه.

ثم ذكر نشأته وجدّه واجتهاده في طلب العلم عموماً، وعلم التفسير على وجه الخصوص.

أولاً: أقسام المصنفين في التفسير:

ثم قسم الثعلبي المفسرين إلى ست فرق، هم:

أ- أهل البدع والأهواء.

مثل مفسري المعتزلة، كالبلخي، والجبائي، والأصفهاني، والرمّاني.

وذكر أنّنا مأمورون بمجانبة هؤلاء وترك مخاطبتهم.

والثعلبي قد ردّ في كتابه على المعتزلة ودحض أقوالهم في مواطن كثيرة، كما سيأتي عند الكلام عن معتقده، ومنهجه في تقرير العقيدة، والرد على المخالفين.

ب- فرقة ألفوا فأحسنوا غير أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين، بأقوال السلف الصالحين. كأبي بكر القفال، وأبي حامد المقرئ.

وقد اعتذر المؤلف لهؤلاء بعذرين:

١- أنّ صنيعهم هذا ليس تعمداً مقصوداً، بل هو غفلة وغرّة.

٢- أنهم كانوا فقهاء، ولم يكونوا من العلماء المتخصصين في التفسير.

ج- فرقة اقتصروا على الرواية والنقل، دون الدراية والنقد. مثل إسحاق بن راهويه، وأبي إسحاق الأنباطي.

وقد قال المؤلف في هؤلاء: بياع الدواء محتاج إلى الأطباء.

أي أن هؤلاء حملوا هذه الرويات وادوها كما سمعوها، وهذا صنيع عظيم منهم، وإن كانوا قد لا يحيطون بما يتعلق بها من دراية ونقد.

ولكن المصنف رحمه الله قد اعتمد على هذه الرويات التي نقلها هؤلاء وغيرهم اعتماداً كبيراً، ولا عجب إذا قلت إن أبرز صفة في هذا التفسير هي مروياته المسندة. إلا أنه لم يقتصر عليها، بل ضم إليها جانب الدراية والرأي.

ثم ذكر المؤلف فرقة من المفسرين بعكس هؤلاء. وهي:

د- فرقة حذفوا الإسناد:

ويتنقد الثعلبي هؤلاء بشدة، فيذكر أنهم بسبب تركهم الإسناد، ونقلهم من الصحف والدفاتر، وقع في تفاسيرهم الغث والسمين، والواهي والمتين. ولما كانوا كذلك ذكر أنه صان كتابه عن ذكرهم. مبيّناً قيمة الإسناد، وأنه لولاه لقال من شاء ما شاء.

ولا غرو أن ينتقد الثعلبي صنيع هؤلاء، وهو الذي جعل عمدة تفسيره على الإسناد^(١).

هـ- فرقة حازوا قصب السبق في جودة التصنيف والحذق.

وهذا ثناء من الثعلبي على هؤلاء إلا أنه يرى أنهم قد أطالوا كتبهم بكثرة الأسانيد والروايات. فأتسعت كتبهم كثيراً حتى حال هذا الاتساع والطول دون الاستفادة منها.

ومثل لها المؤلف بتفسير ابن جرير الطبري، وتفسير شيخه عبد الله بن حامد.

و- فرقة جودوا التفسير، دون الأحكام، وبيان الحلال والحرام، وذكر المشكلات وحلها، والرد على أهل الزيغ والشبهات.

مثل تفاسير كثير من التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير، مثل مجاهد، ومقاتل، والسدي، والكلبي.

وهؤلاء أثنى الثعلبي عليهم من حيث تفسير الآية، ومعانيها، واعتمد على أقوال هؤلاء اعتماداً كبيراً، وكتابه ((الكشف والبيان)) يعتبر من أوسع التفاسير إن لم يكن أوسعها في نقل أقوال المفسرين من المتقدمين.

لكن أبا إسحاق يرى أن هذا المنهج لا يكفي في تفسير الآية. بل لابد من جانب الدراية.

(١) كما سيأتي بيانه عند الكلام عن منهج المؤلف في الرواية وسوق الأسانيد.

ثم ختم الثعلبي هذه الأقسام بعبارة تدل على أدبه رحمه الله مع العلماء، وإن انتقد مصنفاتهم، فقال: ولكل من أهل الحق منهم فيه غرض محمود، وسعي مشكور. أي أن هؤلاء العلماء وإن كان أبو إسحاق يخالفهم في جوانب من مناهجهم في مؤلفاتهم، إلا أن هذا لا يعني إهدار جهدهم وما بذلوا وقاموا به في مؤلفاتهم. فسعيهم مشكور. لا سيما وقصدهم ومرادهم من مؤلفاتهم محمود، وهو خدمه كتاب الله، وبيان معانيه.

فائدة:

ذكر المؤلف ف يتقسيمه السابق للمفسرين، عدة تفاسير، وأشار إلى مناهج مؤلفيها في التفسير. فاستفدنا من كلام المؤلف في ذلك فائدين نفيستين: أولاهما: توثيق هذه التفاسير. لا سيما وأن أكثرها مفقود. وثانيهما: ذكر مناهج مؤلفيها فيها. ومن هذه التفاسير:

- ١- تفسير إسحاق بن راهويه.
 - ٢- تفسير أبي إسحاق الأنماطي.
 - ٣- تفسير عبد الله بن حامد الأصبهاني شيخ المؤلف.
 - ٤- تفسير أبي بكر القفال.
 - ٥- تفسير أبي حامد المقرئ.
 - ٦- تفاسير المعتزلة: البلخي، والجبائي، وألصفهاني، والرماني.
- ويتضح لنا من التقسيم السابق أن الثعلبي رحمه الله. انتقد تفاسير المبتدعة، والفرق الضالة، كالمعتزلة. كما انتقد التفاسير التي اقتصرت على الرواية والنقل، دون الاعتماد على جانب الدراية، والتفسير بالرأي.
- وهو ينتقد من هم بعكس هؤلاء، ممن حذف في تفسيره الإسناد، واعتمد على جانب الدراية والراي، أو النقل بلا غسناد.
- وينتقد الثعلبي كذلك الذين أطالوا تفاسيرهم إطالة شديدة بالروايات والأسانيد، وذكر الأقوال.
- كما أنه ينتقد المفسرين الذين أخلّو تفاسيرهم من المسائل الفقهية والأحكام في الحلال والحرام، ولم يذكروا المسائل التي تتعلق بعلوم القرآن، كمشكل القرآن، وغيره.

ونخلص مما سبق على أن مواصفات التفسير المثالي في رأي الثعلبي هو ما تميز بالصفات التالية:

- ١- خلوه من أقاويل المبتدعين والضالين.
- ٢- الجمع بين الرواية والدراية، أو المأثور والمعقول في التفسير.
- ٣- الاعتماد على الإسناد في التفسير، وعدم حذفه.
- ٤- عدم التطويل الشديد في نقل المرويات والأقوال.
- ٥- ذكر الأحكام الشرعية، والمسائل الفقهية المتعلقة بالآية.
- ٦- الاهتمام بعلوم القرآن أثناء التفسير، مثل الآيات التي ادّعي أنها مشككة، وتأويل هذا المشكل.

٧- الرد على أهل الزيغ والشبهات.

ولكن الثعلبي لم يجد كتاباً في التفسير تجتمع فيه هذه الصفات والمميزات. وهذا ما دعاه إلى تأليف كتاب في التفسير ينتظم تلك المزايا والسمات.

ثانياً: سبب تأليف الكتاب:

بعد أن ذكر الثعلبي أقسام المصنفين في التفسير، تكلم عن تأليفه لهذا التفسير ويمكن إيجاز الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب من خلال كلامه في مقدمة تفسيره، في أربعة أمور:

١- أنه لم يعثر على كتاب جامع مهذب في التفسير. ولعله يريد كتاباً يجمع المزايا التي استخلصناها من تقسيمه السابق للمفسرين.

٢- رغبة الناس عن علم التفسير، وقصور همهم في البحث عنه، مع نفرتهم عن الاستفادة من الكتب المطولة في هذا الشأن.

٣- سؤال عدد من العلماء وطلا بالعلم الثعلبي أن يصنف كتاباً في هذا العلم.

٤- التقرب على الله تعالى بهذا المؤلف، أداءً لبعض واجب شكره، فإن شكر العلم نشره، وزكاته إنفاقه.

ثالثاً: وصف الكتاب:

ثم وصف الثعلبي كتابه بقوله: كتاب شامل مهذب، كامل مخلص، مفهوم منظوم.. نسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب، ولقّفته بغاية التنقيب والتقريب. فهو كتاب يشمل كل ما يتعلق بتفسير الآية، مع محاولة التهذيب وترك الإطالة المملة، ويتميز باستيفاء المعلومة بأسلوب جامع مانع.

وهو مفهوم العبارة سَلْسُها، في نظم بديع، وترتيب رائع، مع الإيجاز غير المخل، وترتيب المعلومات المتعلقة بتفسير الآية، والتنقيب عن المعلومة وذكرها بأسلوب قريب من الفهم.

رابعاً: منهجه وعمله في التفسير:

ثمَّ ذكر أن عمله في هذا التفسير يقوم على عدة أمور، ينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه ألا يخلو كتابه منها.

وهذه الخصال توضح لنا منهج المؤلف في تفسيره على سبيل الإجمال.

وهي:

- استنباط شيء كان مغفلاً.

- أو جمعه إن كان مفترقاً.

- أو شرحه إن كان غامضاً.

- أو حسن نظم وتأليف.

- أو إسقاط حشو وتطويل.

هكذا نصَّ في مقدمته.

وهذا يعني أن منهجه يقوم على:

١ - استنباط الفوائد والأحكام من الآية.

٢ - جمع ما كان متفرقاً من أقوال المفسرين، وغيرها.

٣ - شرح ما كان غامضاً من ألفاظ الآيات.

٤ - حسن النظم في الأسلوب والتأليف.

٥ - خلوّه من الحشو والتطويل الذي لا داعي له.

وهذا يتوافق مع وصفه لكتابه، بأنه كان يجمع بين الشمول والتكامل في المعلومة، والتهذيب والاختصار، وبين التطويل غير الممل والاختصار غير المخل.

خامساً: مصادره في كتابه من خلال مقدمته:

ثمَّ ذكر المؤلف مصادره إجمالاً: حيث ذكر أنه استخرج كتابه هذا من:

- مائة كتاب مجموعات مسموعات.

- إضافةً إلى ما التقطه من التعليقات، والأجزاء المتفرقات.

- وتلقفه من أفواه المشايخ الثقات، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ.

ثم ذكر فيها بعد مصادره بالتفصيل، مروية بإسناده. وذكرها في المقدمة لثلا يحتاج على تكرار الأسانيد في ثنايا كتابه.

سادسا: أنواع المادة العلمية في ((الكشف والبيان)):

ثم ذكر الثعلبي رحمه الله أنه خرّج تفسيره على أربعة عشر نحوًا:

- ١- البسائط والمقدمات.
- ٢- العدد والتنزيلات.
- ٣- القصص والنزولات.
- ٤- الوجوه والقراءات.
- ٥- العلل والاحتجاجات.
- ٦- العربية واللغات.
- ٧- الإعراب والموازنات.
- ٨- التفسير والتأويلات.
- ٩- المعاني والجهات.
- ١٠- الغوامض والمشكلات.
- ١١- الأحكام والفقهيات.
- ١٢- الحكم والإشارات.
- ١٣- الفضائل والكرامات.
- ١٤- الأخبار والمتعلقات.

ثم ذكر أنّ هذه الموضوعات المعنونة، أدرجها في أثناء تفسيره، وضمّنها كتابه، دون أن يُعنون لكل موضوع بعنوانه، بل يوردها في المكان المناسب لها. وسيأتي منهجه في هذه العلوم عند تفصيل منهج المؤلف في كتابه في المبحث الثالث إن شاء الله.

- وبعد أن ذكر المؤلف مصادره بالتفصيل؛ عقد ثلاثة أبواب ختم بها مقدمته، وهي:
 - أ- باب في فضل القرآن وأهله وتلاوته.
 - ب- باب في فضل علم القرآن والترغيب فيه.
 - ج- باب في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.
- وذكر أقوال العلماء في ذلك. وروى هذه الأقوال بسنده أيضًا.



المطلب الثاني: منهج المصنف في كتابه مفصلاً

- ويشتمل على بيان منهجه في الأمور الآتية:
- أولاً: طرق التفسير التي انتهجها المصنف:
- أ- تفسير القرآن بالقرآن.
 - ب- تفسير القرآن بالسنة.
 - ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
 - د- تفاسير التابعين.
 - هـ - تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم.
 - و- الإسرائيليات وموقف الثعلبي منها.
 - ز- التفسير الصوفي والإشاري وموقف الثعلبي منه.
- ثانياً: علوم القرآن.
- أ- أسماء السور.
 - ب- عدد آيات السورة، وكلماتها وحروفها.
 - ج- المكي والمدني.
 - د- أسباب النزول.
 - هـ - الوقف والابتداء.
 - و- القراءات.
 - ز- النسخ والمنسوخ.
 - ح - الربط والمناسبة بين الآيات.
 - ط- آخر ما نزل من القرآن.
- ثالثاً: الرواية بالإسناد.
- رابعاً: تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق.
- خامساً: الجانب الفقهي.
- سادساً: اللغة العربية، واعتماد الثعلبي عليها.
- سابعاً: الجانب التاريخي.
- أ- تفسير القرآن بالقرآن

أهمية تفسير القرآن بالقرآن:

إنَّ أحسن طرق التفسير وأصحَّها أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله سبحانه وتعالى الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

فما أجمل من القرآن في موضع فُصِّل في موضع آخر، وما اختُصر في موضع بُسِّط في موضع آخر. وهذه الطريقة في التفسير كان ينتهجها رسول الله، حيث كان يفسر بعض آيات القرآن ببعضها.

ومن ذلك تفسيره مفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣) وغيرها كثير.

ولذلك ذكر العلماء رحمهم الله أنَّ أفضل وأصح طرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإنَّ قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أنَّ أصح الطرق في ذلك: أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنَّه قد فُسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان بسط في موضع آخر^(٤).

عناية الثعلبي بتفسير القرآن بالقرآن ومنهجه في ذلك:

إنَّ الناظر في تفسير ((الكشف والبيان)) للثعلبي يدرك لأول وهلة الاهتمام الشديد، والعناية الفائقة من الثعلبي بتفسير القرين بالقرآن، في مواضع كثيرة من تفسيره. ولا غرابة في ذلك، فالثعلبي رحمه الله قد ركَّز في تفسيره على جانب المأثور، حتى حوى هذا التفسير رصيلاً هائلاً من مأثور التفسير، ويأتي تفسير القرآن بالقرآن في مقدمة التفسير بالمأثور.

ومن أوجه تفسير القرآن بالقرآن في ((الكشف والبيان)):

١ - تفسير ما أجمل في موضع بما بيَّن في موضع آخر:

(١) سورة النحل: (٨٩).

(٢) يوسف: (١١١).

(٣) رواه البخاري في ((صحيحه)) ٢٩١ / ٨ (٤٦٢٧) كتاب التفسير، باب ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وفي ٥١٣ / ٨ (٤٧٧٨) كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

(٤) ((مقدمة في أصول التفسير)) (ص ٨٢)، وانظر: ((الإتقان)) للسيوطي ٤ / ٤٦٧.

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: ٧] قال: يعني طريق الذين مننت عليهم بالتوفيق والرعاية والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾.

٢- تفسير الآية وتوضيح معناها بذكر نظائرها في القرآن:

وهذا كثير في تفسير ((الكشف والبيان)) حيث يسوق الثعلبي عند تفسيره للآية الآيات الأخرى الشابهة لها، والمتحدة معها في المعنى. فيقول مثلاً كقوله عز وجل كذا، أو يقول: دليلها ونظرها، ونحو ذلك. ومن الأمثلة عليه:

عند قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣]. ذكر الآيات التي تماثلها من حيث ذكر الجزاء والشرط، فقال: ﴿وإن كنتم﴾ يا معشر الكفار، لفظ جزاء وشرط، ومعناه إذا، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون، كقوله تعالى: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ وقوله تعالى: ﴿وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ وقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾.

- عند قوله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ [البقرة: ١٥٠]. ذكر المؤلف قولين في تفسير الآية، ثم بيّن معنى الحجة وذكر الآيات التي ذكرت فيها الحجة أيضاً فقال: ومعنى الحجة في هذين القولين الخصومة والجدل والدعوى الباطلة. كقوله تعالى: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أي: لا خصومة. وقوله تعالى ﴿قل أتحاجوننا في الله﴾ و﴿ليحاجوكم﴾ و﴿تحاجون﴾ و﴿حاجتكم﴾ كلها بمعنى المخاصمة والمجادلة.

- عند قوله ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: فأفطر؛ فعدة؛ كقوله عز وجل ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾.

- عند قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] قال: واللغو، واللغا من الكلام ما لا خير فيه، ولا معنى له، قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(٣)، وقال ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾.

- عند قول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال: (ويبسط) أي يوسع الرزق على من يشاء، نظيرها قوله عز وجل ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾.

- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]: وقيل: تفسيره في سورة النحل ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾.

- وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]: وقال عبد العزيز بن يحيى: قدم صدق؛ بيانه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾. وقال أبو حاتم: منزل صدق؛ نظيره ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾.

- عند قول الحق تعالى: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ [يونس: ٢١]: وقال مقاتل بن حيان: لا يقولون هذا رزق الله بل يقولون سقيننا بنوء كذا، وهو قوله عز وجل: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢).

- ما أورده عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَلْنَاهُ﴾ [التوبة: ٣٨] إذ قال: وأصله: (تثاقلتم)، فأدغمت التاء في الثاء وأحدثت لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها، وليمكن الابتداء بها، كقوله ﴿حَتَّى إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾ [النمل: ٤٧]، ﴿وَارْتَيْتُ﴾ [يونس: ٢٤].

٣- الاستدلال بالقرآن في بيان معنى الآية وألفاظها:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُوْخِذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] بين المؤلف معنى (عدل) هنا، واستدل على هذا البيان بالقرآن، فقال: فداء، كما كانوا يأخذون في الدنيا، وسُمِّيَ الفداء عدلاً لأنه يعادل المفدى ويثله، قال الله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلَ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

وعند قوله تعالى ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ﴾ [البقرة: ١٠٢] نقل قولاً ف يتعريف السحر، واستدل له بالقرآن، فقال: قال بعضهم: السحر: العلم والحدق بالشيء، قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم.

- عند قوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال: وأصل البعل: السيد، والحاكم، قال الله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ﴾.

- عند قوله تعالى ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال: وأصل الضلال: هلاك الشيء، وذهابه؛ تقول العرب: ضل الماء في اللبن، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾.

- عند قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ [المدثر: ٣٧] قال رحمه الله: في الخير والطاعة ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] عنها بالشر والمعصية. نظيره ودليله قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَفِدِّينَ مِنْكُمْ﴾ [الحجر: ٢٤] يعني في الخير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤] عنه.

- وفي سورة القيامة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٥]، قال رحمه الله: يعني أنه يشهد عليه الشاهد، ولو اعتذر وجادل عن نفسه، نظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢].

- في سورة النبأ عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢] قال رحمه الله: قال مجاهد هو القرآن، دليله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧].

- وفي سورة الإنسان عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] قال رحمه الله: أي بينا له سبيل الحق والباطل، والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر وهو كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

٤- الاستدلال بالقرآن على معنى الحديث:

يذكر المؤلف أحياناً عقب إيراده للحديث: الآيات الموافقة لمعنى الحديث، والمؤيدة له على غرار ذكر الآية مع نظائرها. وهذا من توسعه رحمه الله في الاستدلال بالقرآن في تفسيره.

ومن الأمثلة على ذلك: عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] أورد حديث النبي ﷺ الذي فيه أن رجلاً سأله عن الذين يقاتلونه؟ فقال النبي ﷺ: ((المغضوب عليهم)) وأشار إلى اليهود. فقال السائل: ومن هؤلاء الطائفة الأخرى؟ قال: ((الضالون)) وأشار إلى النصارى.

قال المؤلف بعد ذلك: وتصديق هذا الحديث حكم الله عز وجل بالغضب على اليهود في قوله: ﴿هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ﴾ الآية. وحكمه على النصارى بالضلال في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

٥- الاستدلال بالقرآن في بيان معنى ألفاظ الآية:

مثال ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. بيّن أصل الفسق، واستدل على ذلك بالقرآن. فقال: وأصل الفسق: الخروج، قال الله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج.

- عند قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (١٢) [الطارق: ١٢]: أي تتصدع عن النبات، والأشجار، والثمار، والأنهار. نظيره قوله -عز وجل-: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٣١) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٣٢) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٣٣) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٣٤) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٥) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣٦)﴾ [عبس: ٢٦: ٣١].

- عند قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] أورد رحمه الله عدة أقوال للسلف ثم قال: قال الأخفش: هي كقولك: فلان عبرة، وحجة، دليل هذا التأويل قوله -عز وجل-: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ [القيامة: ١٥]، أورد رحمه الله عدة أقوال للمفسرين، ثم قال: ومعنى الإلقاء: القول، نظيره قوله: ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧]، ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦].

- في سورة النبأ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: ١٤]. رجع هنا أن (من) بمعنى (الباء) كقوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ﴾ [القدر: ٤ - ٥].

٦- الاستدلال لأقوال المفسرين بالقرآن الكريم:

لا يكتفي المؤلف بإيراد أقوال المفسرين في معنى الآية، بل إنه كثيراً ما يذكر بجانب كل قول ما يدل على قوله من آيات القرآن الكريم.
ومن الأمثلة على ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥] ذكر عدة أقوال للمفسرين في قوله: ﴿واسع﴾ واستدل لكل قول بالقرآن، فقال: قال الكلبي: يعني واسع المغفرة لا يتعاضم مغفرته ذنب. دليله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾. وقال أبو عبيدة: الواسع الغني: يقال: يعطي من سعة، أي: من غنى. قال الله عز وجل ﴿لَيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾. وقال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء. دليله: قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

- عند قوله تعالى ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] استعرض اختلاف المفسرين في (الفسوق)، فقال: وقال الضحاک: هو التنابز بالألقاب، دليله قوله عز وجل ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، وقال ابن زيد: هو الذبح للأصنام...، دليله قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

- عند قوله تعالى ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. قال: قال الواقدي: معناه في حيث أمركم الله، وهو الفرج. نظيره في سورة الملائكة والأحقاف ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

- عند قوله تعالى: ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المذثر: ٢٩] نقل في معنى (لواحة): مغيرة للجلود، ومحركة للجلد، ثم قال: وقال الحسن، وابن كيسان: يعني تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا. نظيره قوله عز وجل: ﴿وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْعَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨]: قال رحمه الله: قال ابن كيسان: ويحتمل أن يكون بمعنى غاب، كقوله تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ﴾ [القصص: ٨١].

- وعند تفسير قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢] قال رحمه الله: وقال يمان: المصير، والمرجع، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه. نظيره: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق: ٨]، ﴿وَالِإِلَهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

٧ - الاستدلال على بعض أوجه التأويل بقراءات بعض الصحابة والتابعين: - قوله عند تفسير قوله جل وعلا: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]: وقال أبو مجلز ومجاهد في سائر الروايات: الإل هو الله - عز وجل -...، ثم قال: والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة: لا يرقبوا في مؤمن أيلاً. بالياء يعني الله - عز وجل -.

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩]: والوجه الآخر: أن تجعل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر، تقديره: أجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام. كقوله ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]؛ أي للمتقين. يدل على هذا التأويل قراءة عبد الله بن الزبير وأبي وجزة السعدي: (أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام) على جمع الساقى والعامر.

٨ - الاستدلال بالقرآن لبعض القراءات:

- عند قوله ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال: قرأ الحسن، وقتادة، وابن أبي إسحاق، وأبو عمرو (قل العفو) رفعا، واختاره محمد بن عيسى على معنى الذين ينفقون هو العفو. دليله قوله - عز وجل - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

- عند قوله ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ذكر أن القراء اختلفوا في قوله (قدره) فقرأ بعضهم بفتح الدال، وآخرون بجزمها، ثم قال: وهما لغتان قد نطق بهما القرآن، فتصديق الفتح قوله ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾، وتصديق الجزم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

٩ - الاستدلال بالقرآن على المسائل النحوية والبلاغية:

أ- عند قوله تعالى ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، قال: يعني ولم يأتكم، و (ما) صلة، كقوله تعالى ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

ب- عند قوله تعالى ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، قال: ودخول (أن) وحذفها لغتان صحيحتان، فصيحتان، فأما إثبات (أن)، فقوله تعالى ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. وأما حذفها؛ فقوله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

١٠ - الاستدلال بالقرآن لإثبات صحة آرائه:

- عند قوله تعالى ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، قال: والصحيح أن المعدادات أيام التشريق، وعليه أكثر العلماء، ويدل عليه قوله ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

- عند قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] قال: وقال بعضهم: هو فرض على الكفاية... وهو القول الصحيح، الذي عليه الجمهور... يدل على صحة هذا القول قول الله عز وجل ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

ب - تفسير القرآن بالسنة

تعد السنة النبوية بياناً وإيضاحاً للقرآن الكريم، إضافةً إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريع.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَافَتَيْنِ خَصِيماً﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن السنة مبيّنة للقرآن وموضحة له.

(١) سورة النحل: (٤٤).

(٢) النساء: (١٠٥).

(٣) النحل: (٦٤).

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فَإِنَّ أَعْيَاكَ ذَلِكَ أَي: تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، بل قد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن^(١).

عناية الثعلبي بتفسير القرآن بالسنة:

يصنف تفسير ((الكشف والبيان)) على أنه من كتب التفسير بالمأثور، وما ذلك إلا لأمر من أهمها: احتواؤه على عدد هائل من أحاديث التفسير. فقد اعتمد الثعلبي في تفسيره اعتماداً كبيراً على الحديث الشريف. فأخذ يفسر به الآية، بل يتعدى ذلك إلى رواية الأحاديث وإيرادها عند أدنى مناسبة تتعلق بالآية كما سيأتي في منهجه حتى أصبح هذا الكتاب بحق موضوعاً في أحاديث التفسير، وأصبحت هذه الأحاديث من أعظم المزايا التي يمتاز بها عن غيره من التفاسير. وما ذلك إلا لإدراك الثعلبي عظم مكانة السنة النبوية بالنسبة للقرآن، وأنها المصدر الثاني من مصادر التفسير.

وقد نهج الثعلبي في ذلك المنهج التالي:

١ - تفسير القرآن بالسنة:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. روى المؤلف حديثين في بيان المراد بالمغضوب عليهم، والضالين.

حيث روى بإسناده إلى النبي أنه قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليهود. ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: النصارى.

ثم روى حديثاً بنحوه أيضاً عن عبد الله بن شقيق.

- عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢] قال: أي تركناكم فلم نستأصلكم، من قوله عليه الصلاة والسلام: «أحفوا الشوارب واعفوا اللحى».

- عند قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥].

فسر نقص الثمرات بموت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه.

واستدل على ذلك بحديث رواه بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم» الحديث.

(١) ((مقدمة في أصول التفسير)) (ص ٨٢).

- عند قوله تعالى ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. قال: أي مطيعين؛ قاله الشعبي ودليل هذا التأويل ما روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «كل قنوت في القرآن فهو الطاعة».

- عند قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال: ﴿وَإِنْ تُخَفُّوْهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوْهَا﴾ تعطوها الفقراء في السر؛ فهو خير لكم، وأفضل؛ كل مقبول؛ إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل، وفي الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار، وتدفع سبعين باباً من البلاء».

- عند قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]: استدل بحديث ذبح الموت يوم القيامة على هيئة كبش أملح.

- عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]: استدل على أن معنى الورود هو الدخول، بقوله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة إلا لم يلج النار إلا تحلة القسم»، ثم قرأ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. ومثل هذا كثير في ((الكشف والبيان)).

٢- رواية الحديث من عدة طرق، واستعمال صيغة تحويل الأسانيد (ح) في ذلك: ومن امثلة على ذلك قوله: أخبرنا ابن حمدويه، قال: أخبرنا ابن أيوب. ح. قال: نا أبو حامد وابن حبيب قالوا: أخبرنا الكارزي. ح. وأخبرنا أبو حفص عمر قال: أنا الرِّفاء، قالوا: أنا علي بن عبد العزيز قال: نا أبو عبيد قال: نا يحيى بن سعيد الأموي قال: نا عبد الملك بن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَقْطَعُ قراءته: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الحمد لله رب العالمين ﴿الرحمن الرحيم﴾ مالك يوم الدين.

ورواية الثعلبي للحديث من ثلاثة طرق يدل على سعة روايته.

٣- يروي الحديث غالباً بسنده الخاص عن شيخه إلى النبي ﷺ:

وهذه ميزة امتاز بها هذا التفسير، إذ للإسناد قيمة ومكانة لدى هذه الأمة. ولذلك لام الثعلبي في مقدمته الذين صنّفوا في التفسير ولم يذكروا الأسانيد، فقال في معرض حديثه عن أقسام المفسرين وفرقهم: وفرقةٌ حذفوا الإسناد الذي هو الركن والعماد، فنقلوا من الصحف والدفاتر، وجروا على هوس الخواطر، وذكروا الغث والسمين، والواهي والمتين، وليسوا في عدد العلماء، فصنّت الكتاب عن ذكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكابر، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وهذا أمر ظاهر في هذا التفسير ظهوراً واضحاً أيها وضوح.
ولا شك أن الرواية بالإسناد لا يؤتاها إلى من لازم الشيوخ، وحفظ الأسانيد والمرويات.
٤ - وأحياناً يذكر الأحاديث غير مُسندة. ويقتصر على ذكر الصحابي فقط. وأحياناً يذكر المتن فحسب:

ومن الأمثلة على ذلك:

قوله في تفصيل مسألة القراءة خلف الإمام وأدلتها قال: وكذلك الجواب عن احتجاجهم بخبر عمران بن حصين قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر أو العصر.. الحديث.

- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤] قال في أثناء تفسيره للشيطان: وفي الحديث: إذا مرَّ رجل بين يدي أحدكم وهو يصلي فليدفعه، فإن أبي فليقاتله فإنه شيطان. ورُوي عن النبي ﷺ: أنه نظر إلى رجل يتبع حماماً طائراً فقال: شيطان يتبع شيطاناً.

- عند قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال: روى هشيم عن أبان عن أنس... ثم ذكر حديثاً مرفوعاً.

- عند قوله عزَّ وجلَّ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال: ونظير هذه الآية من الأخبار ما روى أبو هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، عندي دينار.

- عند قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] قال: وقال آخرون المراد بهذه الآية الدلالة على أن الرضاع ما كان في الحولين... وفي الحديث: «لا رضاع بعد الحولين، وإنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم...».

- عند قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩]: قال: والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، والدليل عليه: (أن عرفة بن أسعد رضي الله عنه أصيبت أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفاً من ورقٍ فأتنت عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب). أورده بلا سند.

- عند قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]: استدل بحديث: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل واحدة مسيرة أربعين سنة»، أورده أيضاً بلا سند.

- عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]: استدل بقوله ﷺ لما قال لعلي وفاطمة رضي الله عنهما: «ألا تصلون»، فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله تعالى، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ.

فسمعتة وهو يضرب فخذه يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وقد رواه بإسناده.

- عند قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ [مريم: ٢٨]: استدلل بقوله ﷺ للمغيرة بن شعبة عندما سأله أهل نجران مستشكلين كونها أخت هارون لتباعد السنين بينهما، فقال له النبي ﷺ: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين من قبلهم». أوردته بلا إسناده.

وهذا الصنيع من الثعلبي إما لأنه لم يتسنَّ له رواية هذه الأحاديث بإسنادها، وإما لأنه أراد الاختصار، لاسيما أن بعضها يذكره في معرض الاستشهاد أحياناً على بعض ألفاظ الآية.

٥ - قد يورد أحاديث بلا إسناده، ويسنده في مواضع أخرى من كتابه: ومن الأمثلة على ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أورد قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه». ثم أورد الحديث نفسه مسنداً عند قوله تعالى: ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

- عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١] أورد حديث أبي موسى الأشعري قال: غضب رسول الله - ﷺ - على الأشعرين، فأتيته، فقلت: يا رسول الله، غضبت على الأشعرين؟ قال: «يقول أحدهم: قد طلقتك، قد راجعتك..» وقد رواه مسنداً في تفسير سورة الطلاق.

- عند قوله تعالى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦] أورد حديث عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا تطلقوا نساءكم إلا عن رغبة؛ فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات». وروى هذا الحديث مسنداً في تفسير سورة الطلاق.

- عند قوله تعالى: ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]: استدلل بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ﴾، قال: «كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه»، وقد أوردته بإسناده.

٦ - يكرّر أحياناً بعض الأحاديث في عدة مواضع بحسب المناسبة من عدة طرق:

فيذكره في موضع من طريق، ويذكره في موضع آخر من طريق آخر،

وهكذا. وقد يترتب على هذا اختلاف في بعض ألفاظ الحديث من طريق إلى آخر.

مثال ذلك: حديث عبادة بن الصامت في قراءة الفاتحة خلف الإمام في الصلاة. حيث روى

الثعلبي هذا الحديث من ثلاث طرق، ذكرها في ثلاثة مواضع متفرقة.
الأول: من طريق عبد الرحمن بن بشر، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأَم القرآن».
والثاني: من طريق الشافعي، عن سفيان، به.

والثالث: من طريق محمد بن إسحاق، عن مكحول، عن محمود ابن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فثقلت عليه القراءة، فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته أقبل علينا بوجهه فقال: «إني لأراكم تقرأون خلفي». قلنا: أجل يا رسول الله هذا. قال: «فلا تفعلوا إلا بأَم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها».

٧ - يذكر أحياناً بعض الأحاديث معلقة^(١)، فيحذف أول السند، ثم يذكر بقيته: مثال ذلك: قوله: وقد روى يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي حازم، عن البياضي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي...» الحديث. بينما الحديث موصول في «موطأ مالك» عن مالك، عن يحيى بن سعيد.

٨ - قد يذكر متن الحديث أولاً، ثم يعقبه بالسند خلافاً للأصل في ذلك، وهذا قليل جداً^(٢).

٩ - نقده وتوجيهه لبعض الأحاديث:

الغالب في صنيع الثعلبي هو روايته للأحاديث بسنده، دون بيان صحتها أو ضعفها. كما هو صنيع العلماء المتقدمين، ومنهم المفسرون كابن جرير وابن أبي حاتم، بناء على القاعدة (من أسندك فقد أحالك)^(٣).

إلا أننا نرى الثعلبي أحياناً ينقد بعض الأحاديث، ويوجهها.

وخير مثال على ذلك: ما فعله في مسألة: (قراءة الفاتحة في الصلاة بالنسبة للمأموم) حيث انتصر للقول بوجوب قراءتها على المأموم في الصلاة، وذكر الأدلة على ذلك، ثم ذكر قول المخالفين القائلين بأنه ليس على المأموم قراءة الفاتحة، سواء كانت الصلاة سرية، أم جهريّة. فذكر أدلتهم دليلاً، دليلاً، ونقد بعضها، وأجاب ووجه البعض الآخر.

حيث ذكر من أدلتهم حديث عبد الله بن شداد، عن جابر مرفوعاً: ((من صلى خلف إمام كانت قراءة الإمام له قراءة)).

(١) الحديث المعلق هو: ما حذف من أول إسناده واحد فأكثر، وكأنه مأخوذ من تعليق الجدار لقطع الاتصال فيها. (تدريب الراوي) للسيوطي ١ / ٢١٩.

(٢) انظر الحديث (٣٠١).

(٣) ستأتي مناقشة هذه المسألة في المبحث الرابع عند الكلام عن المآخذ التي أخذت على هذا التفسير.

وأعل الثعلبي هذا الحديث بعليتين:

الأولى: الإرسال. والثانية: ضعف إسناده، لأنَّ فيه راويين لا يُدرى مَنْ هما. ثم ذكر -من أدلتهم- حديث جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً: «من كان له إمام فقراءته له قراءة». وأعلّه بأمرين:

الأول: بجابر الجعفي. حيث ذكر أقوال العلماء في تضعيفه، ثم قال: ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه.

الثاني: أنَّه قد رُوي عن جابر ما يخالف هذه الأخبار، ثم روى ذلك، قال: ومحال أن يروي جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قراءة الإمام قراءة للمأموم ثم يقرأ خلف الإمام ويأمر به مخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثم ذكر بقية أدلتهم واحداً تلو الآخر، ناقداً وموجهاً. ومن الأمثلة الأخرى على تعليله لكثير من الأحاديث التي ذكرها: - عند قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا﴾ [البقرة: ١٧٧] أورد قول ابن مسعود في فضل النفقة: أن تؤتيه وأنت...، ثم قال: ورفع بعضهم.

- عند قوله ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] أسند عن ابن عباس أثراً في معنى الآية. ثم قال: ورفع بعضهم، وساق الحديث المرفوع بسنده أيضاً. - عند قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] أورد حديثاً مسنداً من طريق هشيم بن بشير عن ابن شبرمة. ثم نقل عن النسائي أنه قال: هذا حديث مشهور إلا أن هشيم بن بشير كان يدلس، وليس في حديثه ذكر السماع عن ابن شبرمة.

- أورد حديثاً مرفوعاً من رواية أبي الأحوص سلام بن سليم عن سماك بن حرب. ثم نقل عن أبي عبد الرحمن النسائي أنه قال: هذا حديث منكر؛ غلط فيه أبو الأحوص؛ لا يعلم أن أحداً تابعه عليه من أصحاب سماك. ونقل عن الإمام أحمد -وهو تتمه كلام النسائي- أنه قال: كان أبو الأحوص يخطئ في هذا الحديث؛ خالفه شريك في إسناده ولفظه. وقد أبان لنا هذا النقد وذلك التوجيه عن حقيقتين في الإمام الثعلبي:

الأول: فقه الإمام الثعلبي.

الثانية: ملكته في نقد الأحاديث.

١٠ - تعديل وتجريح الرواة:

- وقد نقل عن الإمام النسائي أحكاماً في الرواة، ومن الأمثلة على ذلك:
- قال: وسماك - ابن حرب - ليس بقوي، وكان يقبل التلقين.
 - قال: عبد الملك بن نافع ليس بالمشهور، ولا يحتاج بحديثه.
 - قال: ويحيى بن يمان لا يحتاج بحديثه؛ لكثرة خطئه، وسوء حفظه.
- وهذا الجانب يدل على فهم من الثعلبي لعلوم الحديث ومصطلحه، ودراية بأحوال الرجال، وإمام بطبقات الرواة وتواريخهم.
- وقد كانت «سنن النسائي» من مصادره التي اعتمد عليها، وهو كتاب حافل، يحوي أقوالاً كثيرة في أحوال الرجال، وفي بيان بعض العلل الخفية في الإسناد والمتن.
- ١١ - عدم الاختصار على الأحاديث الصحيحة، بل قد أكثر من ذكر الأحاديث الواردة في الترغيب والترهيب:
- فالثعلبي كان يروي بإسناده الحديث الصحيح والحسن والضعيف والواهي والموضوع. شأنه في ذلك شأن معظم المفسرين، إلا أنه يتميز عن أكثرهم بأنه يروي بالسند، ومن أسندك فقد أحالك، وهذا الأمر يخفف عنه التبعة في روايته للأحاديث الموضوعية، إلا أنه مع ذلك لا يسلم من اللوم على صنيعه هذا.
- ومثال ما رواه في ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] أورد قصة الحبشي بطولها مع ضعف إسنادها.
- ١٢ - الاستدلال بالحديث على المعنى اللغوي:
- مثال ذلك:
- عند قوله تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] قال في بيان معنى الصبر: وأصل الصبر هو الحبس، ومنه الحديث عن النبي ﷺ في رجل أمسك رجلاً وقتله آخر، فقال: «اقتلوا القاتل واحبسوا الصابر».
 - عند قوله تعالى ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال: وأصل العفو في اللغة: الزيادة، والكثرة... وقال النبي - ﷺ -: «أعفوا للحي».
 - عند قوله تعالى ﴿لَا تَفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، قال: وإنما قال (بين أحد)، ولم يقل بين آحاد، لأن الأحد يكون للواحد، والجميع...، وقال النبي ﷺ: «ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم».

- عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ [آل عمران: ٢٢]: قال: أي: ذهبت وبطلت، وأصله من الحبط، وهو أن ترعى الماشية نباتاً رديئاً فينتفخ لذلك بطونها، وربما ماتت منه، ثم جعل كل شيء يهلك حبطاً، ومنه قول النبي ﷺ: «وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً، أو يُلَمَّ».

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ الْخَوَارِثُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]: قال: والحواري في كلام العرب خاصة: الرجل الذي يستعين به فيما ينوبه يدل عليه، ثم ساق بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير».

١٣ - الاستدلال بالحديث لبعض أقوال المفسرين:

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]. حيث ذكر قولاً في سبب تسمية يعقوب بهذا الاسم، ودلّل على هذا القول بحديث رواه بإسناده. فقال: وقيل: سُمّي يعقوب لكثرة عقبه. ثم روى بإسناده إلى النبي ﷺ أنه قال: «بُعِثَ على إثر ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل».

- عند قوله تعالى ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: قال ابن عباس في رواية أبي رجاء: داعين في صلاتكم. دليله أن النبي ﷺ قنت على رعل وذكوان.

- عند قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، قال: قال ابن مسعود ومجاهد: من حلالات، دليله... وقال النبي ﷺ: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً...».

- عند قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٣) [القيامة: ٢٣] قال: وقال الحسن: تنظر إلى الخالق، وحُق لها أن تُنْصَر، وهي تنظر إلى الخالق.

ثم ساق أحاديث منها حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَجَلَّى لَنَا رَبُّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - حتى ننظر إلى وجهه، فيخرون له سجداً، فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة».

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) [الإنسان: ٨]: قال رحمه الله: قال أبو حمزة الثمالي: الأسير: المرأة، ودليل هذا التأويل قول النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان».

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: قال: وقال قتادة، والسدي، والضحاك: هو القرآن، يدل عليه.

ثم ساق بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنها ستكون فتنة»، فقلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله: فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم...»، الحديث.

١٤ - الاستدلال بالحديث لإثبات بعض القراءات وتقويتها:

- عند قوله تعالى ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال: وقرأ أبو جعفر (فنيماً) بكسر النون، وجزم العين، ومثله في سورة النساء، واختاره أبو عبيد، وذكر أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لعمر بن العاص: نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح.

- عند قوله تعالى ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، قال: قرأ الحسن: و (يحسب)، وبابه بفتح السين. الباكون بالكسر. واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، قيل إنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم ساق بسنده حديثاً، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم «لَا تَحْسَبَنَّ أَنَا إِنَّا ذَبَحْنَاهَا مِنْ أَجْلِكُمْ». ولم يقل: لَا تَحْسَبَنَّ.

وعلى أي حال فاستدلال الثعلبي بالأحاديث واسع جداً، فهو يستدل بالحديث أيضاً على فضائل السور، والعقائد، والأحكام، وفي الزهد والوعظ، وغير ذلك مما هو مثبت في ثنايا كتابه، وقد مرَّ بعضه مفصلاً وسيأتي البعض الآخر. فالأصل عند الثعلبي أن يستدل بالسنة كلما أمكنه ذلك ووجد إليه سبيلاً. ولذا كثر استدلاله بالحديث، وتعددت مجالاته وموضوعاته.

١٥ - قد يورد الحديث أحياناً؛ لمعرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها: ومن الأمثلة على ذلك:

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]: ساق بسنده عن عبد الله بن مسعود: من حلف يميناً يستحق به مالاً وهو فيها فاجر لقي الله - عَزَّ وَجَلَّ - وهو عليه غضبان، أنزل الله تعالى تصديق ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]. فقال الأشعث بن قيس: في نزلت، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «شاهدك أو يمينه...» الحديث.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٤]: قال: نزلت في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة ولحقوا بمكة كفاراً، منهم الحارث بن سويد الأنصاري أخو الجلّاس بن سويد فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ [آل

عمران: ٨٥]، ثم قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [آل عمران: ٨٦ - ٨٩]: وذلك أن الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم وأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ الآية، فحملها إليه رجل من قومه، وقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لأصدق الثلاثة. فرجع الحارث إلى المدينة، فأسلم وحسن إسلامه.

١٦ - يورد الحديث للتدليل على عرض الأحكام الفقهية المستنبطة عند تفسيره لآيات الأحكام ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]: قال: اعلم أن شروط وجوب الحج تسعة: البلوغ، والعقل، والإسلام، والحرية، لقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يتنبه»، ولقوله ﷺ: «أيما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه حجة أخرى، وأيما عبد حج ثم أعتق فعليه حجة أخرى، وأيما أعرابي حج ثم هاجر فعليه حجة أخرى».

وقال في نفس الباب: وأما النفقة: فإن كان ذا أهل وعيال يجب عليه نفقتهم فلا يلزمه الحج، حتى يكون واجداً نفقتهم مدة غيبته لذهابه ورجوعه، لأن هذا الإنفاق فرض على الفور، والحج فرض على التراخي، فكان تقديم الإنفاق على العيال أولى وأهم، وقد قال النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت».

١٧ - يورد الحديث للتدليل على ما أداه إليه نظره فيما اتفق العلماء على جوازه، وهو: استنباط واستخراج الحكم والإشارات وما شاكل ذلك من كل ما لا يمتنع استنباطه من القرآن واستخراجه منه لمن كان أهلاً لذلك:

ومن الأمثلة على ذلك:

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]: قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي...، ثم ساق بسنده عن أبي أمامة الحارثي: أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان يسيراً؟، قال: «وإن كان قضيباً من أراك».

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ﴾ [آل عمران: ١٣٤]: قال: وفي الحديث: «ما من جرعة أحمد عاقبة من جرعة غيظ مكظوم»، وساق بسنده عن معاذ بن أنس

قال: قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظًا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء».

ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة

يعتبر تفسير الصحابة هو المصدر الثالث من مصادر تفسير القرآن، بعد القرآن والسنة، ذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم شاهدوا التنزيل، وأخذوا القرآن غصًا طريًا من في رسول الله ﷺ ولذلك كانوا هم أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بألفاظ القرآن ومعانيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح^(١).

وتفسير ((الكشف والبيان)) وهو الذي يُعدُّ من أبرز التفاسير بالمأثور قد حوى عددًا وافراً من مأثور أقوال الصحابة في تفسير القرين الكريم، حتى أصبح ذلك معلماً واضحاً فيه، يدركه لأول وهلة كل من طالع هذا التفسير، ونظر فيه. ولم يتقصر اعتماد الثعلبي على أقوال الصحابة في جانب أو جانبين، بل كان اعتماداً عليها في نواح عديدة، ومجالات شتى. حيث كان يعتمد أقوال الصحابة في توضيح وتفسير معنى الآية، وفي القراءات، وفي الأحكام، وفي القصص، وغير ذلك وفق منهج سار عليه الثعلبي، وتحددت معالمه في الأمور التالية:

١- يروي الثعلبي أحياناً أقوال الصحابة بإسناده، وأحياناً يذكر قول الصحابي بإسناد معلق. وأحياناً يذكرها من دون إسناد.

٢- ذكر قراءات الصحابة:

ويروي الثعلبي هذه القراءات أحياناً بالإسناد، وأحياناً يذكرها دون إسناد. مثال ذلك:

عند ذكر القراءات في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] نسب قراءة (ملك) من دون ألف إلى خمسة من الصحابة.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، استشهد بقراءة أبي (وأكفلها زكريا) بالألف لكونها تعين على التأويل، أي ضمها الله زكريا، أي ضمها إليه. (زكريا) فيه لغتان: (زكريا) مقصور، وهي قراءة ابن مسعود.

(١) ((مقدمة في أصول التفسير)) (ص ٨٤).

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿تَأْمَنَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: (مالك لا تيمنا).

- عند قول الله تعالى: ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ قال: وقرأ الحسن (ولا أدراكم به)، وهي لغة بني عقيل... إلى أن قال: وقرأ ابن عباس رضي الله عنه (ولا أنذرتكم به) من الإنذار، وهو دليل قراءة الحسن.

- وقال في قول الله تعالى: ﴿وَأَزَّيَّنَتْ﴾ هكذا قراءة العامة، وتصديقها قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (وتزينت).

- ومثله قوله عند قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ قال: قراءة العامة (السحر) على الخبر بغير مد...، ودليل قراءة العامة قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (ما جئتم به سحر).

٣- الاستدلال بأقوال الصحابة في تفسير الآية وبيان معناها:

ومن الأمثلة عليه:

روى الثعلبي بسنده عن ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: فاتحة الكتاب.

ويروي بسنده عن ابن مسعود: في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: يجلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويقرؤونه كما أنزل، ولا يحرفونه عن مواضعه.

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ ذكر الاختلاف في معنى (الأكمة) إلى أن قال: وقال ابن عباس: هو الذي ولد أعمى ولم يبصر ضوءاً قط، وقول ابن عباس هو الراجح.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]؛ ذكر الاختلاف في معنى (ربانيين) إلى أن قال: فقال عليّ وابن عباس: كونوا فقهاء علماء. وقد جمع عليّ رضي الله عنه هذه الأقاويل فقال: هو الذي يرب علمه بعمله.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ ذكر الاختلاف في المعنى بهذه الآية إلى أن قال: وقال بعضهم: إنما أخذ الميثاق على النبيين وأممهم، فاكتمى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على الأتباع، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه، وهو أولى بالصواب.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: ذكر أوجه التأويل في المعنى بهذه الآية، فقال: قال ابن عباس رضي الله عنه: تمسكوا بدين الله وساق بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: الجماعة.

وذكر عن ابن مسعود أنه قال: أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها جبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الطاعة والجماعة خير مما تحبون في الفرقة. وساق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً أنه: كتب الله. وروى بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه.

مرفوعاً: أن هذا القرآن هو جبل الله. وساق بسنده عن زيد ابن أرقم رضي الله عنه مرفوعاً أنه كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة.

وعند تفسيره لقوله الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]: ذكر العلة الجالبة لهذه المغفرة فقال: قال ابن عباس رضي الله عنه: سارعوا إلى الإسلام. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلى أداء الفرائض. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: الإخلاص. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: التكير الأولى.

٤ - نقل بعض القصص المتعلقة بتفسير الآية عن الصحابة: مثال ذلك:

ذكره لقصة إبراهيم وابنه إسماعيل وأمه هاجر، وبناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة. وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: ٩٣]: روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أقبل يعقوب عليه السلام من حران، فذكر معالجة يعقوب والملك وما أصاب يعقوب عليه السلام من بلاء وشدة فحلف يعقوب عليه السلام لئن شفاه الله - عز وجل - لا يأكل عِرْقًا ولا طعامًا فيه عِرْق، فحرّمها على نفسه. وذكر تمام القصة.

وروى عن ابن عباس أن الأطباء وصفوا ليعقوب عليه السلام أن يجتنب لحوم الإبل. وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]: روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد شج رسول الله ﷺ في قرن حاجبه، وذكر قول النبي ﷺ: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم».

٥- نقل أسباب النزول عن الصحابة^(١):

ومن الأمثلة على ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية [البقرة: ١١٥] ذكر عددًا من الروايات عن الصحابة في سبب نزول الآية. حيث ذكر سيبًا عن ابن عباس. ثم ذكر نحوه عن عامر بن ربيعة. ثم ذكر سيبًا آخر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَٰكِنْ سَوْفَ يُعْطَوْنَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: ١٢]: ذكر عن محمد بن إسحاق أنها نزلت في اليهود، وقال: وهذه رواية عكرمة وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنه.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]: ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه: أن نفرًا من اليهود بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فحذّرهم رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبيرة عن ذلك فأبوا إلا مبايعتهم، فأنزل الله - عز وجل - فيهم هذه الآية.

٦- الاستدلال بأقوال الصحابة في الأحكام الفقهية:

ففي مسألة الجهر بالبسملة في الصلاة: يستدل الثعلبي على مشروعية الجهر بأدلة، منها بعض الأدلة عن الصحابة أنهم كانوا يجهرون بها. حيث يروي بسنده: عن ابن عمر وابن عباس أنها كانا يجهران بـ (بسم الله الرحمن الرحيم).

ويروي بسنده أيضًا عن علي بن زيد بن جدعان: أن العبادلة كانوا يستفتحون القراءة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) يجهرون بها؛ عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن صفوان.

وعند مسألة قراءة الفاتحة في الصلاة، يرجّح الثعلبي وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام. ويدلّل على ذلك بعده أحاديث، ثم ينسب هذا القول إلى سبعة عشر صحابيًا يذكر أسماءهم.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]: ذكر شروط وجوب الحج، ومنها الزاد والراحلة قال: وهو قول عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه، وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال لشيخ كبير لم يحج: جهّز رجلًا يحجّ عنك.

(١) وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن منهج المؤلف في ذكر أسباب النزول.

وذكر في فصل في إيجاب الحج عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حجّوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلّا نفقت. وروى عن عمر رضي الله عنه قال: لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى الأمصار، فينظرون إلى من كان له مال ولم يحج، فيضروا عليه الجزية.

٧- ويستدل الثعلبي كذلك بإجماع الصحابة في المسائل الفقهيّة:

حيث استدل بإجماعهم على كون البسملة الآية الأولى من فاتحة الكتاب: بما رواه بسنده عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعه؛ أنّ معاوية بن أبي سفيان قدم المدينة فصلى بالناس صلاة يحجر فيها، وإنه قرأ أم القرآن ولم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية: أنسيّت؟ أين (بسم الله الرحمن الرحيم) حين استفتحت القرآن؟ فعادهم معاوية، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم).

٨- نقل بعض الإسرائيليات عن الصحابة:

مثال ذلك: الروايات الإسرائيلية التي نقلها المؤلف في قصة هاروت وماروت. حيث ذكر قصصاً في ذلك: عن ابن عباس. وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عمر.

٩- تقديم أقوال الصحابة على غيرهم عند ذكر أقوال المفسرين:

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. ذكر أقوال العلماء في معنى التقوى وحقيقة المتقي. فذكر أولاً قول ابن عباس، ثم قول ابن عمر، ثم ذكر بقية الأقوال.

وهذا ليس مضطرباً فقد يخالفه أحياناً إذا اقتضى الأمر ذلك. فعند قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] ذكر حديث النبي ﷺ ((الويل واد في جهنم...)) الحديث.

ثم ذكر الأقوال المماثلة لهذا الحديث، وهي قول سعيد بن المسيب: واد في جهنم وقول ابن بريدة: جبل من قيح ودم. ثم ذكر قولاً مغايراً لابن عباس وهو قوله بأن الويل: شدة العذاب. وتأخيره لقول ابن عباس، لعل سببه أن الأقوال التي ذكرها قبله هي الأولى، لدلالة الحديث عليها. فلمثل هذا الاعتبار ونحوه يؤخّر أحياناً أقوال الصحابة.

١٠- مراعاة الترتيب في ذكر الصحابة:

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾ [البقرة: ١]. ذكر ضمن الأقوال في الحروف المقطعة قولين لأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب. فقدّم قول أبي بكر، ثم ذكر قول علي.

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قولين، قول لعثمان بن عفان رضي الله عنه وذكره أولاً، ثم ذكر قولاً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

د- تفاسير التابعين

كما نقل الثعلبي تفسير الصحابة، وذكر أقوالهم في مواضع كثيرة من تفسيره، فإنه اعتمد أيضاً أقوال تلاميذ هؤلاء الصحابة من التابعين رحمهم الله الذين أخذوا تفسير كتاب الله غُضًّا طرياً من أولئك الصحابة رضوان الله عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين^(١).

والثعلبي رحمه الله قد اعتنى بتفاسير هؤلاء الأئمة من التابعين عناية بالغة في تفسيره. حيث إنَّ الناظر في مصادره التي ذكرها في مقدمة كتابه يجد أنَّ من أبرز هذه المصادر تفاسير هؤلاء التابعين، أمثال: مجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، وغيرهم.

وقد روى الثعلبي كل تفسير من تفاسيرهم بإسناده إلى التابعين وبعض التفاسير رواها من عدة طرق كما سبق عند ذكر مصادره.

حتى إن من يطالع ((الكشف والبيان)) ولو قليلاً، ويرى تلك الأقوال الكثيرة المتناثرة لأولئك التابعين في كل موضع من هذا التفسير، يدرك يقيناً أن هذا الكتاب مصدر مهم لأقوال التابعين وتفسيرهم.

وقد انتهج الثعلبي في نقل أقوال التابعين منهجاً يشبه منهجه في ذكر أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ويمكن تحديد معالم هذا المنهج في الأمور التالية:

١ - رواية أقوال التابعين بالإسناد:

ذكر الثعلبي في مقدمة تفسيره أسانيده إلى هؤلاء التابعين، لئلا يحتاج إلى تكرار هذه الأسانيد كلما ذكر أقوالهم.

ولكننا نجد الثعلبي يروي بعض أقوال التابعين بالإسناد لأنها جاءت من طرق أخرى عن التابعي غير التي ذكرها في مقدمته.

(١) ((مقدمة في أصول التفسير)) (ص ٩٠).

ومن الأمثلة على ذلك: أنه روى قولاً عن عطاء بن أبي رباح من غير الطريق الذي روى عنه تفسيره في المقدمة. فقد روى تفسير عطاء عنه في مقدمة التفسير من طريق ابن جريج عنه. وأما الأثر الذي رواه عنه في تفسيره فقد رواه من طريق عثمان بن الأسود، عن عطاء.

٢- بيان أقوالهم في تفسير كثير من المفردات أو المعاني:

وهذا لا حصر له، وفيما يأتي أمثلة لبعضها:

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]: ذكر اختلاف العلماء في المحكم والمتشابه ما هما، ومما ذكره: قال قتادة، والربيع، والضحاك، والسدي: المحكم: الناسخ الذي يعمل به، والمتشابه: المنسوخ الذي يؤمن به، ولا يعمل به.

وقال مجاهد، وعكرمة: المحكم: ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضاً. وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: المحكم: ما لا يحمل من التأويل غير وجه واضح، والمتشابه: ما احتمل أوجهاً.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]: ذكر كماً كثيراً من أقوال أهل العلم في السيد والحصور، ومنهم الضحاك، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وقاتدة، وعكرمة، ومجاهد، وابن زيد، وأبو الشعثاء، والسدي، والحسن وغيرهم الكثير.

- عند قوله تعالى: ﴿وَلَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]: قال: قال مجاهد والضحاك: الوصيد: فناء الكهف، وهي رواية على بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال سعيد بن جبير: الوصيد: الصعيد وهو التراب، وهذه رواية عطية: عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال السدي: الوصيد: الباب، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال عطاء: الوصيد: عتبة الباب. وقال القتيبي: الوصيد: البناء.

- عند قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَئِيهَا أَرْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]: قال: قال ابن عباس، وسعيد بن جبير: أحل ذبيحة. وقال الضحاك: أطيب. وقال مقاتل بن حيان: أجود. وقال يمان بن رثاب؟ أرخص. وقال قتادة: خير. وقال عكرمة: أكثر.

- عند قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ [مريم: ٥]: قال عند تفسير معنى الموالى: قال مجاهد: العصبية. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة.

- عند قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]: قال: عند تفسير النسي: قال ابن عباس رضي الله عنه: شيئاً متروكاً. وقال قتادة: شيئاً لا يعرف ولا يذكر. وقال عكرمة، والضحاك، ومجاهد: حيزة ملقاة. وقال الربيع: هو السقط. وقال مقاتل: يعني كالشيء الهالك. وقال

عطاء بن أبي مسلم: يعني لم أخلق. وقال الفراء: وهو ما تلقى المرأة من خرق اعتلاها. وقال أبو عبيدة: هو ما نسي أو أغفل من شيء حقير.

٣- نقل أقوال التابعين في سبب نزول الآية:

مثال ذلك:

عند قوله ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ [البقرة: ١٧]. قال: قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والسدي: نزلت هذه الآية في المنافقين. ثم قال: وقال سعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، وعطاء، ويهان بن رثاب: نزلت في اليهود.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠]: قال: قال الحسن، وقتادة، وعطاء الخرساني: نزلت هذه الآية في اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم، ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن. وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ. وقال مجاهد: نزلت في الكفار كلهم.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ = [آل عمران: ٩٣]: قال: قال أبو ورق: كان هذا حين قال النبي ﷺ: أنا على ملة إبراهيم...، فذكر الحديث إلى أن قال: فأنزل الله - عز وجل - تكذيباً لهم: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾.

٤- ذكر قراءات التابعين:

مثال ذلك: عند قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤]: قال: وقرأ الحسن ومجاهد وطلحة: ﴿وقودها﴾ بضم الواو وقرأ عبيد بن عمير: (وقيدها الناس والحجارة).

وعند قراءة ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] نسب هذه القراءة إلى واحد وثلاثين من التابعين وأتباعهم.

وعند قراءة (ملك يوم الدين) نسبها إلى عشرين من التابعين، وأتباعهم.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]: قال: قرأ أبو حيوة: بكسر الزاي مخففاً، يعني: منزلين النصر، وقرأ الحسن، ومجاهد، وطلحة بن مصرف، وعمرو بن ميمون، وابن عامر: مشددة مفتوحة الزاي على التكثير.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]: قال: قرأ الحسن، ومجاهد، وحيد، وابن كثير، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وعاصم برواية أبي بكر، وحفص، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأيوب: مخففة الفاء، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، وحيثئذ

يكون زكريا في محل الرفع أي: ضمّها إلى نفسه، وقام بأمرها.

٥- نقل الإسرائيليات عن بعض التابعين:

مثل القصص التي ذكرها عن عكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والسدي، سيرين، وغيرهم، في شأن بقرة بني إسرائيل التي أمروا بذبحها.

٦- ذكر أقوال التابعين في المسائل الفقهية والأحكام الشرعيّة:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] عقد مسألةً فقهيةً في حكم السعي بين الصفا والمروة، وذكر عدة أقوال في ذلك نسب كثيرًا منها إلى عدد من التابعين، مثل: مجاهد، وعطاء، وابن سيرين، والحسن، وغيرهم.

٧- الاستدلال بالحديث على أقوال التابعين:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البسملة: الفاتحة]. ذكر عدة أقوال في تفسيرها، ومنها قول ابن المبارك: الرحمن الذي إذا سُئِلَ أعطى، والرحيم الذي إذا لم يُسأل غضب. واستدل على هذا القول بحديث النبي ﷺ الذي رواه بإسناده: من لم يسأل الله يغضب عليه.

٨- كثرة النقول عن التابعين:

ومن الأمثلة على ذلك:

١- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾ [البقرة: ١].

٢- أقوالهم في معنى التقوى وحقيقة المتقي [البقرة: ٢].

٣- أقوال المفسرين في المراد بالرعد [البقرة: ١٩].

٤- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١] وغيرها.

٩- يذكر بعض مراسيل التابعين:

مثال ذلك: قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال: نا أبو أحمد عبد الملك بن محمد بن الفضل قال: نا أبو يحيى زكريا بن دلويه ابن شبيب قال: نا أحمد بن النعمان بن الوجيه قال: نا جعفر بن سليمان الضبعي قال: نا سيف بن ميمون عن الحسن أن رسول الله قال: قال موسى ﷺ يا رب كيف استطاع آدم أن يؤدي شكر ما أجزيت عليه من نعمك. الأثر.

هـ - تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم

يعتبر تفسير ((الكشف والبيان)) للثعلبي موسوعة في أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن بعدهم من أئمة التفسير. وقد اعتمد عليه في هذا الباب كثير من المفسرين كما سيأتي عند الكلام عن أهمية الكتاب.

وقد ذكر الثعلبي في مقدمة ((تفسيره)) أسانيده إلى تفاسير أتباع التابعين ومن بعدهم، أمثال: سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، ووكيعة بن الجراح، وهشيم بن بشير، وشبل بن عباد، وورقاء بن عمرو، وقبيصة بن عقبة، وأبي حذيفة النهدي، وسعيد بن منصور، وعبد الله بن وهب، وعبد بن حميد، ومحمد بن أيوب الرازي، وغيرهم.

ولم يقتصر في النقل عن هؤلاء الذين روى تفاسيرهم بإسناده، بل نقل عن غيرهم أيضاً مثل: محمد بن جرير الطبري، وغيره.

وقد حشد الثعلبي في تفسيره أقوال هؤلاء الأئمة بما لا تجده عند غيره إلا نادراً، حتى أصبح هذا التفسير مصدراً هاماً لأقوال هؤلاء المفسرين، نظراً لأن مصنفاتهم مفقودة الآن، فالذين يريدون جمع مرويات هؤلاء وأقوالهم يجعلون تفسير ((الكشف والبيان)) في مقدمة المصادر التي يستقون منها هذه الأقوال.

ومن أمثلة ما رواه المصنف رحمه الله عنهم في ((تفسيره)): عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣]: قال: وقال عمير بن إسحاق: لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله ﷺ وبقي سعد بن مالك يرمي...، فذكر الآية.

وقال الشعبي: بلغ رسول الله ﷺ والمسلمين يوم بدر أن كرز بن كابر المحاربي يريد أن يمد المشركين...، فذكر الرواية.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]: قال: قال السدي: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة...، فذكر قصة عزمهم على العودة إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]: قال: قال الربيع بن أنس: كان زكريا عليه السلام إذا خرج أغلق عليها السبعة أبواب، فإذا دخل عليها غرفتها ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. أي: فأكهة في غير حينها، فأكهة الصيف في الشتاء، وفاكة الشتاء في الصيف.

وروى عن محمد بن إسحاق بن يسار قال: ثم أصابت بني إسرائيل أزمة...، فذكرها إلى أن قال: فدخل عليها زكريا فبرى عندها فضلاً من الرزق، وليس بقدر ما يأتيها به يوسف.. إلخ.

و- الإسرائيليات وموقف الثعلبي منها

معنى الإسرائيليات:

لفظ الإسرائيليات - كما هو ظاهر - جمع، مفردة إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تُروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة.

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يُروى أصلاً عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما^(١).

أقسام الإسرائيليات:

تنقسم الإسرائيليات إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، فتقسم من ناحية السند وال متن إلى:

- ١ - صحيح من ناحية سنده ومتنه.
- ٢ - ضعيف من ناحية سنده أو متنه أو بهما معاً.
- وتنقسم باعتبار موضوعها إلى:
- ١ - ما يتعلق بالعقائد.
- ٢ - ما يتعلق بالأحكام.
- ٣ - ما يتعلق بالمواعظ والقصص مما ليس له صلة بالموضوعين السابقين.
- كما تنقسم باعتبار موافقتها لشريعتنا أو مخالفتها إلى:
- ١ - أخبار موافقة لما في شريعتنا.
- ٢ - أخبار مخالفة لما في شريعتنا.
- ٣ - أخبار سُكت عنها في شريعتنا^(٢).

(١) ((الإسرائيليات في التفسير والحديث)) للدكتور الذهبي (ص ١٣).

(٢) ((الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير)) (ص ٧٦).

حكم رواية الإسرائيليات:

ورد في حكم رواية الإسرائيليات عدد من الأحاديث والآثار يفهم من بعضها الجواز ومن البعض الآخر المنع، وأعدل الآراء في هذا هو ما ذهب إليه جمهور العلماء وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية في التوفيق بين أدلة الجواز وأدلة المنع، وذلك بحمل أدلة الجواز على ما وافق شرعنا وعلى ما سكت عنه شرعنا فلم يصدقه ولم يكذبه، وحمل أدلة المنع على ما خالف شرعنا. وفيما يأتي نص كلام ابن تيمية رحمه الله في «مقدمته في أصول التفسير» فبعد أن أشار رحمه الله إلى أن الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، قال: فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حكايته لما تقدم، أي في قوله ﷺ: ((**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**))^(١)، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى...، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين في ديناهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله تعالى عليه، فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤، والبخاري ٦/ ٤٩٦ (٣٤٦١)، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي ٥/ ٤٠ (٢٦٦٩) كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: ((**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**)).

تسرُّب الإسرائيليات إلى كتب التفسير:

لقد تسربت الإسرائيليات إلى معظم كتب التفسير إن لم يكن إلى جميعها وسبب ذلك والله أعلم أن القرآن الكريم كان يقصد في إيراد القصص إلى موضع العبرة والموعظة، ولم يكن غرضه الأصلي إيراد أو سرد الوقائع التاريخية لمجرد الإخبار كما هو الشأن في كتب التاريخ التي غالباً ما تهتم بالجزئيات وتتوسَّع في التفاصيل.

ولما كانت النفس البشرية تشوق دائماً إلى معرفة المجهول، فقد كان العرب في أول الإسلام -كما كانوا قبل الإسلام- يسألون أهل الكتاب، وخاصة بعد أن أسلم طائفة منهم، كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه.

وقد كان عندهم شيء من العلم، لكنهم لطول العهد بينهم وبين أنبيائهم ولتحريف من حرَّف من أحبارهم السابقين، فقد اختلط الحق الذي لديهم بالباطل، وأصبحوا يجيئون من يسألهم فيصيئون أحياناً ويخطئون أحياناً أخرى حسب اجتهادهم وما توصلوا إليه، وكل ذلك مما لا يتعلق بالأمور الجوهرية في العقيدة، ولا يرجع إلى الأحكام وبيان الحلال والحرام. وتناقل الناس أقوالهم، وتساهل المفسرون فملؤوا كتبهم بتفسيرات أهل الكتاب بنسب متفاوتة، وأخذ القصص الصحيح منه، وغير الصحيح، يجد طريقه إلى أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري والثعلبي والواحدي والبغوي والخازن. حتى المفسرين الذين تنبهوا إلى ذلك وحاولوا التخلص من الإسرائيليات كابن عطية والقرطبي والرازي وابن كثير وأبي حيان ومن نحا نحوهم جميعاً لم يسلموا من هذه الإسرائيليات^(١).

موقف الثعلبي من الإسرائيليات:

لم تخلُ كتب التفسير عموماً من ذكر الإسرائيليات والاستشهاد بها في التفسير كما سبق، وإن كان هؤلاء المفسرون منهم المقل في ذكر هذه الإسرائيليات ومنهم المكثرون في ذلك.

وقد كان الثعلبي من الذين أكثروا من هذه الإسرائيليات وتوسعوا فيها، حتى كان توسُّعه هذا من أبرز الأشياء التي جلبت له اللوم، ولتفسيره الذم. وسيأتي تفصيل القول في ذلك عند الكلام على المآخذ على تفسير الكشف والبيان، وهناك سيظهر لنا الحق في هذه المسألة.

أما هاهنا فالذي يهمنا هو بيان منهج الثعلبي في ذكره لهذه الإسرائيليات، والطريقة التي سار عليها في ذلك. ويمكن تحديدها فيما يأتي:

(١) انظر: ((مقدمة ابن خلدون)) (ص ٤٣٩)، و((الإسرائيليات في التفسير والحديث)) (ص ١٥)، و((الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان)) ٢ / ٤٦٧، و((ابن جُزَي ومنهجه في التفسير)) ١ / ٤٦٧.

١ - يذكر الثعلبي بعض الإسرائيليات دون إسناد، ولا ينسبها لأحد، ولا يبيّن مصدره في ذلك:

ومن الأمثلة على ذلك^(١):

- قصة إبليس والحية. عند الآية (٣٦) من سورة البقرة.
- قصة إسرائء موسى ببني إسرائيل من مصر. الآية (٥٠) من سورة البقرة.
- قصة السبعين الذين اختارهم موسى. الآية (٥٥) من سورة البقرة.
- قصة أصحاب السبت. الآية (٦٥) من سورة البقرة.
- ما أورده في صفة التابوت.
- قصة حمل قيذار بن إسماعيل التابوت ونقله إلى يعقوب.
- أن سبب سؤال إبراهيم إحياء الموتى لينجو من القتل.
- ٢ - ويورد الثعلبي بعض الإسرائيليات وينسبها إلى راويها من الصحابة، أو التابعين، أو من بعدهم:

ومن الأمثلة على ذلك:

- قصة البقرة. عند تفسير الآية (٦٨) ذكر قصتها من قول ابن عباس وابن وهب، والسدي، وغيرهم.
- قصة سليمان والسحرة. الآية (١٠٢) من سورة البقرة، نسبها إلى عكرمة، والسدي، والكلبي.
- قصة هاروت وماروت. الآية (١٠٢) من سورة البقرة، نقلها -مفرقة- عن ابن عباس، وعلى بن أبي طالب، والسدي، وقتادة، ومجاهد، وكعب الأحبار.
- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قَالَ الْخَوَارِئُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] قال: وقال عطاء: أسلمت مريم عيسى إلى أعمال شتى، فكان آخر ما دفعته إلى الخواريين، وكانوا قصّارين وصباغين، فدفعته إلى رئيسهم، ليتعلم منه...، فيورد القصة بطولها إلى أن قال: فأمن به هو وأصحابه فهم الخواريون.
- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: إن ملكاً من بني إسرائيل أراد قتل عيسى وقصده أعوانه...، فيورد قصة محاولة قتل عيسى عليه السلام. وقال: وقال وهب: طرقوا عيسى عليه السلام في بعض الليل

(١) نظراً لطول القصص اكتفينا بذكر عنوان القصة.

فأمروه ونصبوا خشبة ليصلبوه...، فيورد قصة قتل عيسى عليه السلام إلا أن الله عز وجل رفعه إليه، وشبه الذي دلّ عليه لهم فصلبوه مكانه.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] قال: قال وهب بن منبه: مكتوب في التوراة: إن الله يبعث يوم القيامة سبع مئة ألف ملك من الملائكة المقربين، بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب إلى البيت الحرام...، فيورد قصة زمّهم الكعبة بالسلاسل الذهبية...، إلى أن قال فتقول الكعبة: لبيك لبيك، والخير في يدك، ثم يمدونها إلى المحشر.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأُتْبِئْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] روى عن السديّ قال: كان عيسى عليه السلام إذا كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع بهم آبائهم...، فذكر قصة همّ بني إسرائيل في الفتك بعيسى، وهروب أمه به إلى مصر على حُمير لها.

- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرْتُكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] أورد بسنده عن وهب، قال: (مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب فلا أمحكك فيمن أحمق، وإذا ظلّمت فلا تنتصر، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك).

- عند ذكر ذي القرنين في سورة الكهف [آية: ٨٣] وما بعدها أورد قصة طويلة عن وهب.

- عند ذكر رفع إدريس عليه السلام في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]؛ أورد قصة طويلة يتضح أنها من مرويات بني إسرائيل، ونسبها لابن عباس رضي الله عنه، وكعب الأحبار رحمه الله.

وعدم ذكر الثعلبي إسناده إلى هؤلاء راجع إلى اكتفائه بذكر أسانيده إلى معظمهم في مقدمة تفسيره.

وأما إذا روى عن غيرهم فقد يذكر إسناده إليه، كما في الإسناد رقم (٢٩٧) إذ روى بسنده عن أبي بكر القطان شيئاً من قصة بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة المشرفة.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] أورد بسنده عن عطاء الخرساني قصة أخوين من بني إسرائيل مؤمن وكافر.. إلخ.

٣ - يجمع الثعلبي أحياناً عدداً من المرويات الإسرائيلية بأسانيد متعددة ويسوقها في سياق واحد:

كما فعل في قصة بناء الكعبة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، إذ قال: روت الرواة بأسانيد مختلفة في بناء الكعبة، جمعت حديثهم ونسقته ليكون أحسن في النظم، وأقرب إلى الفهم. قالوا.. فساق القصة.

- وعند قوله ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] قال: قال المفسرون بألفاظ مختلفة، ومعان متفقة: عبر النهر مع طالوت، وفيمن عبر إيشا أبو داود.

- وعند قوله عز وجل: ﴿أَوِ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قال: وقال الذين قالوا إن هذا المار كان عزيزاً: أن بخت نصر لما أخرب بيت المقدس، وأقدم سبي بني إسرائيل، وكان فيهم عزيزاً.

٤ - يهتم الثعلبي باختلاف المفسرين في القصص الإسرائيلية.
من الأمثلة:

- عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ذكر الخلاف في سبب خروج هؤلاء القوم، فقال: قال أكثر المفسرين: كانت قرية يقال لها داوردان، وقع بها الطاعون، فخرجت طائفة هاربين من الطاعون... وقال الضحاك، ومقاتل، والكلبي: إنما فروا من الجهاد. ثم ذكر الثعلبي بعد ذلك تسعة أقوال مختلفة؛ عزاها إلى أصحابها في مبلغ عدد الذين خرجوا من ديارهم.

- عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦] قال: اختلفوا في ذلك النبي من هو؟ فقال قتادة: يوشع بن نون، وقال السدي: شمعون، وقال سائر المفسرين: هو أشمويل.

٥ - في بعض الإسرائيليات التي أوردها الثعلبي طعن وتنقص للأنبياء ﷺ والصالحين واتهامهم بما لا يليق. مثل:

- ما ورد في قصة طالوت مع داود بعد قتل جالوت: وأراد أن يغتال داود، فقال لها: أين بعلك؟ قالت: هو نائم على السرير، فضربه بالسيف، فسال الخمر، فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما أكثر شربه للخمر. وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود، فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل داود إلا قتله، وأغري بقتل العلماء، فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله.

- ما أورده في حق النبي أرميا ﷺ من الجزع المذموم الذي ينافي كمال التوكل الذي كان عليه الأنبياء ﷺ، فعند قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] أورد ما يأتي: فلما سمع ذلك أرميا صاح، وبكى، وشق ثيابه، ونبذ الرماد على رأسه.

٦ - وفي بعضها معجزات وأمور خارقة للعادة لا تحدث إلا على يد الأنبياء بأمر من الله عز وجل.

- فعند قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] أورد ما يأتي: فانطلق بها إلى قبر أشمويل، فصلت، ودعت، ثم نادى صاحب القبر، فخرج إشمويل من القبر ينفخ من رأسه التراب.

ز - التفسير الصوفي الإشاري وموقف الثعلبي منه:

تعريف التفسير الصوفي الإشاري:

عرّف بعض العلماء هذا التفسير بأنّه: تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية، تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة^(١).

موقف العلماء من التفسير الإشاري:

اختلف العلماء في هذا التفسير، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه. وكل من الفريقين استدل على قوله بأدلة لا يتسع المقام هنا لذكرها وذكر الردود عليها والأجوبة عنها^(٢).

ومن العلماء من توسّط فأجاز هذا التفسير بشروط، ومن هؤلاء الإمامان الشاطبي، وابن القيم.

وخلاصة هذه الشروط تكمن في أمرين:

- أن يصحّ هذا التفسير على مقتضى الظاهر المقرّر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

- أن يكون له شاهد نصّ، أو ظاهرًا في محل آخر يشهد لصحته.

(١) انظر: ((روح المعاني)) للألوسي ٧/١، ((مناهل العرفان)) للزرقاني ١/٥٤٦، ((التفسير والمفسرون)) للدكتور الذهبي ٢/٣٥٢.

هذا وقد قسم الذهبي التفسير الصوفي على قسمين:

أ- التفسير الصوفي الإشاري أو الفيضي، وهو بحثنا هاهنا.

ب- التفسير الصوفي النظري، المبني على مباحث نظرية وتعاليم فلسفية. وزعيمه محيي الدين بن عربي، وهو أقرب إلى تفسير الملاحدة والباطنية.

وتفسير ((الكشف والبيان)) خالٍ من هذا النوع والله الحمد، ولذا فهو لا يهمننا في شيء. وقد بيّن الدكتور الذهبي الفروق بين التفسيرين في كتابه الماتع ((التفسير والمفسرون)).

(٢) انظر: ((الموافقات)) للشاطبي ٣/٣٨٢، مقدمة في ((أصول التفسير)) لابن تيمية (ص ٨١)، ((الإتقان)) للسيوطي ٤/٤٨٥، ((التفسير والمفسرون)) للذهبي ٢/٣٥٢، ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ٢/٥٩٥.

وهذان الشرطان نادرًا ما يتحققان في التفسير الإشاري الموجود في التفاسير الصوفية الموجودة اليوم^(١).

وبعض العلماء الذين منعوا من التفسير الإشاري يرى أن هذا التفسير ليس تفسيرًا، بل هي معان ومواجيد لا يطلق عليها اسم التفسير، لكي لا يلتبس على البعض.

وقد نقل هذا القول الزركشي في «برهانه» إذ قال: فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل: ليس تفسيرًا، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] إن المراد النفس، فأمرنا بقتال من يلينا، لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه^(٢).

علاقة الثعلبي بالصوفيّة:

الثعلبي له علاقة بالتصوف والصوفيّة، وأبرز أوجه هذه العلاقة أن بعض شيوخه الذين أخذ عنهم كانوا من الصوفية. ومن أبرز هؤلاء شيخه أبو عبد الرحمن السلمي شيخ الصوفية وكبيرهم في زمانه، وصاحب طبقاتهم.

والثعلبي رحمه الله كان ينقل في «تفسيره» عن علماء الصوفية الكبار، أمثال: الفضيل بن عياض، والحارث المحاسبي، والجنيد، والسري السقطي، والشبلي، وأبي يزيد البسطامي، وأبي تراب النخشي، وغيرهم.

إلا أن ذلك لا يعني أن الثعلبي كان يعتقد عقيدة الصوفية، أو يوافقهم في معتقداتهم، فذلك لم يظهر من الثعلبي في تفسيره، وإنما الذي ظهر هو أن الثعلبي كان يستأنس بأقوالهم في مواطن الوعظ والزهد. كما فعل عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ذكر أقوال العلماء في معنى التقوى، وحقيقة المتقي، وذكر ضمن هذه الأقوال أقوالاً لعلماء الصوفية الأوائل في ذلك.

موقف الثعلبي من التفسير الإشاري:

جعل الثعلبي رحمه الله التفسير الإشاري أساسًا من الأسس التي بنى عليها تفسيره «الكشف والبيان» فقد ذكر في مقدمته أنه بنى كتابه على أربعة عشر أساسًا، وعدّها منها: الحكم والإشارات.

(١) انظر: ((الموافقات)) للشاطبي ٣/ ٣٩٤، ((البيان في أقسام القرآن)) لابن القيم (ص ٥٠)، ((مناهل العرفان))

٨١/ ٢ حيث ذكر الزرقاني خمسة شروط، والشرطان المذكوران يغنيان عنها، وهما خلاصتها.

(٢) ((البرهان)) ٢/ ١٧٠. وانظر: ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ٢/ ٦١٨، ٦٠٢.

وذكر الثعلبي ضمن مصادره في «تفسيره» تفسير شيخه أبي عبد الرحمن السلمي المسمى «حقائق التفسير»، ويعد من أشهر التفاسير الإشارية، وذكر الثعلبي أنه قرأ هذا التفسير على شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، وأقر له به^(١).

ولم يقتصر الثعلبي على «حقائق التفسير» بل نقل عن تفاسير إشارية أخرى، كـ «تفسير القرآن العظيم» لسهل التستري، وتفسير «لطائف الإشارات» للقشيري. ومن أمثلة التفسير الإشاري في تفسير «الكشف والبيان» ما يأتي:

- عند قوله تعالى: في أول سورة البقرة: ﴿الم﴾ [البقرة: ١] ذكر عددًا من الأقوال في معنى الآية فقال ضمن ذلك: وقال أهل الإشارة: ألف: أنا، لام: لي، ميم: مني. وقال بعضهم: ألف: أفرد سرك لي انفراد الألف عن سائر الحروف، واللام: ليّن جوارحك لعبادتي، والميم: أقم معي بمحو رسومك وصفاتك أزيّنك بصفات الأنس بي والقرب مني.

- وعند قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]. قال: وقال أهل الإشارة: أوفوا بعهدي في دار محنتي على بساط خدمتي بحفظ حرمتي، أوف بعهدكم في دار نعمتي على بساط كرامتي بقربي ورؤيتي.

- عند قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال: قال أهل الإشارة: رفع الوساطة إظهارًا للقدرة.

- عند قوله ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] قال: قال أهل الإشارة: ذكرهم الله تعالى سفر الآخرة، وحثهم على التزود للدارين؛ فإن التقوى زاد الآخرة.

- عند قوله عز وجل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال: وقال أهل الإشارة: أمر الله تعالى بالصدقة على لفظ القرض إظهارًا لمحبة لعباده المؤمنين، وذلك أنه إنما يستقرض من الأحبة.

- عند قوله تعالى ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

ينقل عن أبي الحسن الأقطع أنه قال: فظاهر الآية ما ذكره أهل التفسير، وباطنها أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح أربعة أشياء في نفسه بسكين الإياس، كما ذبح في الظاهر الأربعة الأطيوار بسكين الحديد، فالنسر مثل طول العمر والأمل، والطاوس: زينة الدنيا وبهجتها، والغراب: الحرص، والديك: الشهوة.

(١) سيأتي التعريف بهذا الكتاب وذكر أقوال العلماء فيه.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] يستطرد في ذكر الأقوال، إلى أن قال: وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ يعني: ملك النفس حتى تغلب هواه، وتنزع ملك النفس ممن تشاء حتى يغلبه هواه فيتخذها إلهًا. يذكر ذلك متممًا بآيات شعرية فيها عبرة وذكرى فيقول:

ملكك نفسي فذاك ملك

ما مثله في الأيام ملك

فصرت حرًا بملك نفسي

فما خلق عليّ ملك

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [آل عمران: ٢٧] قال: وقال أهل الإشارة: يخرج الحكمة من قلب الفاجر حتى لا تسكن فيه، والسقطة من لسان العارف. - وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] يستطرد في ذكر الأقوال في معنى التوكل وحقيقته، وينقل عن سهل بن عبد الله التستري الصوفي وعن ذي النون المصري الزاهد، وعن إبراهيم الخوَّاص أحد شيوخ الصوفية، وعن ابن الفوجي، وعن الروذباري، وعن الجنيد شيخ الصوفية، وعن بهلول المجنون، وعن أبي حاتم الأصم الزاهد، وعن الديلمي، وعن أبي يزيد البسطامي معاني متعددة من كل ما يمكن استنباطه من الوعظ والإرشاد.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] قال: قال أصحاب اللسان في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ عند قيام النفير على احتمال الكرب، ﴿وَصَابِرُوا﴾ على مقاساة القنى والتعب، ﴿وَرَابِطُوا﴾ في دار أعدائي بلا هرب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بهمومكم من الالتفات إلى السبب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غداً بلقائي على بساط القرب. وقال السري: اصبروا على الدنيا رجاء السلامة...، فذكر قوله.

- في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَيْثَابَكَ فَظَهَرَ﴾ [المدثر: ٤] قال رحمه الله: قال يحيى بن معاذ رحمه الله: طهر قلبك من مرض الخطايا وأشغال الدنيا؛ تجد حلاوة العبادة، فإن من لم يصن الجسم لا يجد شهوة الطعام.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٩] نقل قول الحكيم الترمذي: هم الذين اختارهم الله تعالى لخدمته، فلم يدخلهم في الرهن؛ لأنهم خدام الله وصفوته، وكسبهم لم يضرهم.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] نقل عدة نقول لأهل السلوك والإشارة، فراجعها إن شئت. وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

- عند قول الله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] قال رحمه الله: قال أهل الإشارة: إنما قال (ربك الكريم) دون سائر أسمائه وصفاته؛ لأنه لقَّنه الإجابة حتى يقول: غرني كرم الكريم.

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ [الفجر: ٣] نقل لأبي بكر الوراق من أقوال الصوفية.

ومما ينبغي أن يذكر في خاتمة الكلام عن التفسير الصوفي الإشاري وموقف الثعلبي منه: أن الثعلبي رغم أنه نقل عن الصوفية، وبعض شيوخه منهم، ورغم أنه ضمن كتابه مجموعة من التفاسير الإشارية، إلا أنه رغم ذلك يبدو أنه رحمه الله كان متحرياً في هذه النقول، إذ خلا تفسيره من التفسير الصوفي النظري الباطني، كما أنه لم يتبع شيخه السلمي في ما أخطأ فيه وانتقده بسببه العلماء، كما أن الثعلبي صان تفسيره من التأويلات الرمزية والإشارية التي تخالف مقاصد اللغة العربية، خاصة إذا تجاوزنا ما ذكر في أوائل السور من الأقوال التي قلَّ من لا يذكرها من المفسرين^(١).

ثانياً: علوم القرآن

يُعرَّف علوم القرآن باعتباره فناً مدوناً بأنه: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك^(٢). وعلوم القرآن كثيرة جداً أوصلها الزركشي في ((البرهان)) إلى سبعة وأربعين نوعاً، والسيوطي في ((الإتقان)) إلى ثمانين نوعاً.

ومما يجدر ذكره أن الثعلبي من أقدم من ألَّف في علوم القرآن، وذلك في كتابه ((الكامل في علوم القرآن)) وهو كتاب مفقود ذكره الواحدي في مقدمة كتابه ((البسيط)) وذكر أنه قرأه على

(١) انظر: ((الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان)) ٢ / ٦١٦.

(٢) ((مناهل العرفان)) للزرقاني ١ / ١٧، ودراسات في علوم القرآن: للدكتور فهد الرومي (ص ٣٠).

مؤلفه أبي إسحاق الثعلبي^(١).

وهذا يدل على أن الثعلبي له يد طولى، وقدم راسخة في هذه العلوم، فلا غرَوَ بعد ذلك أن يبسط هذه العلوم في تفسيره.

وعلوم القرآن كثيرة جدًا أوصلها الزركشي في ((البرهان)) إلى سبعة وأربعين نوعًا، والسيوطي في ((الإتقان)) إلى ثمانين نوعًا.

وقد ذكرنا منها طرفًا في طرق التفسير عند المصنف، ونتناول هنا إن شاء الله بقية المباحث.

أ- أسماء السور^(٢):

يعتني الثعلبي ببيان أسماء السورة إن كان لها عدة أسماء. ويذكر الدليل على الاسم وسبب التسمية، والتعليل لذلك.

فبعد أن فرغ من تفسير سورة الفاتحة عقد فصلًا في أسماء هذه السورة، وهي عشرة: فاتحة الكتاب، وسورة الحمد، وأم الكتاب والقرآن، والسبع المثاني، والواقية، والكافية، والأساس، والشفاء، والصلاة، وسورة تعليم المسألة^(٣).

ويستدل على هذه الأسماء من السنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم. ويذكر العلل لهذه الأسماء ويستشهد في ثنایا ذلك بالشعر.

ب- عدد آيات السورة، وكلماتها وحروفها:

اهتم العلماء بعدد آي القرآن، وألّوا في ذلك عدة مصنّفات، منهم أبو عمرو الداني، وأبو عبد الله الموصلي، وعلي بن محمد الغالي.

وذكر العلماء لهذا العلم عدة فوائد، من أبرزها ترتّب بعض الأحكام الفقهية على معرفته^(٤). ويمتاز ((الكشف والبيان)) بذكر عدد آيات السورة، وكلماتها، وحروفها.

وعلماء البصريين، والكوفيين والشاميين وغيرهم تكلموا في هذا الموضوع قديمًا، ولكن الاعتناء بهذا النوع، وتقديره بهذا الشكل الذي قدمه لنا الثعلبي لا يوجد قبله.

حتى إن الإمام أبا عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) الذي يعتبر من أقدم العلماء الذين كتبوا في عدد الآيات في كتابه ((البيان في عدد آي القرآن)) كان متأخرًا عن الثعلبي مما يفيد أن الإمام الثعلبي كان رائدًا في هذا الباب.

(١) ((البسيط)) ١/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) انظر: ((الإتقان)) ١/ ١٤١.

(٣) ص (٦٠٤).

(٤) ((الإتقان)) ١/ ١٨٨، ((دراسات في علوم القرآن)) (ص ١١٩).

وقد اهتمَّ الثعلبي في تفسيره بذلك، حيث نراه يصدّر كلَّ سورة بذكر عدد حروفها، وكلماتها، وآياتها.

ففي أول تفسير سورة البقرة قال: سورة البقرة: مدنية، هي خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف، وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة، ومائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي، وفي عدد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ج- المكي والمدني:

معرفة المكي والمدني من أهم العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وهي من الأمور التي لا يستغني عنها المفسر لكتاب الله العظيم، فبمعرفة هذا العلم يمكن التمييز بين الناسخ والمنسوخ، كما يستعان بهذا العلم في تفسير القرآن الكريم، إذ أنَّ معرفة مكان النزول يعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها. لذلك جعل أبو القاسم ابن حبيب -شيخ الثعلبي- هذا العلم من أشرف علوم القرآن^(١).

وقد اعتنى العلماء بهذا العلم وأفرده جماعة بالتأليف، منهم مكي بن أبي طالب، والعزُّ الدريني، ولا تكاد تجد مؤلفاً في علوم القرآن إلا ويتضمن المكي والمدني^(٢). وكذلك المفسرون لا تجد تفسيراً إلا وفيه بيان المكي والمدني بين مقل ومكثر، متوسع ومقتضب.

وفي مقدمة هؤلاء المفسرين أبو إسحاق الثعلبي حيث اعتنى في تفسيره ((الكشف والبيان)) بهذا النوع، وأولاه عناية كبيرة، ولذلك نراه قبل أن يفسر الآية بيّن هل هي مكية؟ أم مدنية؟ وإذا كان في تعيين ذلك خلاف ساقه، وذكر الأقوال فيه.

ففي أول تفسير سورة الفاتحة: ذكر الخلاف فيها هل هي مكية؟ أم مدنية؟ وروى الآثار في ذلك بإسناده. حيث روى بإسناده عن علي، وابن عباس أنها نزلت بمكة. وذكر أن هذا قول أكثر العلماء.

ودلَّ على هذا القول بحديث عمرو بن شرحبيل قال: إنَّ أول ما نزل من القرآن ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ الحديث. ثم روى بسنده عن مجاهد أنَّ الفاتحة نزلت في المدينة. وذكر ردَّ العلماء على مجاهد في قوله هذا^(٣).

ثم حكى قولاً ثالثاً ملفقاً بين القولين السابقين وهو أنَّها مكية مدنية، وعُلِّل لهذا القول.

(١) نقله عنه الزركشي في ((البرهان)) ١/ ٢٤٨.

(٢) ((الإتقان)) ١/ ٣٤.

(٣) انظر الأسانيد (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١).

وبيّن الثعلبي غالبًا مكيّة السورة أو مدنيّتها باختصار وإيجاز، حيث يذكر أنها مدنية، أو مكية، ثم يمضي، كما فعل في أول سورة البقرة.



د- أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول أهمية كبيرة في فهم معاني آيات القرآن الكريم، بل قد يتوقف فهم معاني بعض الآيات على معرفة سبب النزول. ولذا يقول الواحدي في مقدمة كتابه ((أسباب النزول)) عنها: هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تُصرف العناية إليها، لا ممتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب^(٢).



عناية الثعلبي بأسباب النزول، واعتماد العلماء عليه في هذا الباب:

لقد اعتنى الثعلبي رحمه الله عناية كبيرة بأسباب النزول، فأودع تفسيره جملة كبيرة منها. حتى أصبحت «أسباب النزول» من المعالم البارزة في تفسير «الكشف والبيان»، وأصبح هذا التفسير من المصادر الهامة للمؤلفات التي ألّفت بعده في هذا العلم. فالكتب المطبوعة الآن في أسباب النزول، وهي: «أسباب النزول» للواحدي، و«لباب النقول» للسيوطي، «العُجاب في بيان الأسباب» لابن حجر، هذه المصادر الثلاثة اعتمدت على تفسير «الكشف والبيان» للثعلبي اعتمادًا كبيرًا، وخاصة الواحدي وابن حجر ومن ينظر في هذه الكتب يتبيّن له اعتماد أصحاب هذه المؤلفات على هذا التفسير في مؤلفاتهم. وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن أهمية الكتاب وذكر مزاياه.

(١) انظر: ((أسباب النزول)) (ص ١٠).

(٢) انظر: ((مقدمة في أصول التفسير)) (ص ٣٨).

ومن الأمثلة على ما ورد في أسباب النزول:

- عند تفسيره لصدر سورة آل عمران قال: أخبرنا عبد الله بن حامد وساق بسنده عن محمد بن جعفر بن الزبير، وعن الكلبي، وعن الربيع ابن أنس قالوا: نزلت هذه الآيات في وفد نجران، وكانوا ستين راكبًا، قدموا على رسول الله ﷺ، وفيهم أربعة عشر رجلًا من أشrafهم...، فساق قصة وفادة أهل نجران إلى رسول الله ﷺ، وما وقع منهم وإليهم من أحداث في حجاج تاريخي، وجدل منطقي... إلى أن قال: فسكتوا، فأنزل الله عز وجل فيهم: صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]: قال: قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله هذه الآية. وقال ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهما: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم، وهم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمدًا مكة والمدينة حتى طمع نفسه في ملك فارس والروم؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم ساق بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب...، فذكر خبرًا طويلاً قص فيه خبر الخندق وما عرض لهم فيه إلى أن قال: فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ١٢] الآية. وأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]: قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم؛ فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد ابن خيثمة رضي الله عنهم لأولئك النفر... إلى أن قال: فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة فنهاهم الله تعالى عن ذلك. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين... الحديث. وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت الأنصاري...، إلى أن قال: فأنزل الله تعالى هذه الآية.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل

عمران: ٧٧]: قال: قال عكرمة: نزلت في أبي رافع وكنانة ابن أبي الحقيق وحبي بن أخطب وغيرهم من رؤساء اليهود... وقال الكلبي: إن ناساً من علماء اليهود أولي فاقة... فأتوا: كعب بن الأشرف ليستمروه... فذكر الخبر إلى أن قال: ففرح بذلك كعب - عليه لعنة الله إلى يوم القيامة - ومارهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨]: قال: وروى ابن أبي مليكة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن مروان بن الحكم قال لمولاه: يا رافع، اذهب إلى ابن عباس وقل له: إن كان كل امرئ منا يفرح بما أتى، ويجب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذب أجمعين. فقال ابن عباس رضي الله عنه: ما لكم ولهذه الآية، إنما دعا رسول الله ﷺ اليهود فسأهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره... إلى أن قال: فنزلت فيهم هذه الآية.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]: قال: وقال سعيد بن المسيب، والضحاك: هو العنبن الذي ما له ذكر قوي، ودليل هذا التأويل: ما أخبرني ابن فنجويه... ثم ساق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه»... إلى أن قال: ثم أهوى النبي ﷺ بيده إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: «كان ذكره مثل هذه القذاة».

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: قال: ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: بدينه الإسلام: ﴿إِخْوَانًا﴾: في الدين والولاية، نظيره قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ثم ساق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، التقوى هاهنا»، وأشار بيده إلى صدره، «حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». وروى بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه.

منهج الثعلبي في ذكر أسباب النزول:

١ - يروي الثعلبي أسباب النزول أحياناً بإسناده الخاص إلى متناه.

٢ - وأحياناً بإسناد معلق:

مثال ذلك: عند قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤]: قال: قال جوير عن الضحاك عن ابن عباس: كان عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي عظيم المنافقين.. إلخ. ثم قال: وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه.. إلخ.

٣ - وأحياناً يقتصر على الراوي الأعلى من الإسناد وهو الصحابي أو التابعي:

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]. قال: قال ابن عباس: إنَّ حبراً من أحبار اليهود من فذك.. إلخ. ثم قال: وقال مقاتل: نزلت في اليهود.. إلخ. ثم قال: وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وممرها على مدراس اليهود.. إلخ.

٤ - وأحياناً يذكر السبب بلا سند، ودون نسبته لأحد:

فعند قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]: قال: وذلك أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: راعنا يا رسول الله، وأرعنا سمعك. يعنون من المراجعة، وكانت هذه اللفظة شيئاً قبيحاً باليهودية...، ثم ذكر حكاية سعد بن معاذ مع اليهود في ذلك. - وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]: قال: نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدليج حرّموا على نفوسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فقال الله عز وجل: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾.

٥ - يذكر المصنف الأقوال والخلاف المروي في سبب نزول الآية، وربما يرجح ما يراه راجحاً مع التعليل وذكر الدليل:

فعند قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]: ذكر في نزول الآية قولاً لابن عباس، ومجاهد: أنّها نزلت في عبد الله بن أمية المخزومي ورهط من قريش، ثم قال: والصحيح إن شاء الله أنها نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد اتتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، لأنّ هذه السورة مدنية. وتصديق هذا القول: قوله عز وجل ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾. - وعند قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤] ساق المؤلف الخلاف في سبب نزول هذه الآية، فذكر أولاً قول قتادة والسدي أنها نزلت في غزوة الخندق.. ثم قال: وقيل: نزلت في حرب أحد.. وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة وأصحابه اشتد الضر عليهم؛ لأنهم خرجوا بلا مال، فأنزل الله تطيباً لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾.

- عند قوله عز وجل ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢١٢] قال بعضهم: نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه.. وهذا معنى رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، وقال عطاء: نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم من بني قريظة والنضير.

٦ - وقد يذكر الأقوال في سبب نزول الآية دون ترجيح:

كما فعل عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهٌ﴾ [البقرة: ١١٥] فقد ذكر في سبب نزولها خمسة أقوال، واكتفى بعرضها دون ترجيح.

٧ - وقد يستدل الثعلبي لبعض الأقوال في نزول الآية:

كما استدلل للقول بأن سورة الفاتحة نزلت بمكة بحديث عمرو بن شرحبيل قال: إن أول ما نزل من القرآن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ أسرَّ إلى خديجة وقال: لقد خشيت أن يكون خالطني شيء. فقالت: وما ذاك؟ قال: إني إذا خلوت، سمعت النداء فأفر، فانطلق به أبو بكر ﷺ إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: إذا أتاك فائت به. فأتاه جبريل غ فقال له: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٨ - ويذكر الثعلبي سبب النزول مرفوعاً إلى النبي ﷺ ويذكره من قول الصحابة والتابعين^(١).

٩ - قد يطيل بعض الأحيان في ذكر سبب النزول:

ولعل أوضح صورة في هذا ما ذكره في سبب معركة أحد عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وما بعدها فتجده يذكر عدد الشهداء، وانهمزام أصحاب النبي ﷺ في الشعب، ثم يذكر أمر رسول الله ﷺ لأصحابه في طلب القوم...، ويستمر في ذلك لأكثر من سبع صفحات.

١٠ - قد يجمع المصنف أحياناً كلام المفسرين في سبب النزول ويورده في سياق واحد.

من الأمثلة على ذلك:

- عند قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨] قال: قال الشعبي، والكلبي، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وأبو الجوزاء، وسعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبيل الإسلام، فكانت بينهم قتلى وجراحات، لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام.

(١) انظر: ((أسباب النزول)) في الآيات (٩٧، ١١٥، ١٥٨) من سورة البقرة.

- عند قوله ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] قال: نزلت في جُهل بنت يسار كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي ابن العجلان، فطلقها تطليقةً واحدة. هذا قول أكثر المفسرين.

١١ - اعتمد كثيرًا على مقاتل بن سليمان في أسباب النزول.

هـ- الوقف والابتداء:

المراد بذلك: معرفة ما ينبغي، أو يستحسن الوقف عليه من آيات القرآن الكريم وجُملِهِ فيوقف عليه، ومعرفة ما لا ينبغي أو يقبح الوقف عليه فيُتَجَنَّب الوقف عليه. وهو فنٌ مستقل بذاته أُلِّف فيه تاليف مستقلة، منها كتاب ((القطع والائتناف)) للنحاس، وكتاب إيضاح الوقف والابتداء: لابن الأنباري، وكلاهما مطبوعان^(١).

والثعلبي قد اهتم بهذا الفن، وحرص على التنبيه عليه في كل موضع فيه وقف أو ابتداء. حيث نراه مثلاً عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] يَنْبَهُ على ذلك فيقول: قوله عز وجل: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه أنه من عند الله. ثم قال: ﴿هُدًى﴾: أي هو هدى. وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿فِيهِ﴾.

وعند قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]. يقول: وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾.

- وعند قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] قال: قل يا محمد ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم، تم الكلام هاهنا، ثم قال ﴿وَصَدٌّ﴾.

و- القراءات

من العلوم التي برز فيها الثعلبي رحمه الله علم القراءات، حتى كان إمامًا في هذا العلم. ولذا قال عنه ابن الجزري بعد أن ذكره في ((طبقات القراء)): إمام بارع مشهور^(٢). وروى عنه القراءة تلميذه الواحدي، والذين ترجموا له وصفوه بالمقرئ.

ومما يدل على علو مكانته في هذا العلم مروياته لكتب القراءات في مقدمة تفسيره. ولذلك فإن تفسير «الكشف والبيان» قد حوى كماً هائلاً من القراءات حتى غدا مصدرًا مهمًا من مصادر القراءات لمن جاء بعده من المفسرين.

(١) انظر: ((الإتقان)) للسيوطي ١/ ٢٢١.

(٢) ((غاية النهاية في طبقات القراء)) ١/ ١٠٠.

وقد سلك الثعلبي في عرضه للقراءات المنهج الآتي:

١ - توجيه القراءات:

لم يكتف الثعلبي بذكر القراءات دون توجيه أو تعليل، بل كان يوجّه ما يذكره من القراءات، ويذكر عللها^(١). وذلك دليل على تمكنه في هذا العلم.

ومن الأمثلة على توجيه الثعلبي للقراءات:

- في تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ذكر في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ سبع قراءات. ثم وجّه هذه القراءات فقال: فمن ضمّ الهاء ردّه إلى الأصل، لأنه لو أفرد لكان مضمومًا عند الابتداء به. ومن كسره فلاجل الياء الساكنة. ومن كسر الهاء وجزم الميم فإنه استثقل الضم مع مجاورة الياء الساكنة، والياء أخت الكسرة، والخروج من الضم إلى الكسر ثقیل. ومن ضمّ الهاء والميم أتبع الضمة الضمة. ومن كسر الهاء وضمّ الميم فإنه كسر الهاء لأجل الياء، وضمّ الميم على الأصل. والاختلاس للاستخفاف. وإلحاق الواو للإشباع. والله أعلم.

- عند قوله تعالى ﴿لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣]: قال: ولقراءة العامة وجهان، أحدهما: على سعة الكلام، كقوله ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، والآخر: أن معناه: ليحكم نبي بكتابه، وإذا حكم بالكتاب؛ فكأنها حكم الكتاب. - عند قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٠]: قال: قرأ الحسن، وأبو عمرو، وابن عامر، والأعمش، وحمة وحفص (وصية) بالنصب على معنى: فليوصوا وصية. وقرأ الباقر بالرفع على معنى كتبت عليهم الوصية. وقيل: معناه لأزواجهم وصية. وقيل: ولتكن وصية.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَقْلَهَا زَكْرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]: قال: قرأ الحسن، ومجاهد، وحيد، وابن كثير، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وعاصم برواية أبي بكر وحفص، وأبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وعاصم برواية أبي بكر وحفص، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأيوب: مخففة الفاء، واختاره أبو عبيد، وأبو حاتم، وحينئذ يكون (زكريا) في محل الرفع أي: ضمها إلى نفسه، وقام بأمرها.. ثم دُلّ على ذلك شعراً، وذكر تصديقها قرآنًا ثم قال: وروى عن ابن كثير، وأبي عبد الله المزني: ﴿وَكَقْلَهَا زَكْرِيَّا﴾ بكسر الفاء، أي: ضمّها والاسم منه: كليل.. وقرأ الباقر: بتشديد الفاء، وزكريا في محل النصب أي:

(١) ألف العلماء في توجيه القراءات عدة مصنفات. منها ((الحجة)) لأبي علي الفارسي، و((حجة القراءات)) لابن زنجلة، و((الحجة)) لابن خالويه، و((الكشف)) لمكي بن أبي طالب، و((المحتسب)) لابن جني.

ضمها الله زكريا وضمها إليه بالقرعة التي قرعها، فصار: أحق الناس بها وفي مصحف أبي: «وأكفلها زكريا» بالألف، نظيره قوله تعالى: ﴿أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

(زكريا)... وفيه لغتان: (زكريا) مقصور، وهي قراءة ابن مسعود والسلمي، وحميد، وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي، وخلف، وحفص. و(زكرياء) بالمد، وهي قراءة الباقرين.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]: قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ إخباراً عن الله تعالى، وهي قراءة العامة، وقرأ علي وإبراهيم النخعي، وابن عامر، وأبو بكر، ويعقوب: (وضعت) برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم.

- وقوله في توجيه قراءة أهل الكوفة وابن عامر (أئمة)، قال: بهمزين على التحقيق، وهي لغة بني تميم.

- وقال على قراءة الضحاك (سُقَايَةُ الْحَاجِّ) بضم السين، وهي لغة. - كما قال مبيناً القراءات في قوله تعالى ﴿يَكْنُزُونَ﴾: (وقرأ يحيى ابن يعمر (يكنزون) بضم النون، وقراءة العامة بالكسر، وهما لغتان). وهكذا.

٢ - توجيه القراءة بسبب النزول:

قد يجعل الثعلبي سبب النزول وجهاً للقراءة.

مثاله: قراءة ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] بالجزم على النهي. حيث قال عقب ذكرها: وجهها القول الأول في سبب نزول الآية. يريد قول ابن عباس: أن النبي قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي!» فنزلت هذه الآية.

٣ - بيان معاني القراءات:

مثل الفرق بين معنى (مالك) و(ملك) وأقوال العلماء في ذلك. وقد يذكر معنى الآية مسنداً عن بعض العلماء مثل الفرق بين معنى (أسرى) و(أسارى) وهما قراءتان. حيث روى بإسناده إلى أبي عمرو ابن العلاء قوله: ما قد أسر فهو أسارى، وما لم يؤسر فهو أسرى.

٤ - اختياره لبعض القراءات، وتعليقه لهذا الاختيار:

مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ذكر في ﴿الصِّرَاطَ﴾ خمس قراءات. ثم قال: وكلها لغات فصيحة صحيحة، إلا أن الاختيار الصاد، لموافقة المصحف، لأنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد، ولمؤاخذتها الطاء، لأنها متوافقتان في الإطباق

والاستعلاء^(١).

- عند قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]: قال: فجملة ما ذكرنا من هذه الأقاويل على قراءة من قرأ ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ وهي القراءة الصحيحة التي عليها عامة أهل القرآن، ومصاحف البلدان.

- عند قوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ [البقرة: ٢٨٣]: قال: قرأ ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد (كتابًا)، وقرأ الآخرون ﴿كَاتِبًا﴾ على الواحد، وهو الاختيار لموافقة المصحف.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]: قال: قرأ يحيى بن وثاب (تبوي المؤمنين)، خفيفة غير مهموزة، من أبي يوي، مثل: أروى يروي. وقرأ الباقر: مهموزة مشددة، يقال: بوات القوم تبوءة وأبواتهم آبواء، إذا وطنتهم، وتبؤوا: إذا توطنوا، قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. والتشديد أفصح وأشهر، وتصديقه قوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْوَأَ صَدَقٍ﴾، وقال: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾.

٥ - تضعيفه لبعض القراءات، والتعليل لهذا التضعيف:

قال عند قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]: وقرأ الحسن ومجاهد وطلحة (وقودها) بضم الواو حيث كان، وهو رديء، لأنَّ الوقود بالضم المصدر، وهو الالتهاب، والوقود بالفتح الاسم، وهو ما توقد به النار، كالطهور والبرود ونحوهما، ومثله: الوضوء، والوضوء.

مثال آخر: عند الآية (١٢٤) من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ذكر عن أبي الشعثاء جابر بن زيد أنه قرأ (إبراهيم) رفعا (ربة) نصبًا، على معنى: دعا وسأل. ونقد الثعلبي هذه القراءة بقوله: وهذا غير قوي لأجل الباء في قوله ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾. ثم نقل عن الباقرين القراءة بضد ما سبق. قال: وهو الصحيح.

٦ - رواية بعض القراءات المرفوعة والموقوفة بسنده:

مثل الأسانيد (١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢).

(١) والأولى ألا يفاضل بين القراءات المتواترة.

٧ - ذكر بعض القراءات المرفوعة بلا إسناد:

مثال ذلك: في سورة الفاتحة آية: (٧) ذكر في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ سبع قراءات. القراءة الثانية منها (عليهم) بضم الهاء وجزم الميم. قال: وهي قراءة الأعمش وحمة. ورؤي ذلك عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٨ - الاستدلال للقراءة بالقرآن:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. قال: فقرأ زيد بن ثابت وأهل العالية وعاصم وأبو عمرو (حُسْنًا) بضم الحاء وجزم السين، وهو اختيار أبي حاتم. دليله قوله عز وجل ﴿بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾.

٩ - الاستشهاد بالحديث على القراءة:

مثاله: عند ذكر القراءات في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] في سورة الفاتحة. ذكر ضمن القراءات قراءة (مالك) بالألف ونصب الكاف على النداء. ثم قال: وروي أن النبي ﷺ قال في بعض غزواته: «يا مالك يوم الدين».

١٠ - الاستدلال بقراءة الصحابي على القراءة المذكورة:

قال عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]: وفيه قراءتان: بالجزم على النهي... وقرأ الباقون بالرفع على النفي... دليلها قراءة ابن مسعود (وَلَنْ تُسْأَلَ).

١١ - الاستشهاد بالشعر على القراءة:

مثال ذلك:

استشهاده بقول الشاعر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مددٌ

فيه مع النَّصْرِ جبريلٌ وميكالُ

على قراءة (ميكال) في الآية (٩٨) من سورة البقرة. وهذا كثير.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩] نجده يذكر في ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ اختلاف القراء على وجوه كثيرة في جميع القرآن، ثم وجه كل قراءة مستدلًا بالشعر العربي... إلى أن قال: ومن قرأ بالتشديد: فهو من بَشَّرَ يُبَشِّرُ تبشيراً، وهو أعرب في اللغة وأفصحها ثم دُلَّ على ذلك قرآنًا وشعرًا.

١٢ - ذكر القراءات الشاذة، وعدم الاختصار على المتواترة:

مثاله: عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [آل عمران: ٢٢] قال: وقرأ أبو وا قد وأبو الجراح: (حبطت) - بفتح الباء، فيكون مغايرة بكسر الباء يحبط، وأصله من الحبط.

قال أبو جعفر النحاس: وهي لغة شاذة^(١).

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]: قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ إخباراً عن الله تعالى وهي قراءة العامة، وقرأ على وإبراهيم النخعي، وابن عامر، وأبو بكر، ويعقوب: (وضعت) برفع التاء جعلوها من كلام أم مريم. ومن قرأ بالرفع قراءة شاذة كما أشار بذلك ابن جرير^(٢).

وقد يترك التنبيه على القراءات الشاذة، مكتفياً ومعتمداً في ذلك على نسبة القراءة إلى من قرأ بها.

١٣ - الاستدلال بقراءات شاذة لتوضيح وإثبات القراءات المتواترة.

من الأمثلة على ذلك:

- عند قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: قال: قرأ يعقوب (ومن يؤت) بكسر التاء، أراد: يؤتته الله، فحذف الهاء، وأبقى الكسرة. ودليله قراءة الأعمش (ومن يؤته الله).

- عند قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]: قال: وقرأ الأعمش (وإن كان معسر) وهو دليل قراءة العامة.

١٤ - الاستعانة بالقراءة لتوضيح قول:

فعند قوله تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠]، ذكر المصنف قول ابن عباس في سبب نزول الآية: لما ذكر رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه، قال مالك بن الصَّيْف: والله ما عهد إلينا في محمد عهد ولا ميثاق، فأنزل الله تعالى هذه الآية. قال المصنف عَقِبَهُ: يوضحه قراءة أبي رجاء العطاردي (أو كَلَّمَا عُوْهِدُوا عَهْدًا) جعلهم مفعولين.

(١) ((إعراب القرآن)) ١ / ٣١٨.

(٢) ((التفسير)) ٦ / ٣٣٤.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]: قال: واختلف العلماء في المعنى الذي لأجله أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه، وتتابع الوحي عليه... إلى أن قال: فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، وإن كان عاماً في اللفظ، ومعنى الآية: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد، يدل عليه قراءة ابن عباس ؓ: (وشاورهم في بعض الأمر).

- وقد حكى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ عدة أقوال عن الصحابة والتابعين أن الناس كانوا على التوحيد والإسلام قروناً ثم حدث الشرك بعد في قوم نوح ؑ، ثم قال: يدل على صحة هذه التأويلات قراءة عبد الله ؓ: (وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى فاختلّفوا).

١٥ - ذكر الآيات الماثلة:

من الأمثلة:

- قال عند قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢]: قرأ أهل الكوفة والشام غير عاصم بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الأنفال (ولكن الله قتلهم) (ولكن الله رمى).

- عند قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]: قرأ ابن إسحاق بكسر الحاء من الحج في جميع القرآن.. وذكر عن طلحة بن مصرف بالكسر هاهنا وفي سورة آل عمران، وبالفتح في سائر القرآن. وقرأ الباقون بالفتح كل القرآن.

- عند قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥١]: قرأ أبو جعفر، وشيبة، ونافع، ويعقوب، وأيوب (دفاع الله) بالألف هاهنا وفي سورة الحج. واختاره أبو حاتم، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما.

١٦ - نسبة القراءة إلى من قرأ بها:

يهتم المصنف رحمه الله بنسبة القراءة إلى من قرأ بها. إما على سبيل التفصيل: بأن يذكر أسماء كل من قرأ بهذه القراءة. أو على سبيل الإجمال.

أما التفصيل: فمن الأمثلة عليه:

- ما ذكره عند قراءتي (مالك) و(مالك) في سورة الفاتحة: فقراءة (مالك) نسبها إلى النبي ﷺ ثم روى ذلك بإسناده. ثم نسب هذه القراءة إلى ستة عشر صحابياً ذكراً أسماءهم.

ثم نسبها إلى واحدٍ وثلاثين رجلاً من التابعين وأتباعهم.

وقراءة (ملك) رواها مرفوعةً. ونسبها إلى خمسة من الصحابة، وإلى عشرين رجلاً من التابعين وأتباعهم.

- وعند قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ﴾ [البقرة: ١٨٢] قال: (من موص) قرأ مجاهد، وحמיד، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع بالتخفيف... وقرأ الباقون (من موص) بالتشديد.

- وعند قوله عز وجل ﴿فَصْرُهِنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: قرأ علي بن أبي طالب، وأبو الأسود الديلي، والعطاردي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والأعرج، وشيبة، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، والكسائي، وأبو عمرو، ويعقوب، وأيوب بضم الصاد... وقرأ علقمة، وعبيد بن عمير، وسعيد بن جبیر، وطلحة، وقتادة وأبو جعفر، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وحمزة، وخلف (فصرهن) بكسر الصاد.

ومثال العزو الإجمالي: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠] قال: وقرأ العامة بالتخفيف.

وعند قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] قال: قرأ ابن محيصن بضم اللام، وقرأ الباقون بجزمه.

وقد يعزو إجمالاً إلى قراء البلد. فيقول مثلاً عند قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]: في (ميكائيل) أربع لغات: ممدود مهموز مشع، على وزن ميكاعيل، وهي قراءة أهل مكة والكوفة والشام. وميكائِل، ممدود مهموز مختلس، مثل ميكاعِل، وهي قراءة أهل المدينة. وميكَاْل، مهموز مقصور على وزن ميكَعِل، وهي قراءة الأعمش وابن محيصن. ومِيكَال، على وزن مِفْعَال، وهي قراءة أهل البصرة.

١٧ - ضبط القراءة وإعرابها:

من الأمثلة على ذلك:

- عند قوله تعالى ﴿وَبُهِلِكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ﴾ [البقرة: ٢٠٥]: قال: قرأ الحسن، وابن أبي إسحاق، وأبو جعفر (وبُهِلَكَ) برفع الكاف على الابتداء. وقراءة العامة بالنصب.

- عند قوله تعالى ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]: قال: قرأ الأعمش، وحمزة، وعيسى (ربي الذي) بإسكان الياء. وقرأ الباقون بفتحه؛ لمكان الألف واللام.

١٨ - الاهتمام بذكر اختيار أبي عبيد وأبي حاتم:

كثيراً ما يهتم المصنف بعد عرضه للقراءات بذكر اختيار أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني، اللذين روى كتابيهما في «القراءات» في مقدمة تفسيره. وقد يضيف إلى اختيارهما أحياناً اختيار الفراء صاحب «معاني القرآن» الذي روى كتابه أيضاً في مقدمته.

١٩ - عنايته بما ورد في مصحف ابن مسعود ومصحف أبي.

كما في آية ٢٧ من سورة النور، قال: (حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا) وذلك هو في مصحف ابن مسعود عليه السلام.

وعند آية ٨ من سورة العنكبوت قال: وفي مصحف أبي (إحساناً).



ز- الناسخ والمنسوخ:

معرفة الناسخ والمنسوخ أمر ضروري لا سيما لمن أراد أن يفسر كتاب الله عز وجل وهو من أجل علوم القرآن قدرًا، ولذلك قرّر العلماء أنه لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ ^(١).

يقول أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره ((الكشف والبيان)) مبيّنًا أهمية هذا العلم: هو نوع كبير من علوم القرآن لا يسع جهله لمن شرع في التفسير. ثم يذكر لنا اهتمام الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح بهذا العلم، وتأكيدهم على أهميته وضرورته، حيث يروي الثعلبي بسنده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أنه مرّ بقاصّ يقصّ فقال: هل تعلم الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا. فقال: هلكت وأهلك ^(٢).

وكان الثعلبي لا يمر بآية ناسخة، أو منسوخة إلا ويقف عندها، ويذكر ما قيل فيها. ومن الأمثلة:

- عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: قال قوم: كان ذلك في أول ما فرض الصوم، وذلك أن الله تعالى لما أنزل فرض صيام شهر رمضان على رسوله، فخيرهم الله تعالى بين الصيام والإطعام، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر، وافتدى بالطعام، ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ونزلت العزمة في إيجاب الصوم، وعلى هذا القول معاذ بن جبل، وأنس بن مالك.

(١) انظر: ((الناسخ والمنسوخ)) لأبي عبيد (ص ٤)، ((الناسخ والمنسوخ)) للنحاس (ص ٧).

(٢) (٢٨٤).

- عند قوله عز وجل: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] قال: قال مقاتل بن حيان: لما نزلت هذه الآية نسخها قوله: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩١] ثم نسختها آية السيف في براءة، فهي ناسخة ومنسوخة. وقال آخرون: هذه الآية محكمة، ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وهو قول مجاهد، وأكثر المفسرين.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] يعرض لأقوال أهل العلم في المراد بالإنفاق فمنهم من يقول: أحبها إليكم. ثم قال: وقال مجاهد والكلبي: هذه الآية منسوخة نسختها آية الزكاة. وروي عن ابن عباس: حتى تخرجوا زكاة أموالكم.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، ومن يقوى على هذا وشق عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، فنسخت هذه الآية. قاله مقاتل، وليس في آل عمران من المنسوخ إلا هذا. وقيل: ليست الآية منسوخة لأن من جانب جميع ما نهى الله تعالى عنه فقد اتقى الله حق تقاته، ولا يجوز أن يكون أحد لا يقدر أن يتقي في جميع المعاصي ولا يجوز أن ينسخ مثل هذا لأن نسخه لا يكون إلا بإباحة بعض المعاصي وهو لا يجوز على الله تعالى، ومعنى الآيتين واحد، لأن من اتقى ما استطاع، فقد اتقاه حق تقاته، فإحدى الآيتين مفسرة للأخرى.

وللمصنف رحمه الله مشاركة في علم أصول الفقه، ولذلك نجده كثيراً ما يتناول الجوانب الأصولية لعلم الناسخ والمنسوخ، فنجد مثلاً يبين ويوضح في أماكن من تفسيره متى يقع النسخ، وفي أي النصوص يقع؟ ومن ذلك ما يأتي:

- قال: فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة؛ لأن قوله: ﴿أُجِيبُ﴾ و (أستجب) خبر، والخبر لا يعترض عليه النسخ؛ لأنه إذا نسخ صار المخبر كذاباً، وتعالى الله عن ذلك.

- عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: وقال بعضهم هذه الآية محكمة غير منسوخة؛ لأن النسخ في الأخبار غير جائز إلا خبراً في أمر أو نهي أو شرط.

تعريف الثعلبي للنسخ في ((تفسيره)) وبيان أقسامه:

عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] بين الثعلبي أنَّ النسخ في اللغة شيان:

أ- الوجه الأول: بمعنى التغير والتحويل.
 ووضح ذلك. واستدل عليه بقول لابن عباس. وقال: فعلى هذا الوجه القرآن كله منسوخ،
 لأنه نُسخ من اللوح المحفوظ، فأنزله الله تعالى على النبي ﷺ واستدل على ذلك.
 ب- الوجه الثاني: بمعنى رفع الشيء وإبطاله، يقال: نسخت الشمس الظل، أي: ذهبت به
 وأبطلته. قال: وإيآه عني بقوله: ﴿ما ننسخ من آية﴾.
 ثم قال: وعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً، وهو ما تعرفه الأمة
 من ناسخ القرآن ومنسوخه.

فبين الثعلبي أن المراد بالنسخ إذا أطلق هذا المعنى. وذكر أنه يتنوع إلى نوعين:
 أ- أحدها: أن يثبت خط الآية، ويُنسخ حكمها والعمل بها.
 ب- والنوع الثاني: أن تُرفع الآية أصلاً، فتكون خارجةً من خط الكتاب، وبعضها من
 قلوب الرجال.

واستدل على الثاني بحديث لسعيد بن المسيب في ذلك.
 وهكذا نرى أن الثعلبي يعرف النسخ تعريفاً يشبه تعريف الأصوليين كثيراً، حيث يعرف
 الأصوليون النسخ بأنه: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر^(١).
 والثعلبي كذلك يعرف النسخ بأنه إبطال شيء وإثبات آخر مكانه. ويزيد هذا التعريف
 وضوحاً كلامه في الرد على اليهود الذين أنكروا جواز النسخ على زعم أنه بدء حيث قال عن
 النسخ: هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم، لضرب من المصلحة، إظهاراً
 لحكمته، وكمال مملكته، وله ذلك.

بيان الثعلبي أن النسخ يكون في الأوامر والنواهي دون الأخبار:
 قال رحمه الله: ثم اعلم أن النسخ إنما يعرض على الأوامر والنواهي دون الأخبار، لأن الخبر
 إذا نُسخ صار المخبر كذاباً.

رد الثعلبي على اليهود إنكارهم للنسخ:

قال أبو إسحاق: وأبي اليهود جواز نسخ الشرائع، وزعموا أنه بدء، فيقال لهم: أليس قد
 أباح الله تزويج الأخت من الأخ ثم حظره؟! وكذلك بنت الأخ وبنت الأخت؟! أليس قد
 أمر إبراهيم ﷺ بذبح ابنه ثم قال له: لا تذبحه؟! أليس قد أمر موسى بن إسرائيل أن يقتلوا

(١) انظر: ((روضة الناظر)) ١/ ٢٠٩، ((الإحكام)) للأمدي ٢/ ١٠٤، ((إعلام الموقعين)) ١/ ٣٥، ((شرح
 الكوكب المنير)) ٣/ ٥٢٦، ((علم أصول الفقه)) لعبد الوهاب خلاف (ص ٢٢٢).

من عبد منهم العجل، ثم أمرهم برفع السيف عنهم؟! أليست نبوة موسى ﷺ غير متعبد بها قبل بعثته، ثم تُعبد بها بعد ذلك؟ أليس قد أمر حزقيل النبي ﷺ بالختان، ثم نهاه عنه؟! فلما لم يلحقه في هذه الأشياء بداء، فكذلك في نسخ الشرائع لا يلحقه بداء.

ويُظهر لنا هذا الرد قوة حجة الثعلبي، وقوة جدله، حيث قرّر اليهود بأشياء هم يقرّون بها، وأتاهم من قبلها، فاسكتهم، وأظهر دحض شبهتهم، ووهاء قولهم. وتظهر لنا مما سبق أيضاً شخصية الثعلبي الأصولية وتمكنه من هذا العلم.

ج- الربط والمناسبة بين الآيات:

وهو أحد أنواع علوم القرآن، قال الزركشي: وهذا النوع يهمله بعض المفسرين، أو كثير منهم، وفوائده عزيزة. ومن الأمثلة عليه في كتاب ((الكشف والبيان)) ما يأتي:

- عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] قال: إلا أن جمهور أهل التأويل على ما ذكرنا من قبل، ووجهه على قولهم: إن في الكلام تقدماً وتأخيراً، تقديره: فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضت من عرفات، فاذكروا الله عند المشعر الحرام.

- لما بين قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] قال: ثم دلهم على خير الصدقات، وأفضل النفقات، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ط- آخر ما نزل من القرآن:

عقد المصنف فصلاً مطولاً بين فيه آخر الآيات نزولاً على رسول الله ﷺ، ورجح أن قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] هي آخرهن نزولاً.

ثالثاً: منهجه الحديثي والرواية بالإسناد

عند تناولنا لطرق التفسير التي انتهجها المصنف في كتابه تكلمنا فيها عن طريقته في تفسير القرآن الكريم بالسنة المطهرة، وقد تناولنا منهج المصنف بالتفصيل من الناحية الحديثية هناك، ونتكلم هنا إن شاء الله عن منهج المصنف في الرواية بالإسناد، وهو من أهم وأبرز المزايا التي تميّز بها تفسير «الكشف والبيان»، فالثعلبي كان راويةً بالأسانيد، يروي المرويات بإسناده الخاص به عن شيوخه إلى منتهاه، ولم تقتصر روايته على الأحاديث، بل كان يروي بإسناده آثار الصحابة والتابعين، وأقوال مَنْ بعدهم، حتى أبيات الشعر كان يروي بعضها بإسناده، ومَنْ قرأ مقدمة الثعلبي لتفسيره، ووقف على كثرة مسموعاته وشيوخه، علم رسوخ قدمه في باب الرواية بالإسناد، وأدرك عنايته واهتمامه بذلك.

وقد تمثل منهجه في الرواية بالإسناد فيما يأتي:

١ - ذكر الثعلبي في مقدمة «تفسيره» أسانيده إلى ابن عباس، وإلى أئمة التفسير من التابعين وأتباعهم، ثم ذكر أسانيده إلى تفاسير أهل عصره من شيوخه الذين روى عنهم، ثم ذكر أسانيده إلى المؤلفات الأخرى التي رواها من كتب الوجوه والنظائر، وكتب معاني القرآن، وغريبه، ومشكله، وكتب القراءات، وكتب المغازي والتاريخ. والغرض من ذكر هذه الأسانيد في مقدمة كتابه وجمعها في مكان واحد: ألا يحتاج إلى تكرارها كلّما نقل منها في أثناء الكتاب كما صرّح بذلك في مقدمة كتابه.

وليس معنى هذا أن «تفسيره» قد خلا من الأسانيد اكتفاءً بما ذكره في مقدمة كتابه بل إن «تفسيره» قد حوى في ثنياه عدداً كبيراً من الأسانيد التي يرويها المصنف من مصادر أخرى غير التي ذكرها في المقدمة.

٢ - الاعتماد على إسناده الخاص في الرواية:

فكل الأسانيد والمرويات التي في تفسيره إنما هي بروايته عن شيوخه إلى منتهى الإسناد. ولا شك أن للإسناد قيمة عالية، كيف وهو خصيصة اختصت بها هذه الأمة. ولذا فإنَّ الإسناد كان من أعظم المميزات التي امتاز بها «تفسير الكشف والبيان» حيث خلت معظم التفاسير من هذه الميزة إلا النزر اليسير منها.

٣ - رواية الخبر الواحد بعدة طرق:

وذلك دليل على سعة روايته، وكثرة مسموعاته.

٤ - يستخدم الرموز المصطلح عليها عند المحدثين:

فيرمز لـ «حدثنا» بـ «نا» أو «ثنا» ولـ «أخبرنا» بـ «أنا» وهذا صنيعه في معظم أسانيده. ويستخدم كذلك (ح) للتحويل من طريق إلى طريق آخر.

٥ - يذكر في أثناء روايته للسند تاريخ الرواية، ومكانها، وطريقة تحملها:

فيبين مثلاً أنه سمعها من شيخه إملاء، أو لفظاً، أو قراءة، أو كتابة، أو إجازةً، ونحو ذلك. ومن أمثلة ذلك:

- قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الحسن لفظاً قال: نا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان بمرور الروذ إملاءً قال: نا إسحاق بن إبراهيم... إلخ.

- قال: حدثنا أبو منصور ظفر بن محمد بن أحمد بن محمد الحسيني رحمه الله إملاءً.

- قال: وأنشدنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي كتابة.

ويقول في بيان تاريخ الرواية:

- أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة قال:

أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان سنة ثمان وثلاث مئة إلخ.

- حدثنا محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي - رحمه الله - لفظاً سنة سبع وثمانين وثلاث مئة

قال: حدثنا أبو العباس عبد الله بن يعقوب بن إسحاق الكرمانى سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة

قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا.

- أخبرنا الإمام بن الإمام أبو عبد الله بن أبي الوليد بقراءتي عليه سنة ست وثمانين وثلاث

مئة قال: أنا مكى بن عبدان سنة عشرين وثلاث مئة.

وفي بيان مكان الرواية يقول:

- حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الفامي قال: نا أبو الحسن محمد بن عثمان بن

الحسن النصيبي ببغداد قال: نا أبو بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي بحلب.

- حدثنا أبو القاسم... قال: نا بشر بن هاشم الحشاش بالبصرة.

٦ - يلتقي بأسانيده مع أصحاب كتب الحديث المشهورة:

حيث التقى مع الإمام مسلم في صحيحه، والنسائي، وابن أبي شيبة، ويعقوب بن سفيان

الفسوي، وابن أبي الدنيا وغيرهم.

٧ - لم يقتصر الثعلبي في روايته بالإسناد على الأحاديث، بل كان يروي بإسناده كل شيء،

فقد كان يروي الأحاديث، وأقوال الصحابة وأقوال التابعين، وأتباع التابعين، وأقوال من

بعدهم من المفسرين كما سبق، وكان يروي بإسناده القراءات، واللغة، وأبيات الشعر، وغير ذلك كما سيأتي عند بيان منهجه في ذلك.

- ٨ - يحذف الثعلبي الإسناد مقتصرًا على الراوي الأعلى له، إذا تكرر الإسناد في موضع واحد، فيقول عند الإسناد الثاني: وبه عن فلان.
- ٩ - يروي أحيانًا بعض الأحاديث والآثار بأسانيد معلقة غير موصولة^(١).

منهج الثعلبي في تقرير مسائل العقيدة والرد على الفرق^(٢)

القرآن الكريم قرّر مسائل العقيدة وأصولها في آيات كثيرة، ومن يفسّر كتاب الله الكريم لابد أن يمرّ بهذه الآيات ويبيّن عقيدته التي يدين الله عز وجل بها. والثعلبي في تفسيره ((الكشف والبيان)) قد تعرّض عند تفسير الآية لما يتعلّق بها من مسائل عقديّة.

حيث نراه يقرّر هذه المسائل ويبيّن القول الذي يعتقده فيها، ويذكر الأدلة عليها من الكتاب والسنة، وسأستعرض بعض هذه المسائل لتتعرّف على طريقته وأسلوبه في عرضها:

١ - مسألة: حقيقة الإيمان والإسلام:

عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] عقد الثعلبي فصلًا في مسألة ((الإيمان)) حيث عرّف الإيمان أولًا وأنّ حقيقته التصديق بالقلب، وعلل لذلك، ودلّل عليه بعدة آيات من القرآن. ثم بيّن محل الإسلام من الإيمان، وأنّ كل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمانًا. واستدل على ذلك بعدة أدلة من الكتاب والسنة.

ثم ذكر أنّ إقرار اللسان، وأعمال الأبدان تسمى إيمانًا. واستدل على ذلك بعدة أحاديث.

٢ - مسألة: زيادة الإيمان ونقصانه:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، نجده يبين عن مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بزيادة الإيمان ونقصانه، فنجده يسوق في ذلك الآثار فيقول: قال مجاهد في هذه الآية: الإيمان يزيد وينقص، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو وزن إيمان أبي بكر رضي الله عنه بإيمان أهل الأرض لرجحهم، بل إن الإيمان ليزيد وينقص، قالها ثلاث مرات.

(١) سبق ذكر الأمثلة على ذلك عند الكلام عن تفسير القرآن بأقوال الصحابة، وأقوال التابعين.

(٢) سبق بيان عقيدة المؤلف في مبحث خاص في ترجمته.

وروى زبيد الياامي عن زر قال: كان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيماناً.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب كلما ازداد الإيمان عظماً ازداد البياض حتى يبيض القلب كله، وأن النفاق يبدو لمطة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فيسود القلب كله. فإيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان سنناً وشرائع وحدوداً وفرائض من استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.

وقال ابن المبارك: لم أجد بدءاً من الإقرار بزيادة الإيمان أو أردّ كتاب الله تعالى.

٣ - الاسم هو المسمى، أم لا؟

وفي تفسير البسملة من سورة الفاتحة تعرض الثعلبي لمسألة: هل الاسم هو المسمى، أم لا؟^(١).

وقرّر في هذه المسألة أن الاسم هو المسمى. وهذا اختيار شيخه أبي بكر ابن فورك. قال أبو إسحاق الثعلبي: فأما معنى الاسم: فهو المسمى، وحقيقته: الوجود وذات الشيء وعينه ونفسه، واسمه. كلها يفيد معنى واحداً.

والدليل على أن الاسم هو المسمى قوله تعالى ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ فأخبر أن اسمه يحيى، ثم نادى الاسم وخاطبه فقال: ﴿يَا يَحْيَى﴾ ويحيى هو الاسم، والاسم هو يحيى. وقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أراد الأشخاص المعبودة، لأنهم

(١) اختلف العلماء في هذه المسألة على خمسة مذاهب، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي: ١ - أن الاسم عين المسمى: وهو رأي كثير من المتسبين إلى السنة، كأبي القاسم الطبري، واللالكائي، وأبي محمد البغوي، وغيرهم.

وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري، اختاره أبو بكر بن فورك وغيره. واختاره المصنف كما سيأتي.

٢ - أن الاسم غير المسمى، وهو رأي الجهمية، ورأي المعتزلة، وجماعة من الأشاعرة.

٣ - التوقف: وهو رأي جماعة من السلف.

٤ - أن الاسم للمسمى: وهو اختيار أكثر المتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره، وهذا هو القول الحق في هذه المسألة، والقائلون به وافقوا الكتاب والسنة والمعقول، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، واستدل لذلك بأدلة وفسر القول في ذلك ورد على القائلين بأن الاسم هو المسمى وعينه.

انظر: ((مجموع الفتاوى)) ٦/ ١٨٥ - ٢٠٦، ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ١٣١)، و((البيهقي وموقفه من الإلهيات)) (ص ١٣١).

٥ - التفصيل: وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري.

انظر ((مجموع الفتاوى)) ٦/ ١٨٥ - ١٨٩.

كانوا يعبدون المسميات. وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾.

٤ - مسألة: رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة:

نجد المصنف يقرّر العقيدة الصحيحة في مسألة رؤية الله - عز وجل - في الآخرة عند قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فيثبت الرؤية كما أثبتتها أهل السنة والجماعة، مستنداً على ذلك بنصوص الكتاب والسنة. خلافاً لما ذهب إليه المعتزلة حيث نفوا هذه الرؤية.

وها هو يستفتح تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بإسناده لحديث أنس رضي الله عنه في تفسير النبي ﷺ للزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، ويبين أن ذلك هو قول أبي بكر وحذيفة وأبي موسى وصهيب وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن سابط والحسن وعكرمة وأبي الجوزاء والضحاك والسدي وعطاء ومقاتل، ثم يردف ذلك ببعض الآثار المسندة الدالة على ذلك.

ردّه على الفرق المخالفة، وتنفيده لأدلتهم وشبههم:

من يطالع «تفسير الثعلبي» يجده صاحب عقيدة صحيحة سالمة من التحريف والتبديل، ليس ذلك فقط، بل تجده يرد على أصحاب الفرق المبتدعة والمائل الضالة، فعند قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ فتهود، وتنصر، وصاروا: يعقوبية، ونسطورية، وملكانية.

ولا تمر أدنى مناسبة إلا وينال من الفرق الباطلة، والمذاهب الرديئة، وله معهم وقفات جريئة، وانتقادات لاذعة، وردود قوية، وفيما يأتي موقفه من بعض الفرق:

١ - القدريّة:

- عند قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]: عقد مسألة ذكر فيها قول القدريّة: بأن الجنة التي أسكنها الله - عز وجل - آدم وحواء لم تكن جنة الخلد، وإنما بستاناً من بساتين الدنيا. ثم ذكر أدلتهم على ما قالوه، وفنّد هذه الأدلة واحداً تلو الآخر.

- عند قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال: ولا حجة للقدريّة في هذه الآية؛ لأنها مبنية على أول الكلام في إيجاب الصيام، فهي خاص في الأحكام لأهل الإسلام.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] أورد بسنده عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه سئل عن تزويج القدرى؟ فقال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

- ويروي بسنده محاوره وقعت بين رجل وعلى بن أبي طالب عليه السلام، وفي آخرها؛ قال علي: لو رأيت رجلاً من أهل القدر؛ لأخذت برقبته فلا أزال أطأ رقبته حتى أكسرها؛ فإنهم يهود هذه الأمة، ونصاراها، ومجوسها.

٢ - الخوارج

نقض الثعلبي باستنباط بديع، وحجة دامغة بعضاً من أصول الخوارج خلال تفسيره، ومنها: (كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار) فيقول عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]: وفي هذه الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً ولا يبقى خالداً في النار بما أتاه؛ لأن الله - عز وجل - خاطبهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ولا خلاف أن القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه اسم الإيذان بارتكاب هذه الكبيرة.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] يذكر أقوال الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، ثم يرد عليهم. ثم يبين العقيدة الصحيحة في هذه المسألة بقوله: وعندنا أن المؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً فإنه لا يكفر بقتله، ولا يخرج به عن الإيذان إلا إذا فعل ذلك على جهة الاستحلال والديانة^(١). وذكر الأدلة على هذا.

وهذا القول الذي قرره هو قول أهل السنة والجماعة^(٢).

ونجده رحمه الله يُعرّض بالخوارج وينتقد مسلكهم فينقل ما يأتي:

- عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]: عن قتادة أنه قال: ما هم بأهل حروراء المراق من دين الله، ولكن هم المهاجرون والأنصار.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩] ينقل عن الضحاك أنه قال: ولا تكونوا كأهل نهر وان تأولوا آياً من القرآن في أهل القبلة، وإنما نزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها، فسفكوا بها الدماء، وشهدوا علينا بالضلال، وانتهبوا الأموال.

(١) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ٥٧/١.

(٢) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٢١١).

٣ - الشيعة:

روى الثعلبي بعض الأحاديث والآثار من طريق الشيعة، وأورد كثيرًا من الأحاديث والنصوص في فضائل علي بن أبي طالب، لذلك اعتمد عليه بعض علماء الشيعة في مصنفاتهم وتفاسيرهم، وجعلوا كتابه مصدرًا مهمًا خاصة فيما يتعلق بفضائل ومناقب علي بن أبي طالب وآل بيته^(١).

وكل هذا لا يجعلنا نصف الثعلبي بأنه شيعي المذهب، أو له ميل إلى الشيعة، وغاية ما يدل عليه أنه ينقل، ويجمع في كتابه ما ذكره غيره ممن سبقه دون تمحيص وتمييز، قال شيخ الإسلام -وهو يتحدث عن ما ذكره الثعلبي، وأبو نعيم، والنقاش في كتبهم: وإن كان كثير من ذلك لا يعتقد صحته؛ بل يعتقد ضعفه؛ لأنه يقول: أنا نقلت ما ذكره غيري؛ فالعهدة على القائل لا على الناقل^(٢).

ثم إن تفسير الثعلبي لم يخل من فضائل الصحابة الآخرين، والمتبع لهذا التفسير يجد فيه ثناء عاطفًا، ومديحًا وافرًا - بين صحيح وضعيف - للخلفاء الراشدين الثلاثة، وبقية الصحابة رضوان الله عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -وهو يرد على الرافضي: مثل كتاب «فضائل الصحابة» للإمام أحمد، وأبي نعيم، و ((تفسير الثعلبي)) وفيها من ذكر فضائل الثلاثة ما هو أعظم الحجب عليه^(٣).

وأحيانًا يذكر عقيدته في المسألة ولا يرد على مخالفه فيها:

ف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

قال الثعلبي: والرزق: هو المهيأ للانتفاع به، فإن كان طعامًا فللتغذي، وإن كان لباسًا فللتدفي والتوقي، وإن كان مسكنًا فالانتفاع به سكنى، وقد ينتفع المنتفع بما هيء للانتفاع به على وجهين: حلالًا وحرامًا، فلذلك قلنا: إن الله عز وجل رزق الحلال والحرام.

فقرر أن الله يرزق الحلال والحرام كما هو المذهب الصحيح ولم يرد على المعتزلة القائلين: إن الحرام ليس برزق.

(١) انظر مثلاً ((مجمع البيان)) للطبرسي ٢ / ١٧٤، ٢ / ٢٩٩ و ((البرهان في تفسير القرآن)) للعلامة البحراني ١ / ٢٠٧ وقد أكثر النقل عن الثعلبي العالم الرافضي صاحب كتاب ((منهاج الكرامة)) الذي تولى الرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: ((منهاج السنة النبوية)) ٧ / ٥، ٨٩.

(٢) ((منهاج السنة النبوية)) ٧ / ٣٨.

(٣) ((منهاج السنة)) ٧ / ٣٩٦ - ٣٩٧، وانظر مثلاً ما أورده الثعلبي في فضل أبي بكر، وعمر، وعثمان عند قوله تعالى ﴿وَقَالَ هُمْ نَسِيَهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وما أورده من أحاديث مرفوعة وآثار في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه عند قوله -عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وعند قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. قال رحمه الله: وفي هذه الآية دليل على أن النار مخلوقة، لأن المعد لا يكون إلا موجوداً. وهذا هو القول الحق في هذه المسألة، وعليه اتفق أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة والقدرية.

خامساً: الجانب الفقهي في تفسير الكشف والبيان

القرآن الكريم نزل هداية للناس، وتشريعاً لهم، وتضمن بين دفتيه ما يحتاج إليه الناس في شئون دينهم ودنياهم، ومن ذلك الأحكام الشرعية، وبيان الحلال والحرام من خلال آيات الأحكام التي ذكر العلماء، أنها قرابة خمسمائة آية تتعلق بأحكام المكلفين^(١). وكل من رام تفسير كتاب الله لا بد أن يتطرق للأحكام الفقهية من خلال تفسيره لآيات الأحكام، ولكن المفسرين منهم من يتوسّع في ذلك، ومنهم من يقتضب، حسب اهتمامه ومنهجه في تفسيره، وحسب شخصيته الفقهية، ورسوخ قدمه في هذا العلم.

وأبو إسحاق الثعلبي رحمه الله عندما ألّف تفسيره ((الكشف والبيان)) أراد منه أن يكون شاملاً لكل ما يتعلق بتفسير الآية، ولم يقتصر في ((تفسيره)) على جانب دون جانب، كما أنه لم يتوسّع في جانب، ويقتضب في جانب آخر، ولذلك بنى كتابه على أربعة عشر ركناً، منها ((الأحكام والفقهيات)) كما ذكر ذلك في مقدمته.

وعند تفسير آيات الأحكام من ((الكشف والبيان)) نجد الثعلبي يتحوّل إلى ذلك الفقيه الذي أحاط بمذاهب العلماء، وأقوال الفقهاء، وحفظ أدلة المسائل، ونجد شخصيته الفقهية تبرز في ترجيحاته، وردوده، واستنباطاته.

والمعالم التالية توضّح لنا منهج الثعلبي في تفسيره لآيات الأحكام وعرضه للمسائل الفقهية:

١- الإمام الثعلبي شافعي المذهب كما سبق تفصيله عند الكلام عن مذهبه الفقهي. ومع ذلك لا ترى أدنى مظهر من مظاهر التعصب لديه. بل تراه يذكر المذهب الشافعي، ويذكر أدلته من الكتاب، والسنة، ثم يرد على المخالفين بكل موضوعية وأدب.

٢- ييسط الثعلبي المسائل الفقهية التي تتعلق بالآية، ويتوسّع فيها، وخاصة المسائل الخلافية المشهورة.

(١) انظر: ((المستصفى)) للغزالي (ص ٤٧٩)، ((روضة الناظر)) لابن قدامة (ص ٣١٩)، ((التسهيل)) لابن جزي (ص ٧١١). وقد ألّف العلماء مصنفات مستقلة في تفسير آيات الأحكام: مثل أحكام القرآن لابن العربي، وللجصاص، وللكنياهراس، وكلها مطبوعة.

٣- ينسب المذاهب والأقوال إلى أصحابها في الغالب ولا يقتصر على نسبة الأقوال إلى أصحاب المذاهب المشهورة، بل ينسب القول إلى من قال به من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من أصحاب المذاهب.

٤- يبدأ بتقرير القول الراجح لديه، فيذكر أدلته من الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. ثم يذكر أدلة القول الآخر دليلاً، دليلاً.

ويرد ويحجب عن كل دليل بكل علم، وأدب.

فهو يعرض المسائل الفقهية بأسلوب الفقه المقارن.

٥- يبنى الثعلبي ترجيحه على الأدلة الشرعية. ولا يجرد الأقوال من أدلتها، أو يرجح تقليداً، أو تعصباً. بل يذكر الأقوال بأدلتها، ويرجح ما يعضده الدليل الشرعي، مع التعليل والتوجيه.

هذا هو منهج الثعلبي في كثير من المسائل الفقهية التي ذكرها في تفسيره، ومنها:

مسألة: حكم قراءة الفاتحة للمأموم في الصلاة:

عقد هذه المسألة معنوياً لها بقوله: ذكر وجوب قراءتها (أي الفاتحة) على المأموم كوجوبها على الإمام، واختلاف الفقهاء فيه. ثم ذكر أقوال العلماء في ذلك حيث قال: فقال مالك بن أنس: يجب عليه قراءتها إذا خافت الإمام، فأما إذا جهر الإمام فليس عليه. وبه قال الشافعي في القديم. وقال في الجديد: يلزمه القراءة أسرَّ الإمام أم جهر.

وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله: لا يلزمه القراءة خافت أو جهر.

ثم قال: والدليل على وجوب القراءة على المأموم كوجوبها على الإمام.. وروى عدة أحاديث بسنده أدلة على القول الذي يرجحه، وهو قول الشافعي في الجديد.

ثم نسب هذا القول إلى عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وجماعة كثيرة من التابعين وأئمة المسلمين روي عنهم جميعاً أنهم رأوا القراءة خلف الإمام واجبة.

ثم قال: ووجه القول القديم: ما روى سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن ذكوان عن أبي هريرة وعائشة: أنها كانا يأمران بالقراءة وراء الإمام إذا لم يجهر.

ثم قال: واحتج أبو حنيفة وأصحابه.. وذكر أدلتهم، وأجاب عن كل دليل، ذاكراً في أثناء ذلك نصوصاً وأدلة تخالف أدلتهم.

- مسألة: شروط وجوب الحج:

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] يذكر شروط وجوب الحج قال: وهي تسعة، ثم يدخل في تفصيلها ومنها: وزاد كاف، وراحلة مبلّغة، وقوة مؤدية، وذكر اختلاف الفقهاء في تفصيل هذه الشرائط، ومما قاله: فقال الشافعي رحمه الله: الاستطاعة وجهان: أحدهما: أن يكون مستطيعاً ببدنه، واجداً من ماله ما يبلّغه الحج.

والثاني: أن يكون معضوباً في بدنه لا يثبت على مركبه، وهو قادر على من يطيعه إذا أمره أن يحج عنه بأجرة، أو بغير أجرة.

ثم ذكر أدلة الشافعية في المسألة على أوجه مختلفة ناسباً القول إلى من قال به من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أصحاب المذاهب. وروى عن مالك بن أنس -يرحمه الله - أنه أوجب الحج على المطيق للمشي، وإن لم يكن له زاد وراحلة، ثم ذكر القائلين بذلك من أهل العلم.

ثم فصل في المعضوب وقسمه إلى مريض لا يرجى برؤه، ولكنه يقدر على مال يستأجر به، فهذا يلزمه الحج، ثم ذكر القائلين به من أصحاب المذاهب، ثم قلب المسألة على أوجه مختلفة ذاكراً أوجه الخلاف مع الدليل لكل، وأخيراً يذكر وجهاً من وجوه المسألة، وهو من يرجى زوال مرضه فهذا لا يحج عنه وعكسه المعضوب، وأجاز أبو حنيفة أن يحج عنه وعليه فيسقط عنه فرض الحج، قال: والله أعلم بالصواب. انتهى.

- وأحياناً يذكر الثعلبي الأقوال في المسألة، ويذكر أدلة كل قول، لكنه لا ينسب هذه الأقوال لأصحابها بل يوردها هكذا على سبيل الإجمال.

مثال ذلك: مسألة قراءة سورة الفاتحة في الصلاة. حيث قال: القول في وجوب قراءة هذه السورة في الصلاة، وروى عدة أحاديث في وجوب قراءتها.

وبعد أن ساق هذه الأدلة قال: واحتج من أجازا لصلاة بغيرها.. وذكر أدلتهم في ذلك. وأجاب عن هذه الأدلة، وبين أنه لا وجه لاستدلالهم بها.

وبما أن الثعلبي شافعي المذهب لذلك نراه يبين القول الجديد في المذهب، والقول القديم، ويوجه كل قول، ويذكر أدلته، كما تقدم في المثال قبل السابق.

ويذهب إلى أبعد من ذلك حيث يذكر الاختيارات في المذهب. كما فعل عند مسألة: مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة، حيث حكى أقوال العلماء في ذلك، وقال ضمن ذلك: فقال

بعضهم: مقدار ما يمسك به رَمَقَه. وهو أحد قولي الشافعي، واختيار المزي.

ويذكر الثعلبي في تفسيره بعض مسائل أصول الفقه:

مثال ذلك: عند مسألة قراءة الفاتحة في الصلاة ذكر أن الذين أجازوا الصلاة بغير الفاتحة استدلوا بحديث المسيء صلاته حيث قال له الرسول ﷺ: ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ معَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ)) الحديث.

قال الثعلبي راداً عليهم استدلالهم على ما ذهبوا إليه: وهذه اللفظة (أي قوله عليه الصلاة والسلام ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن) يحتمل أنه أراد كل ما يقع عليه اسم قرآن، ويحتمل أنه أراد سورة بعينها، فلما احتمل الوجهين نظرنا فوجدنا النبي ﷺ صلى بفاتحة الكتاب، وأمر بها، وأبطل صلاة من تركها، فصار هذا الخبر مجملاً، والأخبار التي روينها مفسرة، والمجمل يحمل على المفسر...

وبعد: فعرض الثعلبي للمسائل الفقهية، وذكره الأقوال فيها، والأدلة، ثم ذكره أدلة المخالفين، وردوده عليهم، ونقده لأدلتهم، وتوجيهها، في كل ذلك تظهر لنا شخصية الثعلبي الفقهية، ومكانته المرموقة في هذا العلم.

سادساً: اللغة العربية واعتماد الثعلبي عليها في تفسيره

أهمية اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم:

تعتبر اللغة العربية من أهم مصادر تفسير كتاب الله جلّ وعلا وذلك لأن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] فلا يمكن تفسيره إلا بالاعتماد على لغة العرب.

وقد كان من بين المصادر التفسيرية عند الصحابة رضوان الله عليهم الاجتهاد وقوة الاستنباط، وكان من أهم أدوات ذلك الرجوع إلى اللغة العربية، ومعرفة أوضاعها وأسرارها ومصطلحاتها، ومعرفة أشعار العرب وعاداتهم في مخاطبتهم شعراً ونثراً، وكان الصحابة كثيراً ما يستشهدون بأشعار العرب.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك^(١).

(١) ((البرهان)) للزركشي ١/ ٣٦٨. وكذا قول مجاهد ومالك.

وكان من بعد الصحابة من التابعين وأتباعهم يؤكدون هذا المبدأ، وينبّهون على خطورة التصدي لتفسير كلام الله عز وجل دون العلم بلغة العرب.

يقول الإمام مجاهد بن جبر رحمه الله وهو تلميذ ابن عباس: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلّم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب.

ويقول الإمام مالك رحمه الله: لا أُوتى برجلٍ يفسّر كتاب الله غير عالمٍ بالعربية إلا جعلته نكالا.

- اهتمام الثعلبي وعنايته باللغة العربية في تفسيره:

لما كان للغة العربية ذلك الدور الأساس في تفسير القرآن العظيم، اهتم الثعلبي بهذا الجانب في تفسيره اهتماماً كبيراً.

ورغم أن ((الكشف والبيان)) للثعلبي يعتبر موسوعة في التفسير بالمأثور، إلا أن ذلك لم يؤثر على تكامل الجانب اللغوي في هذا التفسير.

وهذا الاهتمام من الثعلبي بهذا الجانب مبنيٌّ على إدراكه لأهمية اللغة العربية في تفسير كتاب الله جلّ شأنه.

ولا غرابة في ذلك، فالثعلبي رحمه الله كان بصيراً بالعربية، عالماً بوجوه الإعراب، ولذا فقد وصفه من ترجموا له (بالأديب))، وذكره المؤلفون شمن تراجم اللغويين والأدباء، بل إنَّ الأسنوي قال عنه: كان إماماً في علم النحو واللغة^(١).

فليس بغريب بعد ذلك أن يعتمد الثعلبي في تفسيره اعتماداً كبيراً على اللغة العربية.

ولقد تجلّى هذا الاهتمام على سبيل الإجمال في الأمور التالية:

- ١- أن اللغة العربية من الأمور التي بنى عليها الثعلبي كتابه. حيث ذكر في مقدمة تفسيره ضمن هذه الأمور: ((العربية واللغات، والإعراب والموازنات)).
 - ٢- أنه ذكر ضمن مصادره التي ذكرها في مقدمته جمعاً من كتب معاني القرآن، وغريب القرآن، لأئمة النحو واللغة، أمثال أبي عبيدة، وأبي عبيد، والأخفش، والفراء، والزجاج، والكسائي، وابن قتيبة، وقطرب، وغيرهم.
 - ٣- حشده لكثير من النقول عن أئمة اللغة.
 - ٤- ذكره لعدد كبير من المسائل النحويّة، والبلاغيّة، والشواهد الشعريّة.
- هذا فيما يتعلق بمنهجه جمالاً في اعتماده على اللغة العربية ومسائلها، وعنايته بها.

(١) ((طبقات الشافعية)) ١/١٥٩.

أما منهجه تفصيلاً فيتمثل في الأمور التالية:

١ - عناية الثعلبي بنقل أقوال أئمة النحو اللغة والاستشهاد بها:

أودع الثعلبي رحمه الله تفسيره عددًا كبيرًا من أقوال أئمة اللغة، وعلماء العربية، أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والمبرد، وثعلب، والفراء، والأخفش، وقطرب، وغيرهم. مصرّحًا بنسبة هذه النقول إليهم.

وهذه الأقوال تارةً يرويها الثعلبي بإسناده، وتارةً ينقلها بلا إسناد. فيقول مثلاً: سمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا سعيد محمد بن سعيد الفارسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد ابن القاسم الأنباري يقول: سمعت أحمد بن يحيى ثعلبًا يقول: هو (أي التفسير) من قول العرب: فست الفرس، إذا ركضتها محصورةً لينطلق حصرها.

وأما النقل عن علماء اللغة بلا إسناد فكثير. ومنه:

عند قوله تعالى: ﴿**مالك يوم الدين**﴾ [الفاتحة: ٤] في الفرق بين (مالك) و(ملك)، قال: وفُرق الآخرون بينهما: فقال أبو عبيدة والأصمعي وأبو حاتم والأخفش وأبو الهيثم: مالك أوسع وأمدح...

وعند قوله تعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [الفاتحة: ٥] عند الكلام عن إيا، قال: وحكى الخليل عن العرب: إذا بلغ الرجل الستين، فإياه وإيا الشواب.

وعند قوله سبحانه ﴿**إن البقر تشابه علينا**﴾ [البقرة: ٧٠] قال: قال قطرب: يقال لجمع البقرة: بقر وباقر وبيقور وباقور. ثم قال: وقال المبرد: سُئل سيبويه عن هذه الآية فقال: كلُّ جمعٍ حروفه أقل من حروف واحد، فإن العرب تذكّره.

٢ - ذكّر المسائل والقواعد النحويّة:

من الدلائل الواضحة على اهتمام الثعلبي باللغة العربية عمومًا وبعلم النحو على وجه الخصوص إيراد لقواعد النحو في تفسيره عند مناسبة ذلك، والوقوف على المسائل النحويّة وبسطها، والاستدلال بها في تفسيره ومن الأمثلة على ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ [الفاتحة: ٧] يذكر الثعلبي قاعدة هامة من قواعد النحو في باب النعت، فيقول: (غير) صفة لـ الذين و الذين معرفة، وغير نكرة، ولا توصف المعارف بالنكرات، ولا النكرات بالمعارف.

وعند قوله جلَّ وعلا: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٣٣] عقد الثعلبي مسألة نحوية بعنوان: القول في حدِّ الاسم وأقسامه. فعَرَّفَ الاسم، ثم قَسَّمَهُ إلى ثمانية أقسام، ممثلاً لكل قسم.

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنَعُكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]. ذكر في ((لعل)) ست لغات. ثم ذكر أنها من الله واجبة. ومن الناس لها ستة معانٍ، فذكرها ممثلاً لكل معنى، ومستشهداً له.

عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٤] قال: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: رفع على الغاية...، ﴿هُدَى لِلنَّاسِ﴾: هاد لمن تبعه، ولم يثنه لأنه مصدر، وهو في النصب على الحال والقطع.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤] قال: محل (أن) الرفع على إضمار هي، وقال الزجاج: محله رفع بالابتداء، وقيل: محل نصب بنزع حرف الصفة معناه: بأن لا نعبد إلا الله، وقيل: محله خفض بدلاً من الكلمة، أي: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله. عند قوله تعالى: ﴿كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ قال: وهي نصب على الحال. ومثلها عند قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾.

٣- ذِكْرُ اختلاف النحاة في بعض المسائل النحويّة:

لم يكتفِ الثعلبي من النحو في تفسيره بالإعراب، وذكر المسائل النحوية، بل إنَّه تعمَّق في هذا العلم إلى درجة أنه أصبح يحكي لنا في تفسيره الخلاف بين علماء النحو، حيث نجد في عدة مواضع في تفسيره عرضاً للخلاف في بعض مسائل النحويين الكوفيين والبصريين^(١). وهذا دليل على قدمه الراسخة في هذا العلم.

والثعلبي رحمه الله لم يلتزم مدرسةً بعينها، وإنما ينقل من كل مدرسة ما يراه صواباً ويحتاج إليه في موضعه. ولذلك نجده في تفسيره ينقل عن علماء المدرستين جميعاً. ومن الأمثلة على ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] حكى اختلاف النحاة في وزن

(١) هاتان المدرستان مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة هما أشهر مدارس النحو. ولكل من المدرستين قواعد وأصول تخالف المدرسة الأخرى، كما أن لكل واحدة منهما علماء عُرفوا بذلك، فمن أشهر رجال مدرسة البصرة: الخليل بن أحمد، وسيبويه، وقطرب، والمبرد، والزجاج، وأبو علي الفارسي وغيرهم. ومن أشهر علماء مدرسة الكوفة: الفراء، والكسائي، وثعلب، وأبو بكر بن الأنباري. انظر: ((تاريخ النحو لسعيد الأفغاني (ص ٦٤)).

صَيَّب، فقال: واختلف النحاة في وزنه من الفعل: فقال البصريون: هو على وزن (فَعِل) بكسر العين، ولا يوجد هذا المثال إلا في المعتل، نحو سَيِّد، ومَيَّت، وَلَيَّن، وهَيَّن، وَضَيَّق، وَطَيَّب. وأصله (صَيَّب) فجُعِلت الواو ياءً، وأدغمت إحدى اليائين في الأخرى. وقال الكوفيون: هو وأمثاله على وزن (فَعِيل) وأصله (صَيَّب) فاستثقلت الكسرة على الياء، فسكنت وأدغمت إحداهما في الأخرى، وحركت إلى الكسرة.

- في قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال: وهي نصب على القطع في قول الكسائي، وعلى المصدر في قول سيبويه، أي فرض الله هذه الأشياء فريضة.

ومما يميز منهج الثعلبي في هذا الجانب مما لا ينبغي إغفاله استخدامه للمصطلحات الكوفية القديمة في الإعراب مما لم يعد شائعاً في كتب المتأخرين، فمن تعبيراته في ذلك: مصطلح (الصفة) وهو ما يقابل حروف الجر عند البصريين، حيث قال مبيناً وجه رفع ﴿بَرَاءَةٌ﴾ وقيل: رفع بخبر حرف الصفة على التقديم والتأخير...

كما استعمل مصطلح (الصرف) الذي هو النصب على إضمار (أن)، حيث قال في توجيه قراءة الأعرج وعيسى وابن أبي إسحاق (ويتوب الله) بالنصب على الصرف. وكذا استعماله لمصطلح (الكناية) و(القطع) و(الإجراء) على ما هو مبين في مواضعه إن شاء الله.

٤ - العناية بإعراب القرآن الكريم:

لإعراب القرآن الكريم أهمية عظيمة، فيه يُعرَف المعنى، لأنَّ الإعراب يميِّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين^(١). ولذا فقد أولى الثعلبي هذا العلم عناية فائقة، وتطرَّق في مواضع كثيرة جداً إلى إعراب الآيات.

ومن الأمثلة على ذلك: عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] يذكر الثعلبي قاعدةً في الإعراب فيقول: (غير) نصبٌ على الحال وقيل: على الاستثناء. وإذا رأيتَ غير تصلح في موضعها لا فهي حال، وإذا صلح في موضعها إلا فهي استثناء. فقس على هذا ما ورد عليك من هذا الباب.

(١) انظر: ((الإتقان للسيوطي)) ٢/ ٥٢٨. وقد ألفت في هذا العلم عدة مؤلفات، منها: ((إعراب القرآن)) للنحاس، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج، وإملاء ما من به الرحمن، والتبيان: كلاهما للعكبري، وغيرها. (انظر: فهرس المراجع). كما أن كتب معاني القرآن ونحوها تعتني بإعراب القرآن، أمثال: ((معاني الفراء))، والأخفش وغيرهما.

ويقول عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: و(إِيَّا) كلمة ضمير مكنية، لا يكون إلا في موضع النصب. والكاف: في محل خفض بإضافة (إِيَّا) إليها، وخُصَّ بالإضافة إلى المضمر، ولا يضاف إلى الاسم المظهر إلا شاذًا.

ويقول في إعراب ﴿أَلَمْ﴾ أول سورة البقرة:

وأما محل (أَلَمْ) من الإعراب، فرفع بالابتداء، وخبره فيما بعده. وقيل: (أَلَمْ) ابتداء، و(ذلك) ابتداء آخر، و(الكتاب) خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول.

٥ - العناية بالجوانب البلاغية:

يُعتبر علم البلاغة بأنواعه الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع، من العلوم التي لا غنى للمفسر عنها، إذ به يتجلى بيان القرآن وفصاحته. ولذا يقول الزركشي عنه: وهذا العلم من أعظم أركان المفسر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، وأن يؤاخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له من الكلام حتى لا يتنافر، وغير ذلك ثم يقول: واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة، ولو لم يجب الفصاحة إلا قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾^(١) لكفى^(٢).

وتفسير ((الكشف والبيان)) حوى مجموعة من الأساليب والصور البلاغية الجميلة التي ازدان بها الكتاب، فقد كان الإمام الثعلبي حريصًا على إظهار إعجاز القرآن بما حواه من فصاحة في الأسلوب، وبلاغة في التركيب، وكان هذا المنهج واضحًا في تناوله لمفردات الآيات وتركيبها. ولذلك كان من ضمن مصادر كتابه التي ذكرها كتاب ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة الذي يعده عدد من العلماء أول من أَلَّفَ في علم البيان. كما اعتمد ضمن مصادره كتاب ((نظم القرآن)) لأبي علي الجرجاني، ولذا اعتنى في تفسيره بنظم القرآن في عدد من الآيات. كما أفاد من كتب أخرى في هذا الباب. ومن الأمثلة في هذا الجانب:

عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ذكر الثعلبي أحد أنواع علم المعاني ويسميه علماء البلاغة بـ((اللتفات))، حيث قال عقب الآية: رجع من الخبر إلى الخطاب على التلوين^(٣).

(١) سورة الرحمن: (١ - ٤).

(٢) ((البرهان في علوم القرآن)) ١/ ٣٨٧، ٣٨٨.

(٣) انظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة ١/ ٢٣.

وعند قوله تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ [البقرة: ١٧١].

ذكر الثعلبي في تفسيره لهذه الآية جانبين بلاغيين هما:

أ- حذف المضاف: وهو ما يسميه علماء البلاغة ((مجازاً عقلياً)). حيث قال: اختلف أهل المعاني في وجه هذا القول وتقدير الآية، فقال بعضهم: معنى الآية: ومثلك يا محمد، ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل. قاله الأخفش والزجاج. وقال الباقر: مثل واعظ الذين كفروا وداعيتهم ﴿كمثل الذي ينعق﴾ فترك ذلك وأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه. ويسمى هذا النوع من الخطاب: المضمّر، ومثله في القرآن كثير، كقوله: ﴿واسأل القرية﴾. ثم استشهد على ذلك بالشعر.

ب- التشبيه: ثم قال الثعلبي: فشبّه الله تعالى واعظ الكفار بالداعي الذي ينعق بالغنم، أي: يصيح ويصوت لها. يقال: نَعَقَ ينعق نعيقاً ونُعَاقاً ونُعَقاً: إذا صاح وزجر.

وعند قوله تعالى ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٩، ٢٠].

قال الثعلبي: القول في معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما، وبالله التوفيق: قوله عز وجل ﴿أو كصيب من السماء﴾ أي: كأصحاب صيب، كقوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾ شبههم الله تعالى في كفرهم ونفاقهم وترددهم وتحيرهم بقوم كانوا في مفازة، في ليلة مظلمة، فأصابهم مطر فيه ﴿ظلمات﴾، من صفتها أنّ الساري لا يمكنه المشي من ظلمته، فذلك قوله: ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ و﴿ورعد﴾ من صفة أن يصم السامعون آذانهم من الهول والفرق، مخافة الموت والصعق، وذلك قوله ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾ و﴿وبرق﴾ من صفة أن يقرب من أن يخطف أبصارهم، ويذهب بضوئها ويعميها، من كثرتة وشدة توقده، وذلك قوله عز وجل: ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾. وهذا مثل ضربه الله عز وجل للقرآن وصنع المنافقين والكافرين معه، فالمرط هو القرآن لأنه حياة الجان، كما أن المطر حياة الأبدان ﴿فيه ظلمات﴾ وهي ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك والشك وبيان الفتن والمحن، ﴿ورعد﴾ وهو ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار والزواج والنواهي، و﴿وبرق﴾ وهو ما في القرآن من الشفاء والهدى والبيان والنور والوعد وذكر الجنة. فكما أن أصحاب

الرعد والبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت، كذلك المنافقون واليهود والكافرون يسدُّون آذانهم عند قراءة القرآن، ولا يُصغون عليه مخافة ميل القلب إلى القرآن، فيؤدي ذلك إلى الإيمان بمحمد، لأن الإيمان بمحمد ﷺ عندهم كفر، والكفر موت.

- ومن تنوع أسلوب الخطاب القرآني وانتقاله من أسلوب إلى آخر أيضًا: قوله في قول الله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: رجع من الخبر إلى الخطاب.

وقال في قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾: على وجه التعجب ومعناه جحد؛ أي لا يكون لهم عهد.

ويقول في قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: ظاهر الآية أمر، ومعناه خبر وجزاء. ونحو ذلك.

٦- بيان أصل الكلمة واشتقاقها اللغوي:

اعتنى الثعلبي في تفسيره عنايةً فائقةً ببيان أصل الكلمة الواردة في الآية، واشتقاقها اللغوي، والاستشهاد على ذلك بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، وشعر العرب.

ومن المثلة على ذلك: عقد الثعلبي في مقدمة كتابه بابًا في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما. وبين في هذا الباب أصل كلمة ((تفسير)) و ((تأويل)) حيث روى بسنده عن ابن دريد أنّه قال: أصله من ((التَّفْسِيرِ)) وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء.

ثم روى بسنده أيضًا عن ابن الأنباري، عن ثعلب أنه قال: هو من قول العرب: فسرت الفرس، إذا ركضتها محصورةً لينطلق حصرها.

ثم روى بسنده أيضًا عن أبي حامد الخارزنجي قوله: هو مقلوب من (سَفَر) مثل جذب وجبذ، وضَبَّ وضَبَّ.

ثم بين أصل كلمة ((تأويل)) فقال: وأصله من (الأوّل) وهو الرجوع. تقول العرب: آل الملك إلى فلان، يؤول أولاً ومآلاً، أي: عاد إليه. وإِلْتُ وإِبْتُ بمعنى واحد. والعرب تقول: ألته فآل، أي: صرفته فانصرف. قال الشاعر:

فألنا بخيرٍ في رخاءٍ ونعمةٍ

وآل بنو مروان شرَّ مآلٍ

وللأعشى:

وأوّل الأمر على وجهه

ليس قضائي بالهوى الجائر

ثم روى بإسناده عن النضر بن شميل أنه قال: أصله من (الإيالة) وهي السياسة. تقول العرب: قد إلنا وإيل علينا، أي: سسنا وساسنا غيرنا، فكأنَّ المتأوَّل للكلام سايسه والقادر عليه وواضعه موضعه.

وقال في أصل كلمة ((الكُفْر)) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] قال: والكفر: هو الجحود والإنكار، وأصله من (الكُفْر) وهو التغطية والستر، ومنه قيل للحراث: كافر، لأنه يستر البذر في الأرض. قال الله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكَافِرَ نَبَاتُهُ﴾ يعني الزراع، وقيل: للبحر: كافر. وللليل: كافر. وقال لبيد: حتى إذا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ

وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الشُّغُورِ ظِلْمُهَا

وقال أيضًا:

في ليلةٍ كفرَ النجومَ غمائمها

ومنه المتكفّر بالسلاح، وهو الشاك الذي غطى السلاح جميع بدنه. فسُمِّي الكافر كافرًا، لأنه سائر للحق ولتوحيد الله عز وجل ونعمه، ولنوبة أنبيائه.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنٍ﴾ [آل عمران: ١١] يذكر اختلاف أهل العلم في معنى الدأب، وينقل أكثر من ستة عشر قولاً عنهم، ثم يذكر أصل الكلمة في لغة العرب فقال: وهذا أصل الحرف يقال: دأبت في الأمر أدأب دأبًا، إذا أدمت العمل، وبقيت فيه، وأدأب السير إدأبًا، ثم نقل معناه إلى الشأن، والحال والعادة، واستشهد على ذلك بقول زهير بن أبي سلمى الشاعر.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤] نجده يذكر عن أكثر من أحد عشر عالمًا الاختلاف في معنى المسومة، ومن ذلك قول الحسن قال: هي المشرحة، يقال: سامت الخيل تسوم سوماً فهي سائمة وأسمتها أنا إسامة فهي مسامة وسومتها تسويماً، فهي: مسومة ثم دُلَّ على ما ذهب إليه من أشعار العرب، وختم بقوله: وكلها متقاربة.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأُبرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، قال: ﴿وَأُبرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ أي: أشفيهما وأصححهما، يقال: أبرأ الله المريض يبرئ إبراء فبرئ هو يبرأ، وبرئ يبرأ، ويجوز: بروء، فيها جميعاً، ثم ذكر الاختلاف في الأكمة فذكر عن عكرمة أنه الأعمش وعن مجاهد وغيره: هو الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، وروي عن ابن عباس ؓ وقادة أنه الذي ولد أعمى ولم يبصر ضوء قط وعن الحسن والسدي: هو

الأعمى، ثم قال: وهذا هو المعروف من كلام العرب يقال: كمهت عينه تكمه كمهاً وكمهتها أنا، إذا أعميتها ثم دَلَّ على ذلك بيتين من أشعار العرب لسويد بن أبي كاهل ورؤية.

- وعند قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ...﴾ قال: أصل الكنز في كلام العرب: كل شيء مجموع بعضه إلى بعض على ظهر الأرض كان أو في بطنها... ثم ذكر شواهد من الشعر.

- ومن ذلك أيضاً قوله: وأصل الخلال من الخلل وهو الفرجة بين الشيئين). وقوله في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾ (وأصله من غني بالمكان إذا أقام به. ونحو ذلك.

٧- العناية بتصريف الأفعال وبيان أوزانها:

ومن الأمثلة على ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١] قال في تصريف (قيل): (قيل): فعل ماضٍ مجهول، وكان في الأصل (قُولَ) مثل (فُعِلَ) فاستثقلت الكسرة على الواو، فنقلت كسرتها إلى فاء الفعل، فانقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها.

وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

قال عند قوله (خطوات): وكل ما كان من الأسماء على وزن (فُعْلَة) فجُمع على التاء، فإنَّ الأغلب والأكثر في جمعه التثنية وتحريك عين الفعل بالحركة التي على فاء الفعل في الواحد. مثل: ظُلْمَة وظُلُمَات، وقُرْبَة وقُرَبَات، وحُجْرَة وحُجَرَات، وقد يُخَفَّف أيضاً.

٨- الشواهد الشعرية والعناية الفائقة من الثعلبي بها:

للشعر أهمية كبرى في معرفة الألفاظ العربية، وأصولها، ودلالاتها، ومعانيها. ولذا فدق اهتم به العلماء منذ عصر الصحابة والتابعين.

فقد روى عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنَّ الشعر ديوان العرب^(١).

وروى أبو عبيد بإسناده عن ابن عباس: أنه كان يُسأل عن القرآن فيُنشد فيه الشعر.

قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير^(٢).

والثعلبي رحمه الله النحوي الأديب أكثر من الاستشهاد بالشعر العربي في تفسيره، وكأنَّه

(١) ((البرهان)) ١/ ٣٦٨، ((الإتقان)) ١/ ٣٤٧.

(٢) ((فضائل القرآن)) (ص ٢٠٥).

كان يغترف من بحر خضم، حتى أضحى تفسيره ديواناً شعرياً يرجع إليه المفسرون والباحثون عن معاني ألفاظ القرآن الكريم، وغيرهم. بل إنه أصبح مرجعاً لتوثيق بعض الأبيات الشعرية، كما فعل السيوطي في كتابه ((شرح شواهد المغني))^(١).

طريقة الثعلبي في إيراد البيات الشعرية:

يتنوع أسلوب الثعلبي في ذكره لأبيات الشعر في تفسيره. ويمكن تحديد هذا الأسلوب في النقاط التالية:

١ - يذكر البيت منسوباً إلى قائله، مصرّحاً باسم الشاعر.

ومن أمثلته:

أنشدنا أبو القاسم الحبيبي، قال: أنشدنا أبو الحسن العقيلي، قال: أنشدنا بشر بن موسى الأسدي، قال: أنشدنا الأصمعي لجعفر الصادق عليه السلام:

أثامن بالنفس النفيسة رها

فليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها نشترى الجنات إن أنا بعثها

بشيء سواها إن ذلكم غبن

إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها

فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن

- وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي، قال: أنشدنا القاضي أبو الربيع محمد بن علي، قال: أنشدنا أبو علي الحسن بن علي بن عاصم الكوفي:

من يشترى قبة في العدن عالية

دلاًها المصطفى والله بائعها

في ظل طوبى رفيعات مبانيها

ممن أراد وجبريل مناديا

٢ - يذكر البيت دون التصريح بنسبته إلى قائله. بل يكتفي بقوله: قال الشاعر، أو كقول القائل، ونحو ذلك.

٣ - ينسب البيت لمن نقله عنه، أو لمن أنشده، كالفرء، والأخفش، وأبي عبيدة، وغيرهم، ويكتفي بذلك عن نسبته لقائله.

٤- يروي بعض البيات بسنده إلى قائله، أو منشده.

٥- يكرّر البيت في أكثر من موضع، إذا كان يصلح للاحتجاج به في ذلك.

٦- يقتصر أحياناً على ذكر شطر البيت الذي فيه الشاهد.

٧- يبيّن الشاهد عقب إيراد البيت أحياناً ويُغفّله أحياناً خاصة إذا كان واضحاً.

الاستشهاد بالشعر على معاني الكلمة ودلالاتها:

مثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] ذكر لكلمة الرب عدداً من المعاني، واستشهد على كل معنى بيت من الشعر. فقال: والرب يكون بمعنى السيد. قال الله تعالى: ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي: سيدك. قال الأعشى:

وأهلكن يوماً رب كندة وابنه

ورب معد بين خبت وعرعر

ويكون بمعنى المالك قال النبي ﷺ لرجل: ((أرب إبل أنت أم رب غنم؟)). فقال: ((من كل قد آتاني الله فأكثر وأطيب)) وقال طرفة:

كقنطرة الرّومي أقسم ربّها

لتُكتنّفنّ حتى تُشادَ بقرميد

وقال النابغة:

فإنّ تك ربّ أذوادٍ بحزوى

أصابوا من لقاحك ما أصابوا

ويكون بمعنى صاحب. قال أبو ذؤيب:

قد ناله ربّ الكلاب بكفّه

بيض رهاب ريشهنّ مقرّغ

ويكون بمعنى المربيّ. تقول العرب: ربّ يرّب ربابةً وربوباً فهو ربّ، مثل: برّ وطبّ. قال

الشاعر:

يرّب الذي يأتي من الخير أنّه

إذا فعّل المعروف زاد وتّما

وقد يكون بمعنى المصلح للشيء. قال الشاعر:

كَانُوا كَسَالَةً حَقَاءَ إِذْ حَقَّتْ

سَلَاءُهَا فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مُرْبُوبٍ

أي: غير مصلح.

وهكذا نجد أن الثعلبي قد استشهد بستة أبيات في موضع واحد، مما يدل على كثرة استشهاد بالشعر في تفسيره.

الاستشهاد بالشعر على أصل الكلمة:

ومن أمثلته:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

بين المصنف أن أصل اللعن الطرد. واستشهد عليه. فقال: أصل اللعن في اللغة: الطرد. ولعن الله عز وجل إبليس: طرده إياه حين قال: ﴿فَاخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾. قال الشَّيْخُ وذكر ماءً ورده:

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ

مَقَامَ الذَّنْبِ كَالرَّجْلِ اللَّعِينِ

وقال النابغة:

فَبْتُ كَأَنِّي حَرَجٌ لَعِينٌ

نَفَاهُ النَّاسُ أَوْ دَنَفَ طَعِينٌ

فمعنى قولنا: لعنه الله، أي: طرده وأبعده، وأصل اللعنة: ما ذكرنا، ثم كثر ذلك حتى صار قولاً.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]

قال: ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾: إفعيل من النخيل، وهو الخروج، ومنه سمي الوتد نجلاً لخروجه قال الأعشى:

أَنْجَبَ أَزْمَانٌ وَالِدَاهُ بِهِ

إِذْ نَجَلَاهُ فَنَعَمَ مَا نَجَلَا

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، قال:

﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ أي: مكاناً بعيداً، والأمد: الأجل والغاية التي ينتهي إليها، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾، وقال -عز وجل-: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾.

وقال النابغة:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الأمد

الاستشهاد بالشعر على قول في تفسير الآية:

مثاله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ...﴾ [البقرة: ٧]. قال: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به. وإِنَّمَا وَحَّدَهُ لِأَنَّهُ مُصَدِّرٌ، وَالْمُصَادِرُ لَا تُثَنَّى وَلَا تَجْمَعُ. وقيل: أراد سمع كل واحد منهم. كما يقال: أتاني برأس كبشين، أراد برأس كل منهما. قال الشاعر:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا

فإنَّ زمانكم زمنٌ خيَضُ

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] قال: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: سامعه، وقيل: مجيبه، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ (٥٥) ﴿أي: فأجيبون...، وأنشد:

دعوت الله حتى خفت ألا

يكون الله يسمع ما أقول

أي: يجب.

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ﴾ [آل عمران: ٦١] قال الكسائي وأبو عبيدة: نلتعن فنقول: لعن الله الكاذبين منا يقال: بهله الله وبهلهته أي: لعنته قال لبيد:

من قرون سادة في قومهم

نظر الدهر إليهم فابتهل

الاستشهاد بالشعر على بعض المسائل النحويّة:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤]. نقل عن النضر بن شميل أنّ (إلى) هنا بمعنى مع واستشهد على ذلك ببعض الآيات القرآنية ثم استشهد بيبيتين من الشعر، فقال: قال النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني

إلى الناس مطيٌّ به القارُّ أجربُ

أي: مع الناس.

وقال آخر:

وَلَوْح ذَارِعِينَ فِي بَرْكِهِ
إِلَى جُؤْجُؤٍ رَهْلٍ الْمَنْكَبِ

أي: مع جؤجؤ.

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [آل عمران: ٤] قال: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ رفع على الغاية، كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ قال زهير:

وما يك من خير أتوه فإنما

توارثه آباء آبائهم قبل

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠] قال: وفي رفعه وجهان: أحدهما: أنه أراد الجزم، وأصله يضرركم، فأدغمت الراء في الراء، ونقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد.

والوجه الثاني: أن تكون (لا) بمعنى: ليس، وتضمير الفاء فيه، تقديره: وإن تصبروا فليس يضرركم قال الفراء، وأنشد:

فإن كان لا يرضيك حتى تردني

إلى قطري لا إخالك راضيا

الاستشهاد بالشعر على بعض القراءات:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. قال: وقرأ محمد بن السُمَيْفَع: (ندًا) على الواحد، كقول جرير:

أَتَيْمًا لِلنَّبِيِّ جَعَلْتَ نِدًّا

وماتيم لذي حسب نديد

- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠]، قال: وقرأ الحسن: (لن تغني) بالتاء وسكون الياء الأخيرة إيثارةً للتخفيف كقول الشاعر:

كفى باليأس من أسماء كاف

وليس لسقمها إذ طال شاف

وكان حقه أن يقول: كافيًا، فأرسل الياء.

وأنشد الفراء:

كَأَن أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقِرْقِ

أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطِينَ الْوَرَقَ

- وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ اتَّبَعْنِي﴾ [آل عمران: ٢٠] قال: وأثبت بعضهم الياء في قوله: (اتبعني) على الأصل، وحذفه الآخرون لأنها في المصحف بغير ياء، قال الشاعر:

كَفَّاكَ كَفَّ مَا تَلِيْقُ دَرَهْمَا

جَوْدًا وَأُخْرَى تَعْطُ بِالسَّيْفِ دَمًا

وقال آخر:

لَيْسَ تَخْفَى يَسَارَتِي فِي قَدَرِ يَوْمٍ

وَلَقَدْ تَخْفَى شِيْمَتِي إِعْسَارِي

الاستشهاد على بعض النكات والفوائد في تفسير الآية:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥] قال: وإِنَّهَا كَرَّرَ إِيَّاكَ ليكون أدل على الإخلاص والاختصاص والتأكيد، كقول الله عز وجل حكايةً عن موسى ع: ﴿كِي نَسْبَحُكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا﴾ ولم يقل: كِي نَسْبَحُكَ وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا. قال الشاعر:

وَجَاعَلَ الشَّمْسُ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ

بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا

ولم يقل بين النهار والليل. وقال آخر:

بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ

بَخٍ بَخٍ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ

٩- نقله لكلام العرب:

كما نقل الثعلبي كلام العرب شعراً، فإنه نقله نثراً، وإن كان ما نقله نثراً أقل بكثير مما نقله شعراً.

ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفُومَهَا﴾ [البقرة: ٦١] قال: والعرب تُعَاقِبُ بَيْنَ الْفَاءِ وَالْثَاءِ، فتقول لصمغ العرفط: مغاثير ومغاثير، وللقبر: جدث وجدف.

١٠ - نقله لأمثال العرب:

مثاله: عند قوله تعالى: ﴿سَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦] قال: قال أهل المعاني: الإنذار الإعلام مع تحذير. يُقال: أنذرتهم فنذروا، أي: أعلمتهم فعلموا. وفي المثل: قد أعذر من أنذر.

وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]: ويقال في المثل: من عزَّ بَزَّ. أي: من غلب سلب.

سابعًا: الجانب التاريخي

اهتم الثعلبي رحمه الله بالأخبار والسير، وظهرت عنايته بها في ثنايا تفسيره، فهو لا يدع فرصة للحديث عن الأخبار والسير إلا ويقتنصها، بل ويطيل في ذلك أحياناً حتى يكاد يخرج عن مقصود التفسير، كما في ذكر الغزوات التي كانت على عهد النبي ﷺ كلما تكلم على آية لها تعلق بهذا الفن.

فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْثَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] نجده يروي بسنده قصة هجرة جعفر بن أبي طالب ﷺ وأصحابه إلى الحبشة، ويروي بتفصيل الحوار الذي دار بين الوفد القرشي ونجاشي الحبشة إضافة إلى مهاجرة الحبشة.

وعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ عَالِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] نجده يستطرد في ذكر الخلاف بين الأوس والخزرج ثم إسلام إياس بن معاذ ثم يذكر بيعة العقبة الأولى ومن شهدها وعودتهم إلى المدينة ومعهم: مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويستمر في سرد الرواية والحوار الذي دار بين سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، ثم يروي قصة بيعة العقبة في موسم الحج ومبايعتهم للنبي ﷺ.

ثم سرد بداية هجرة الصحابة إلى المدينة المنورة إلى نهاية القصة.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، يذكر ما ورد في قصة أحد، ثم يذكر مغازي رسول الله ﷺ: يذكر عددها وأسماءها ونتفاً من سيرها، ثم يذكر سرايا رسول الله ﷺ: يذكر عددها وأسماءها ونتفاً من سيرها.

كما وقع له عند حديثه عن آية النسيء، فقد تكلم على معنى الآية وسبب نزولها، ثم عقد فصلاً لبيان (معنى النسيء وبدء أمره)، ثم أعقبه بفصل في (الاختلاف في أول من نساء) ويسوق الروايات المختلفة في ذلك.

كما نراه يعرض عند قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ.....﴾ [التوبة: ٤٠] لكثير من الروايات مسندة وغير مسندة في بيان بعض أحداث الهجرة.

وصنع نحو ذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...﴾ [التوبة: ١٠٠] حيث ذكر اختلاف المفسرين في المراد بالسابقين، ثم استطرذ بذكر الاختلاف في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هل هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأطال في ذلك إطالة حقها كتاب في التراجع لا في التفسير، ثم ذكر السابقين من الأنصار وأنهم أهل بيعة العقبة الأولى والثانية والذين آمنوا حين قدم عليهم مصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم شرع في ذكر مناقب مصعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخباره.

ولم يلتزم رحمه الله في عرضه لمرويات السيرة طريقة معينة، بل كان في غالب صنيعه يلفق القصص من روايات عدة يسوقها مساقاً واحداً، كما صرح بهذا المنهج في غير ما موضع، فقد قال في ذكره لأحداث غزوة حنين: وكانت قصة حنين على ما ذكره المفسرون بروايات كثيرة لفققتها ونسقتها لتكون أقرب إلى الأفهام وأحسن للنظام أن رسول الله ﷺ.

بل حتى في الروايات التي يسوقها المؤلف بإسناده نجده يتصرف فيها بالتنسيق والتأليف، دون الاختصار على سياقة من يروي من طريقه؛ كما فعل في حديث كعب بن مالك في خبر تخلفه وصاحبيه على ما هو مبين في موضعه من الجزء المحقق.

وقد عاب الحافظ ابن حجر على الثعلبي صنيعه هذا حيث قال بعد أن ذكر مثلاً لذلك: (وهذا من عيوب كتابه، ومن تبعه عليه يجمعون الأقوال عن الثقات وغيرهم، ويسوقون القصة مساقاً واحداً على لفظ من يرمى بالكذب، أو الضعف الشديد، ويكون أصل القصة صحيحاً، والنعارة في ألفاظ زائدة)^(١).

(١) ((العجائب في بيان الأسباب)) ١ / ٦٥٤.

المبحث الرابع

أهمية الكتاب وقيّمته العلميّة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثناء العلماء على الكتاب.

المطلب الثاني: مميزات هذا التفسير.

المطلب الثالث: عناية العلماء به واستفادتهم منه.

المطلب الرابع: المآخذ على تفسير ((الكشف والبيان)) ومناقشتها.

أهمية الكتاب وقيّمته العلميّة

كتاب ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)) للإمام الثعلبي، له أهميّة عظيمة، وقيمة كبيرة، فهو يتبوأ مكاناً رفيعاً، ومنزلة عالية بين كتب التفاسير.

وسأحاول في هذا المبحث أن أكشف عن أهمية ((الكشف والبيان)) وأجلّ المكانة المرموقة لهذا السّفر المبارك، من خلال ذكر أقوال العلماء في الثناء عليه، وتعداد مزاياه وخصائصه، وبيان أثره على من جاء بعده، ومدى استفادتهم منه. والله المستعان، وعليه التّكلان.

المطلب الأول ثناء العلماء على هذا التفسير:

إنَّ ثناء العلماء على كتاب ما ومدحهم له، يُعدُّ دليلاً واضحاً ومعلماً ظاهراً على أهمية هذا الكتاب وقيمتة العلمية.

لأنَّ أولئك الأعلام لم يكونوا يجاملون في ثنائهم ومدحهم، ولم يكونوا يجاوزون الحدَّ في ذلك الثناء. فهم إذا أثنوا على شيء، إنما يثنون عليه، ويمدحونه مدح العارف به، فيكون ثنائهم ومدحهم مؤشراً قوياً على قيمة ومكانة الممدوح.

ومن هذا القبيل الثناء الذي أثنى به الإمام أبو الحسن الواحدي التلميذ المشهور للإمام الثعلبي، على تفسير الكشف والبيان.

فقد لازم الواحدي شيخه، ودرس عليه تفسيره، وعكف على هذا التفسير، حتى إذا عرف هذا التفسير حق المعرفة، أثنى عليه ثناء العارف به فقال في معرض كلامه عن شيخه الثعلبي: وله التفسير الملقَّب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن، الذي رُفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في القطار:

وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ يَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وأصفت عليه كافة الأمة على اختلاف نحلهم، وأقروا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله^(١).

ويقول عبد الغافر الفارسي في ((السياق لتاريخ نيسابور)) وهو بلديُّ المؤلف، عن الثعلبي: صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك، مما لا يحتاج إلى ذكره لشهرته^(٢).

ويقول أبو العباس بن خلَّكان عن الثعلبي:

وصنَّفَ التفسير الكبير، الذي فاق غيره من التفاسير^(٣).

وهكذا دلت العبارات السابقة على ما لها التفسير من مكانة عالية عند العلماء.

(١) ((السيط)) للواحدي ١/ ٢٣٣.

(٢) ((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) (١٩٧) ((معجم الأدباء)) ٥/ ٣٦.

(٣) ((وفيات الأعيان)) ١/ ١٠٠.

المطلب الثاني: مميزات تفسير ((الكشف والبيان)):

تميز هذا التفسير بمزايا عظيمة، وأتسم بسمات جليلة، جعلت العلماء يثنون عليه، ويستفيدون منه.

ومن أهم مزايا هذا التفسير ما يلي^(١):

- ١ - اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن، وذلك أحسن الطرق لتفسير كتاب الله تعالى.
- ٢ - اعتماده على تفسير القرآن بالسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وهي مبيّنة للقرآن وموضحة له.

وقد حوى هذا التفسير عدد كبيراً من أحاديث التفسير.

- ٣ - احتواء هذا التفسير على جملة كبيرة من أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين هم أدرى الأمة بتفسير كتابها بعد رسول الله ﷺ والذين أخذوا التفسير من في رسول الله ﷺ.
- ٤ - احتواء هذا التفسير على عددٍ وافر جداً من أقوال التابعين رحمهم الله الذين تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم.

حيث روى الثعلبي تفاسير هؤلاء التابعين بإسناده إلى أصحابها في مقدمة كتابه، وفي ثنايا تفسيره أيضاً.

- ٥ - احتوائه على أقوال أتباع التابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير. وهذا الكم الهائل من مآثور أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم، يُعتبر من أبرز ما تميّز به هذا التفسير عن غيره من التفاسير، حيث جمع فأوعى، حتى غدا موسوعة في مآثور التفسير، قلما تجد كل ما فيه من الأقوال عند غيره. ولذا أكثر ما اعتمد عليه من جاء بعده في هذا الباب.

- ٦ - احتواء هذا التفسير على عدد كبير جداً من القراءات القرآنية، التي قلما توجد بهذا الكم في تفسير آخر. حتى اعتمد عليه كثير من المفسرين الذين جاؤا بعده.

- ٧ - ومن أعظم ما يميّز تفسير ((الكشف والبيان)): أنه من كتب الرواية بالإسناد. حيث يروي مؤلفه الثعلبي المرويات بإسناده الخاص به عن شيوخه إلى منتهاه. ولا يقتصر في روايته على الأحاديث، بل يروي أقوال الصحابة، وأقوال التابعين، ومن بعدهم، حتى إنه يروي أقوال بعض المفسرين، بل يروي أيضاً بإسناده بعض الشواهد الشعرية.

وهذه ميزة لم يشاركه فيها إلا قليل من المفسرين، وأكثر هؤلاء لا تجد الرواية عنده بمثل سعتها في ((الكشف والبيان)).

(١) تقدمت هذه المزايا بالتفصيل في المبحث السابق ((منهج المؤلف في كتابه)).

- ٨- يعتبر ((الكشف والبيان)) مرجعاً هاماً لمرويات أسباب النزول حيث ضم عدداً كبيراً جداً من هذه المرويات، مما جعل المؤلفين في هذا الفن يعتمدون عليه في ذلك. وأولهم تلميذه الواحدي، ومن بعده الحافظ ابن حجر، وغيرهما.
- ٩- احتواء هذا الكتاب على عدد كبير من علوم القرآن.
- ١٠- اعتماده على اللغة العربية في التفسير بكافة علومها، من نحو، وصرف، وبلاغة، وأدب، وشعر. ونقل أقوال علماء اللغة، والمسائل اللغوية، وأكثر من الاستشهاد بالشعر حتى ضم عدداً كبيراً من الشواهد الشعرية.
- ١١- عرضه للمسائل الفقهية، ونقله لمذاهب الفقهاء وأقوالهم، وأدلتهم.
- ١٢- ومن المزايا الهامة لهذا التفسير حفظه لكثير من الكتب المفقودة، وإثبات نسبتها، وروايتها بالإسناد إلى مؤلفيها. حتى أصبح هذا التفسير من مصادر توثيق هذه الكتب.
- ١٣- جمعه بين الرواية والدراية في التفسير، وجمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.
- ١٤- حسن أسلوب المؤلف وطريقته في تفسير الآية، وعرضه المنظم لما يتعلق بتفسير الآية من مسائل، وأقوال، وقراءات، وغيرها.
- ١٥- كثرة مصادر الكتاب، وأصالتها وتنوعها، مما كان له أكبر اثر في إثراء المادة العلمية للكتاب.
- ١٦- تقدمه على كثير من كتب التفاسير، واعتماد كثير ممن جاء بعده عليه، حيث استفاد منه علماء عصره كالواحدي، وامتد أثره على غالب التفاسير التي جاءت بعده بقرون، مما يؤكد أصالة هذا الكتاب وتميُّزه.



المطلب الثالث عناية العلماء واهتمامهم به، واستفادتهم منه

لقد كان لتفسير ((الكشف والبيان)) مكانة عظيمة، ومنزلة كبيرة، وكان شأنه عظيمًا عند العلماء، ولذلك اعتنوا به عناية فائقة، واهتموا به أيما اهتمام. فمنهم من رواه بإسناده إلى المؤلف، ومنهم من نقل منه، ومنهم من اختصره، ومنهم من وضع عليه حاشية، ومنهم من جمع بينه وبين غيره، ومنهم من نسخه، ومنهم من رحل لسماعه، بل إن منهم من حفظه.

وهذا يدل على أهمية هذا الكتاب، ويدل أيضًا على أن هذا التفسير كان له اثر كبير على من جاء بعده، وقد تمثل هذا الأثر في عناية العلماء به، واستفادتهم منه. ولو لم يدرك هؤلاء العلماء مكانة هذا التفسير ومنزلته الرفيعة، لما كان هذا الاهتمام، وتلك العناية، التي تمثلت فيما يلي:

١ - روايته:

لقد روى العلماء تفسير ((الكشف والبيان)) بالإسناد المتصل إلى مؤلفه أبي إسحاق الثعلبي. ومن هؤلاء: تلميذه الواحدي، والبعوي، وابن خير الإشبيلي، وابن الأثير، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم. وقد سبق تفصيل ذلك عند غثبات نسبة الكتاب لمؤلفه.

وهذه الرواية للتفسير تدل على عناية العلماء واهتمامهم به، وهذه العناية وذلك الاهتمام نابعان من إدراك أهمية الكتاب، وعلو مكانته.

٢ - اهتمام العلماء وعنايتهم به بالرواية عنه، والنقل والاقتباس منه:

لقد كان لهذا التفسير أثر عظيم على من جاء بعده، ذلك أن قيمة تفسير ((الكشف والبيان)) العلمية، ومنزلته العالية، ومكانته الرفيعة، وما حواه من معارف مختلفة، وعلوم متنوعة، إضافة إلى تقدم زمنه جعل هذا التفسير منهلاً عذباً، وموردًا غنيًا، يردُّه من جاء بعده من العلماء والمؤلفين، وينهلون من معينه.

تارةً عن طريق الرواية عن مؤلفه، وأحيانًا كثيرةً بالنقل والاقتباس منه. حتى أصبح هذا التفسير مصدرًا رئيسًا لكثير من المؤلفات التي جاءت بعده.

ولم تكن الاستفادة من هذا السفر المبارك مقصورة على المفسرين، بل استفاد منه غيرهم من أصحاب العلوم الأخرى.

وهذا دليل على شمول هذا التفسير وكثرة علومه ومعارفه.

ولا يسعني في هذا المقام أن أحصي كل من نقل عن هذا التفسير، أو اقتبس أو استفاد منه، إذ أن هذا باب واسع جداً. ولكن حسبي أن أذكر نماذج من ذلك، مما استطعت الوقوف عليه:

فمن العلماء الذين نقلوا من تفسير ((الكشف والبيان)) واستفادوا منه:

أ- الإمام أبو الحسن الواحدي (ت ٤٦٨) تلميذ المؤلف:

اعتمد الواحدي على تفسير شيخه ((الكشف والبيان)) اعتماداً كبيراً، واستفاد منه في مصنفاته الثلاثة في التفسير ((البيسط)) و ((الوسيط)) و ((الوجيز))^(١)، وفي أسباب النزول.

وتتمثل هذه الاستفادة في جانبين:

- الرواية بالإسناد عن الثعلبي.

- النقل من تفسيره.

أما الرواية فنجد أن الواحدي يروي عدداً كبيراً من الروايات عن شيخه الثعلبي بسنده.

وذلك في ((البيسط)) و ((الوسيط)) و ((أسباب النزول))^(٢) وتشمل نقول الواحدي عن

الثعلبي: أقوال السلف في التفسير، كأقوال ابن عباس رضي الله عنه^(٣)، ومجاهد^(٤)، وقتادة^(٥)، والحسن

البصري^(٦)، ومحمد بن كعب القرظي^(٧)، والربيع بن أنس^(٨)، والضحاك^(٩)، وأبي روق^(١٠)،

ومقاتل^(١١)، والكلبي^(١٢)، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

(١) أكبر هذه التفاسير ((البيسط)) يليه ((الوسيط)) ثم ((الوجيز)) وذلك ظاهر من عناوينها، وهي متسلسلة في تأليفها على هذا النحو. و((البيسط)) ركز فيه الواحدي على الجوانب اللغوية في التفسير، بينما توسط في هذا الجانب في ((الوسيط)) إلا أنه زاد في جانب الرواية. أما الوجيز فهو تفسير موجز جداً، ليس فيه أسانيد، ولا توسع في مسائل اللغة و((البيسط)) حقق قسم كبير منه في رسائل في جامعة الإمام، والآخرون مطبوعان.

(٢) انظر على سبيل المثال: ((البيسط)) ٢٠/١ - ٢١٩ ((الوسيط)) ١/٣٩٦، ٢/٦٠٨، ٣/٣٠٢، ٤/٤٨٣،

((أسباب النزول)) (١، ٣، ٥، ٧، ١٣، ١٥، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٦، ١٦٣، ١٧٦، ٣٢٩، ٣٣٦، ٦٤٨، ٨٤٨.

(٣) انظر على سبيل المثال: ((البيسط)) ١/٢٧٠، ٢/١٠٧٩، ((الوسيط)) ١/٧٦، ٢٥٣.

(٤) ((البيسط)) ٢/٦١٨، ((الوسيط)) ١/٢١٢.

(٥) ((الوسيط)) ١/١٩٧.

(٦) المصدر السابق ١/٨٧.

(٧) ((البيسط)) ٢/٦١٨.

(٨) المصدر السابق ٢/١٠٧٩.

(٩) المصدر نفسه ٢/٤٧٨.

(١٠) نفس المصدر ٢/٩٥٧.

(١١) المصدر نفسه ٢/٩٩٢.

(١٢) المصدر نفسه ٢/١٠٨٧.

ولم تقتصر نقول الواحدي عن شيخه على ما سبق من مرويات، بل كان ينقل عنه تفسيره للآيات، وقوله في ذلك، حتى في المسائل اللغوية والنحوية. وعلى الرغم من كثرة هذه النقول، إلا أن الواحدي نادرًا ما ينسبها لشيخه، رغم أنها بنصّها في ((الكشف والبيان))^(١).

وأما جانب النقل من ((الكشف والبيان)) والاقتباس منه، فكثير جدًا في كتب الواحدي. ب- الإمام البغوي (ت ٥١٦) في تفسيره ((معالم التنزيل)): وهو اختصار لـ ((الكشف والبيان)) كما سيأتي.

وقد روى البغوي معظم مرويات الثعلبي في ((الكشف والبيان)) عن طريق تلميذه أبي سعيد الشَّريحي الخوارزمي، كما نصَّ البغوي على ذلك في مقدمة تفسيره، وروى في هذه المقدمة تلك الأسانيد^(٢). وقد سبق بيان ذلك عند الكلام حول إثبات الكتاب لمؤلفه.

ج- أبو حيان في ((البحر المحيط)):

يُعتبر كتاب ((الكشف والبيان)) من أوسع كتب التفسير إن لم يكن أوسعها في نقل أقوال المفسرين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم.

ولقد عرف أبو حيان الأندلسي هذه الميزة للكتاب، فقام بالاعتماد على ((الكشف والبيان)) في ذكر أقوال المفسرين في الآية، في كتابه ((البحر المحيط)).

ومن خلال تحقيق لجزء من ((الكشف والبيان)) تبين لي أن أبا حيان هو أكثر المفسرين نقلًا عن الثعلبي لأقوال المفسرين. حتى إنه في هذا فاق البغوي الذي يعتبر تفسيره مختصرًا للكشف والبيان.

وهذا الاستيعاب من أبي حيان لتلك النقول لا يوجد بهذه الصورة في تفسير آخر حسب بحثي.

ومن الأمثلة على ذلك:

أقوال أئمة السلف من المفسرين في المراد بـ (العالمين) في قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(٣).

(١) انظر على سبيل المثال: ((البيضاوي)) ٣٢٤/٢، ٥٠٦، ٥٦٦، ٧٣٩، ٨٦٤، ٨٩٩، ٩٤٥، ٩٦٥، ٩٨٨، ١٠٥٤،

١٠٥٥، ١٠٧٩، ((الوسيط)) ٦٨/١، ٧٠، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٨، ٢٦٠، ٣٢٥.

وانظر: ((البيضاوي)) قسم الدراسة ٣٤/١.

(٢) ((تفسير البغوي)) ٢٨/١.

(٣) سورة الفاتحة: (٢). ((البحر المحيط)) ١٣٠/١.

الأقوال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾^(١).
 الأقوال في قوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾^(٢) في قوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.
 وفي المراد بـ ﴿السُّلَى﴾^(٣).
 والأقوال في ﴿الْقَرْيَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾^(٤).
 وفي ﴿الْحَجَرِ﴾ في قوله عز وجل ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾^(٥).
 وفي ﴿الصَّابِئِينَ﴾^(٦).
 وفي قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾^(٧).
 وفي (الكلمات) في قوله سبحانه ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(٨).
 وفي قوله تعالى ﴿فَأْتَمَهْنَ﴾^(٩).
 وفي قوله جل وعلا ﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٠).
 وفي قوله سبحانه ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾^(١١).
 وفي معنى الحنيف في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(١٢).
 والأقوال في معنى الإخلاص^(١٣).
 وفي ﴿خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾^(١٤).
 والإمام أبو حيان لا يصرح بنسبة هذه المنقولات إلى الثعلبي إلا في أحيان قليلة.

(١) سورة البقرة: (١). ((البحر)) ١/ ١٥٦.

(٢) البقرة: (٢٥). ((البحر)) ١/ ٢٦٠.

(٣) البقرة: (٥٦). ((البحر)) ١/ ٣٧٤.

(٤) البقرة: ٥٨. ((البحر)) ١/ ٣٨٢.

(٥) البقرة: ٦٠. ((البحر)) ١/ ٣٨٩.

(٦) سورة البقرة: ٦٢. ((البحر)) ١/ ٤٠٢.

(٧) البقرة: (١١٢). ((البحر)) ١/ ٥٢١.

(٨) البقرة: (١٢٤). ((البحر)) ١/ ٥٤٦.

(٩) البقرة: (١٢٤). ((البحر)) ١/ ٥٤٧.

(١٠) البقرة: (١٢٥). ((البحر)) (٥٥٣).

(١١) البقرة: (١٣٠). ((البحر)) ١/ ٥٦٥.

(١٢) البقرة: (١٣٥). ((البحر)) ١/ ٥٧٨.

(١٣) البقرة: (١٣٩). ((البحر)) ١/ ٥٨٦.

(١٤) البقرة: (١٦٨). ((البحر)) ١/ ٦٥٤.

ومنها قوله عند تفسير قوله سبحانه: ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾^(١)، قال: وذكر الثعلبي أن ارتفاع الجبل فوق رؤوسهم كان مقدار قامة الرجل^(٢).

ولم يقتصر أبو حيان في نقله على أقوال المفسرين، بل كان ينقل عنه أيضًا القراءات، وغيرها.
د- الإمام أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١) في تفسيره ((الجامع لأحكام القرآن)): وهو من المكثرين أيضًا في النقل عن الثعلبي. ويعتبر ((الكشف والبيان)) من أكثر المصادر التي اعتمد عليها القرطبي في تفسيره^(٣).

هـ- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) في كتابيه: ((الدر المنثور في التفسير بالمأثور))^(٤)، و((لباب النقول في أسباب النزول))^(٥).

حيث يعتبر الكشف والبيان من المصادر الأساسية التي بُني عليها هذان الكتابان. ويصرّح السيوطي بنسبة ما يذكره من المرويات عن الثعلبي إليه.

و- جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢) في كتابه ((تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف)) للزمخشري^(٦).

حيث اعتمد الزيلعي في مواضع كثيرة من كتابه على الثعلبي في تخريج الأحاديث والآثار التي ذكرها الزمخشري في ((تفسيره)) وبعض هذه الأحاديث والآثار لم يعزها إلا إلى الثعلبي. وهذا فيه دليل أيضًا على أن الزمخشري في ((كشافه)) قد اعتمد على تفسير ((الكشف والبيان)).
ز- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٧٧٣) في كتابه ((العُجّاج في بيان الأسباب))^(٧).

وقد اعتمد ابن حجر في كتابه هذا على الواحدي في ((أسباب النزول))، ثم ظهر له أن الواحدي اعتمد على شيخه الثعلبي، وبما أن تفسير الثعلبي تحت يده فقد بدأ يرجع عليه مباشرة، وكذلك في مصادره الأخرى. وذلك بدءًا من الآية (٢١٥) من سورة البقرة.

(١) البقرة: (٦٣).

(٢) ((البحر)) ٤٠٦/١.

(٣) انظر على سبيل المثال: ((تفسير القرطبي)) ١/١٠٧، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٩، ١٨٦، ١٩٣، ٢١٣.

(٤) ((الدر المنثور)) ١/١٠، ١٢، ١٥، ٢١، ٢٣، ٢٦، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٧٨.

(٥) ((لباب النقول)) (ص ٩، ١٢، ٢٥، ٣٠).

(٦) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في ((تفسير الكشاف)) ١/٢٥، ٢٧، ٣٠، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٩٩، ١١٣، ١١٩.

(٧) انظر على سبيل المثال ١/٢٣٤، ٣٣٣، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٨.

وقد نقل ابن حجر في تفسير ((الكشف والبيان)) (١٢٩) مرّة، منها (٥٥) مرّة في البقرة، و (٥٣) في آل عمران، و (٢١) في النساء^(١).

ح- ابن جزى الكلبي (ت ٧٤١هـ) في تفسيره ((التسهيل لعلوم التنزيل))^(٢).

ي- عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١) في كتابه ((الفتح الساوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البضاوي))^(٣).

ط- الشوكاني (ت ١١٢٥هـ) في تفسيره ((فتح القدير))^(٤).

وثمة مفسرون آخرون لم يصرّحوا بنقلهم عن الثعلبي، ولكن المتأمل في كتبهم والمطلّع على الكشف والبيان يدرك أنهم استفادوا من تفسير الثعلبي، سواء فيما يتعلق بالمأثور من أحاديث، وآثار، أو في مسائل أخرى، من تفسير الثعلبي، للآيات، وطرحه للمسائل اللغوية، ونحوها. ولكن المقام لا يتسع لذكر كل من نقل عن الثعلبي واستفاد منه، وحسبنا ما ذكرناه برهاناً واضحاً على أهمية هذا الكتاب.

لم تكن الاستفادة من ((الكشف والبيان)) مقتصرةً على المؤلفين في التفسير وعلوم القرآن. بل إنَّ هذا التفسير نهل منه، واستفاد من علومه ومعارفه الذين ألفوا في غير التفسير وعلوم القرآن، حتى كان مصدراً هاماً لكتب الأحاديث وشرحها، وكتب التخريج، وكتب التراجم، وكتب التعريف بالأماكن والبلدان، وكتب الزهد والوعظ، وغيرها.

ومن هذه المؤلفات:

- ١- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر^(٥).
- ٢- التوضيح لشرح الجامع الصحيح: لابن الملقن^(٦).
- ٣- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العيني^(٧).
- ٤- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: للسيوطي^(٨).

(١) العُجاب مقدمة المحقّق ١/ ١٣٢، ١٤٨.

(٢) ١/ ١٠٦، ١١٩، ١٣٠، ١٧٧، ١٩٥.

(٣) ١٤/ ١.

(٤) (ص ٧٩٠).

(٥) ١٠/ ٥٣٨.

(٦) ص (١٥١، ١٩٢، ٢٨٤) وغيرها.

(٧) ١٦/ ١١١، ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٢.

(٨) (ص ٨٥).

- ٥- نصب الراية لأحاديث الهداية: للزيلي^(١).
- ٦- التلخيص الحبير: لابن حجر^(٢).
- ٧- الإصابة في أسماء الصحابة: لابن حجر^(٣).
- ٨- لسان الميزان: لابن حجر أيضًا^(٤).
- ٩- الأنساب: للسماعي^(٥).
- ١٠- معجم البلدان: لياقوت الحموي^(٦).
- ١١- التوأمين: لابن قدامة^(٧).
- ١٢- شرح شواهد المغني: للسيوطي^(٨).
- ٣- العناية به باختصاره:
- من الدلائل الظاهرة على اهتمام العلماء بتفسير ((الكشف والبيان)) عنايتهم به عن طريق اختصاره وتهذيبه.
- وقد قام بذلك جماعة من العلماء، منهم:
- أ- الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦) في تفسيره المسمى ((معالم التنزيل)).
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي))^(٩).
- وقد ذكر البغوي في مقدمة تفسيره أن ما نقل فيه من التفسير عن ابن عباس، وأئمة السلف فأكثره مما رواه عن أبي سعيد الشريحي تلميذ الثعلبي عن شيخه الثعلبي^(١٠).
- ومن يقارن بين التفسيرين ولو في بعض النصوص يدرك تمامًا أن تفسير البغوي مختصر للكشف والبيان للثعلبي. ويجد عبارة الثعلبي بنصها موجودة في تفسير البغوي. وليس ذلك مقتصرًا على أقوال ابن عباس عليه السلام - وأئمة السلف - كما ذكر البغوي في مقدمته. بل يشمل أيضًا
-
- (١) ٨٥/٣.
- (٢) ٤٠/٤، ١٨٣/٣.
- (٣) ٢١٩/١.
- (٤) ٢٢١/٦.
- (٥) ٤٣/٤.
- (٦) ٣/٤.
- (٧) (ص ٢٧٣).
- (٨) ٨٣٩/٢.
- (٩) ((مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)) ١٣/٣٥٤، ومقدمة في أصول التفسير له أيضًا (ص ٦٦).
- (١٠) ((تفسير البغوي)) ٢٨/١.

تفسير الثعلبي نفسه لمفردات الآية، ومعانيها، وغير ذلك. إلا أنه رغم ذلك نجد بعض الفروق بين التفسيرين، أوجزها فيما يلي:

- ١- حذف البغوي بعض المصادر التي ذكرها الثعلبي في مقدمة تفسيره.
- ٢- اختار البغوي طرقاً وأسانيد في تلقّي القراءات، غير التي ذكرها الثعلبي في مقدمته.
- ٣- أورد البغوي في فضائل القرآن أحاديث أخرى مما لم يورده الثعلبي.
- ٤- ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن البغوي صان تفسيره من الموضوعات، والبدع. حيث سئل ابن تيمية عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة، الزمخشري، أم القرطبي، أم البغوي، أم غير هؤلاء؟ فأجاب قدّس الله روحه: وأما التفاسير المسئول عنها، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف الأحاديث الموضوعية، والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك^(١).
- ويقول كذلك: والبغوي مختصر من تفسير الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة^(٢).
- ولكنّ السؤال الذي يرد في هذا المقام هو: هل صان البغوي فعلاً كتابه عن كل حديث موضوع، ورأي مبتدع؟
- والجواب أن البغوي حاول في مواطن كثيرة نبذ الأحاديث الموضوعية والمنكرة في تفسيره. ومن أهمها ما كان يرويه الثعلبي من فضائل السور في مقدمة كل سورة.
- كما حذف أيضاً كثيراً من الأحاديث التي وردت في تفسير الثعلبي من أخبار الشيعة، عند آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٣) وآية ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٤) وهذا عمل ممدوح مشكور.
- أما جانب الإسرائيليات فالثعلبي والبغوي يتفقان في سردها بين مقل ومستكثر^(٥).
- فقد اشتمل تفسير البغوي على نقول كثيرة من الإسرائيليات^(٦).
- مثل الإسرائيليات الواردة في قصة هاروت وماروت^(٧).

(١) ((مجموع الفتاوى)) ١٣/٦٨.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) ١٣/٣٥٤ وانظر: ((مقدمة في أصول التفسير)) (ص ٦٦).

(٣) سورة المائدة: (٥٥).

(٤) الأحزاب: (٣٣).

(٥) ((الثعلبي ودراسة كتابه)) ٢/٧٥٢، ٧٥٣.

(٦) البغوي ومنهجه في ((التفسير)) (ص ١٠٩).

(٧) ((تفسير البغوي)) ١/١٠٠، ١٠١.

والأخبار التي تتحدث عن قصة أصحاب الكهف^(١).

ومن الأخبار الموضوعية ما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون﴾^(٢). قال البغوي: أراد به علي بن أبي طالب ﷺ مرَّ به سائل وهو راکع في المسجد فأعطاه خاتمه^(٣).

وقد قرَّر ابن تيمية أن الحديث ((موضوع باتفاق أهل العلم))^(٤).

ولذلك قال الدكتور: محمد أبو شهبة رحمه الله معلقاً على قول ابن تيمية أن البغوي صان تفسيره من الموضوعات والبدع: أما صيانتها عن الآراء المبتدعة فمسلَّم، أما أنه صانه عن الأحاديث الموضوعية فإن أراد الحديث الطويل الموضوع في فضائل سورة فمُسلَّم، وإن أراد غير ذلك فلسْتُ موافقاً لشيخ الإسلام، لأنه ذكر في كتابه الموضوعات والإسرائيليات بكثرة، اللهم إلا أن يُقال: إنَّه أقلُّ من تفسير الثعلبي في الموضوعات والإسرائيليات^(٥).

والإمام البغوي كان في تفسيره مع ركب المفسرين في إيراد الإسرائيليات، والأحاديث غير الصحيحة، ولم يسلك مسلك المحدثين في هذا، رغم أنه كان من علماء الحديث البارزين. وهو في هذا يتبع أصل كتابه تفسير ((الكشف والبيان)) الذي اعتمده أصلاً له، وتناوله بالاختصار والتهذيب، وبالإضافة.

والحاصل أن البغوي باختصاره لتفسير الثعلبي قد أبان عن أهمية هذا التفسير الذي اتخذه أصلاً له. وهو - أعني البغوي - وإن حاول التعديل نوعاً ما في ((الكشف والبيان)) إلا أنه مع ذلك تبقى معظم مادة تفسير البغوي إنما هي من تفسير الثعلبي ((الكشف والبيان))، وهو برهان واضح على أهمية ((الكشف والبيان)) وقيمتها العلمية العالية.

ب- ولم يكن الإمام البغوي هو الوحيد الذي قام باختصار ((الكشف والبيان)) بل قام غيره أيضاً بهذا العمل، حيث اختصره: ابن أبي رندقة محمد بن الوليد بن محمد القرشي الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) بعنوان ((مختصر الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي)).

وقد رواه ابن خير الإشبيلي في ((فهرست ما رواه عن شيوخه، حيث رواه عن شيخه ابن العربي))^(٦).

(١) نفس المصدر ١٤٥/٣.

(٢) سورة المائدة: (٥٥).

(٣) ((تفسير البغوي)) ٤٧/٢.

(٤) ((مقدمة في أوصل التفسير)) (ص ٦٧، ٦٨).

(٥) ((الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)) (ص ١٢٨).

(٦) ((فهرست ابن خير)) (ص ٥٣).

وهذا المختصر يوجد مخطوطاً^(١).

ج- واختصره كذلك أبو محمد بهزاد بن علي، بعنوان ((مختصر تفسير الثعلبي)). وهو مخطوط أيضاً^(٢).

د- وله أيضاً مختصر بعنوان ((مختصر الكشف والبيان في تفسير القرآن)) وهو مخطوط. ومؤلفه مجهول^(٣).

٤- العناية والاهتمام به بوضع الحواشي عليه:

حيث وضع عبد القادر بن أبي القاسم بن عبد الله الحسيني العراقي (ت ١٢٨٨ هـ) حاشيةً عليه بعنوان ((حاشية على الكشف والبيان الثعلبي)). وهذه الحاشية موجودة مخطوطة^(٤).

٥- الاعتناء به بالجمع بينه وبين غيره:

لم تقف جهود العلماء في الاهتمام بهذا الكتاب عند روايته أو النقل عنه، أو اختصاره، أو نحو ذلك، بل تعدى اهتمامهم به إلى الجمع بينه وبين غيره من الكتب كما فعل أبو السعادات ابن الأثير في كتابه ((الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف))، أخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري، كما قال ابن خلكان^(٥).

٦- الرحلة لسماع هذا التفسير:

أهمية كتاب ((الكشف والبيان)) وقيمه العلمية، دعت العلماء إلى أن يرحلوا غليه لسماعه. ومن هؤلاء الإمام أبو سعد السمعاني، ورفيقه أبو الحسن المرادي اللذان رحلا لسماع هذا التفسير. حيث يقول السمعاني في ((أنسابه)) عند ترجمة صاحبه وصديقه أبي الحسن المرادي: وخرجنا صُحبةً واحدةً إلى نوقان طوس، لسماع كتاب التفسير لأبي إسحاق الثعالبي^(٦).

٧- العناية به بحفظه:

بلغت عناية العلماء بهذا التفسير إلى حدِّ حفظه. كما حصل من أبي محمد محمد بن عباس الخوارزمي العباسي فقد ذكره السبكي في ((طبقات الشافعية)) وذكر أن ولده ذكر في كتابه

(١) ((تاريخ الأدب العربي لبروكلمان)) ١/ ٥٩٢ ((الفهرس الشامل)) ١/ ١٥٠.

(٢) ((الفهرس الشامل)) ٢/ ٨٤٤.

(٣) نفس المصدر ١/ ٨٨.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٨١٥.

(٥) (وفيات الأعيان) ٤/ ٧. وانظر: ((أبجد العلوم)) ٣/ ١٢.

(٦) ((الأنساب)) ٤/ ٣٦٩، و((سير أعلام النبلاء)) ٢٠/ ١٨٨.

((تاريخ خوارزم)) أن أباه كان يحفظ ((تفسير الثعلبي)) حيث قال:
وحفظ تفسير الثعلبي جميعه، فكان إذا سُئل في مجلسه عن عشر آيات، في مواضع متفاوتة،
ذكر تفسيرها باختلاف أقوال المفسرين، من خير غلط ولا خطأ.
وكان الخوارزمي حافظاً، يحفظ كتباً أخرى ويستحضرها ويستظهرها، كما ذكر ذلك ابنه
عنه^(١).

٨- كثرة نسخ الكتاب:

من الدلالات الواضحة على أهمية هذا التفسير، والاهتمام الكبير به من قبل العلماء وطلاب
العلم: كثرة النسخ الخطية لهذا الكتاب. فقلما تجد مكتبة من المكتبات، أو خزانة من خزائن
المخطوطات تخلو من نسخة خطية لهذا التفسير، أو لجزء منه.
يدرك ذلك كل من نظر في فهرس المخطوطات، واطلع على ذلك الكم الهائل من مخطوطات
الكتاب^(٢).

الأمر الذي يدل على أهمية هذا الكتاب، واهتمام أهل العلم به.



(١) ((طبقات الشافعية الكبرى)) ٦/ ١٠٧، ١٠٨.

(٢) ((الفهرس الشامل)) ١/ ٨٣ وما بعدها. حيث استوعب عددًا كبيرًا من نسخ الكتاب الخطية.

المطلب الرابع المآخذ على تفسير ((الكشف والبيان)) ومناقشتها

وبعد أن بيّنت أهمية تفسير ((الكشف والبيان)) ومكانته وقيّمته العلميّة، أختتم هذا المبحث بذكر بعض المآخذ التي أخذت على هذا التفسير، مما لمستّه أثناء تحقيقي لجزء من هذا الكتاب، أو مما قاله عنه العلماء، وما ثلّبه به من مثالب، وسأعرض ذلك كلّ على بساط البحث والمناقضة. لنتبّن بعد ذلك ما قيل فيه من حقّ فيقبل، وما قيل فيه من خطأ فنردّه، ونبرئ ساحة الثعلبي منه.

١ - روايته للأحاديث الموضوعة والواهية

وقد سجّل العلماء هذا المآخذ على الثعلبي ونقدوه فيه ومن هؤلاء ابن الجوزي حيث يقول رحمه الله عن ((الكشف والبيان)): ليس فيه ما يُعاب به إلا ما ضمّنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية، خصوصاً في أوائل السور^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو من أوسع من تكلم في الثعلبي وتفسيره: لقد أجمع أهل العلم بالحديث أنّه (أي الثعلبي) روى طائفة من الأحاديث الموضوعة، كالحديث الذي يرويه في أول كل سورة، وأمثال ذلك، ولهذا يقال: هو كحاطب ليل^(٢).

ويقول رحمه الله: والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع^(٣).

ويقول الكتّاني في ((الرسالة المستطرفة)) عند الكلام عن الواحدي تلميذ الثعلبي: ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيرهما وخصوصاً الثعلبي أحاديث موضوعة وقصص باطلة^(٤).

ولا شكّ أن الثعلبي رحمه الله عليه قد أخطأ في رواية هذه الموضوعات التي ذكرها في فضائل السور وفي غيرها من الروايات الأخرى.

ولقد أساء بروايتها إلى تفسيره. لاسيما تلك الموضوعات التي رواها وهي من الأحاديث التي وضعها الشيعة على علي عليه السلام.

ولذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية أكثر من ذكر الثعلبي وتفسيره في كتابه العظيم ((منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية))، والذي كان ردّاً على الرافضي يوسف بن مطهر

(١) نقله عنه ابن تغري بردي في ((النجوم الزاهرة)) ٤ / ٢٨٣.

(٢) ((منهاج السنة النبوية)) ٤ / ٤. وانظر أيضاً نفس الكتاب ٤ / ٨٢.

(٣) ((مجموع الفتاوى)) ١٣ / ٣٥٤.

(٤) ((الرسالة المستطرفة)) (ص ٦٩).

الحلِّي في كتابه ((منهاج الكرامة))، وذلك لأنَّ الرافضي كان يعتمد في كتابه على ما يذكره ويرويه الثعلبي في ((الكشف والبيان))، ممَّا جعل شيخ الإسلام ينبِّه على ذلك، منوِّهاً بتفسير الثعلبي، مبيِّناً ماله وما يؤخذ عليه حتى لا يغترَّ غرُّ بما يقوله ذلك الرافضي.

ومما قاله شيخ الإسلام في هذا: وقد أجمع أهل العلم بالحديث على أنَّه لا يجوز الاستدلال بمجرَّد خبر يرويه الواحد من جنس الثعلبي، والنقَّاش، والواحدي، وأمثال هؤلاء المفسرين، لكثرة ما يروونه من الحديث، ويكون ضعيفاً، بل موضوعاً^(١).

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي عن الثعلبي: اغترَّ بكثير من الأحاديث الموضوعة على ألسنة الشيعة فسوّد بها كتابه دون أن يشير على وضعها واختلافها، وفي هذا ما يدل على أنَّ الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها^(٢).

ويمكن الاعتذار للثعلبي وتخفيف التبعة عليه في ذلك بأن يقال: إنَّ المسلك الذي سلكه قد سلكه غيره من المفسرين، بل والمحدثين أيضاً، وهم يعتقدون أنهم عندما يروون المرويات بما فيها الموضوعات بالسند تكون عهدهم قد برئت من باب: أنَّ من أسند لك فقد أحالك، ومن حَمَل إليك فقد حَمَلَكَ مؤنه البحث عنه، والحكم عليه.

فها هو الإمام الحافظ الجليل أبو القاسم الطبراني صاحب ((المعاجم)) وغيرها يُعاب بنحو ما عيب به أبو إسحاق الثعلبي، فينبري الحافظ ابن حجر للدفاع عنه، مبيِّناً هذا الأمر حيث يقول في معرض كلامه عن الطبراني: وقد عاب عليه إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي جمعه لأحاديث بالأفراد مع ما فيها من النكارة الشديدة، والموضوعات، وفي بعضها القدح في كثير من القدماء من الصحابة وغيرهم، وهذا أمر لا يختص به الطبراني، فلا معنى لإفراده اليوم، بل أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلمَّ جرَّاً إذا ساقوا الحديث بإسناده اعتقدوا أنهم برؤوا من عهده، والله أعلم^(٣).

وإذا كان هذا بالمحدثين الذين يفتشون في الأسانيد، ويميزون بين الثقات والضعفاء، والصحيح والسقيم، فكيف بالمفسرين الذين هم أقل منهم في هذا الشأن؟!

ويتكلَّم الحافظ العراقي عن حديث أبي الموضع في ((فضائل السور)) وهو من أكثر وأشهر ما عيب على الثعلبي اعتماده فيقول: وكل من أودع حديث أبي المذكور تفسيره كالواحد والثلثي والرخشي مخطئ في ذلك، لكن من أبرز إسناده منهم كالثعلبي والواحدي فهو

(١) ((منهاج السنة)) ٤/ ٤.

(٢) ((التفسير والمفسرون)) ١/ ٢٣٣.

(٣) ((لسان الميزان)) ٣/ ٧٥.

أبسط لعذره إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده، وإن كان لا يجوز له السكوت عليه من غير بيانه^(١).

وقفة:

نسب بعض العلماء رواية الثعلبي للموضوعات والأحاديث الواهيات إلى عدم تمييزه بين الصحيح والسقيم. ومن هؤلاء أبو الفرج بن الجوزي حيث قال عند كلامه على حديث أبي الموضوع في فضائل القرآن: وقد فرّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره.. وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنها ليسا من أصحاب الحديث^(٢).

والحقيقة أنّ الثعلبي رحمه الله كان حافظاً راوياً للأسانيد، وكان يروي بإسناده الأحاديث والآثار والأقوال، حتى الأشعار. ولكن يصعب القول بأنّ أبا إسحاق كان من الذين يكثر من نقد الأسانيد، والتفتيش عن حال رواتها، وكان له قدم راسخة في هذا الشأن.

لكنّ ذلك لا يعني جهل الثعلبي بهذا الفن، ولا يعني ذلك عدم تمييزه بين الصحيح والسقيم، إذ أنّ ذلك لا يمكن أن يتأتى مع ما نراه في تفسيره في بعض المواضع من نقده لبعض الرواة، وتضعيفه لبعض الأحاديث.

مثل نقده لحديث عبد الله بن شداد بن الهاد عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: من صلى خلف إمام كانت قراءة الإمام له قراءة.

وحديث جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً قال: من كان له إمام فقراءته له قراءة.

قال أبو إسحاق: فأماً حديث عبد الله بن شداد: فهو مرسل رواه شعبة والثوري وزائدة وابن عيينة وأبو عوانة وإسرائيل وقيس وجريز وأبو الأحوص مرسلًا، والمرسل لا تقوم به حجة، والوليد بن حماد وأبو الحسن (من رواية الحديث) لا يُدرى من هما.

وأما خبر جابر الجعفي فإنّه ساقط، قال زائدة: جابر كذاب. وقال أبو حنيفة ما رأيت أكذب من جابر. وقال ابن عيينة: كان جابر يؤمن بالرجعة. وقال شعبة: قال لي جابر: دخلت إلى محمد بن علي فسقاني شربة حفظتُ عشرين ألف حديث. ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه.

(١) ((التبصرة والتذكرة)) ١/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) ((الموضوعات الكبرى)) ١/ ٢٤٠.

وهكذا نرى أنَّ الثعلبي له مشاركة في نقد المرويات. ولذلك يصعب علينا القول بأنه لا يميّز بين الصحيح والسقيم. ويرجّح القول بأنّ ذكره للموضوعات ونحوها إنما هو اعتماد على روايته لها بالإسناد، وقد حصل هذا لمحدّثين أمثال الطبراني كما سبق والله أعلم.

٢- توسّعه في ذكر الإسرائيليات:

من المشهور عن الثعلبي أنّه يُكثر في تفسيره ((الكشف والبيان)) من الإسرائيليات^(١)، وهي من سمات هذا التفسير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الثعلبي والواحي وأمثالهما، هؤلاء من عادتهم يروون ما رواه غيرهم، وكثير من ذلك لا يعرفون: هل هو صحيح، أم ضعيف، ويروون من الأحاديث الإسرائيليات ما يعلم غيرهم أنّه باطل في نفس الأمر، لأنّ وظيفتهم النّقل لما نُقل، أو حكاية أقوال الناس، وإن كان كثير من هذا وهذا باطلاً، وربّما تكلموا على صحة بعض المنقولات وضعفها، ولكن لا يتردّدون هذا ولا يلتزمون^(٢).

والثعلبي بالفعل أكثر من الإسرائيليات في تفسيره، وتوسّع في هذا الباب، ولعل مرّد ذلك إلى أن الثعلبي بالإضافة إلى أنّه مفسّر كان أخبارياً مؤرّخاً، يدل على ذلك كتابه في قصص الأنبياء المسمّى ((عرائس المجالس))، فقد حوى هذا الكتاب الكثير من الإسرائيليات في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأحوال الأمم السابقة.

يقول الدكتور الذهبي: ثم إنَّ هناك ناحية أخرى يمتاز بها هذا التفسير، هي التوسع إلى حد كبير في ذكر الإسرائيليات، بدون أن يتعقّب شيئاً من ذلك أو ينبّه على ما فيه رغم استبعاده وغرابته، وقد قرأت فيه قصصاً إسرائيلياً نهاية في الغرابة^(٣).

والحقيقة أنّ الثعلبي بصنيعة هذا لم ينفرد أو يشذ عن ركب المفسرين، إذ لم يخل كتاب من كتب التفسير من الإسرائيليات كما سبق عند الكلام عن ذلك في منهج المؤلف وعلى رأس هؤلاء الإمامان أبو جعفر الطبري، وابن أبي حاتم، وهما الإمامان الناقدان البصريان بالصحيح والسقيم.

وكثير من الإسرائيليات التي ذكرها الثعلبي قد ذكرها قبله ابن جرير الطبري وغيره^(٤).

(١) تنويه للقارئ الكريم: عند مطالعة الإسرائيليات في ((الكشف والبيان)) قد تجد المحقق يحكم عليها بالصحة، والحكم للإسناد وليس المتن..

(٢) ((منهاج السنة)) ٤ / ٨٤.

(٣) ((التفسير والمفسرون)) ١ / ٢٣١.

(٤) انظر: ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير، للدكتور محمد بكر إسماعيل (ص ٥٢) وما بعدها.

فقصة هاروت وماروت، وقصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة وإهباطهما إلى الأرض، وغير ذلك، معظم رواياتهما الموجودة في ((الكشف والبيان)) نقلها المفسرون قبله وبعده^(١).

حتى البغوي الذي اختصر ((الكشف والبيان)) وذكر عنه بعض العلماء أنه صان كتابه مما وقع فيه الثعلبي هو الآخر قد وقع في إسرائيليّات، وموضوعات، وغيرها^(٢).

يقول الدكتور محمد أبو شهبه: والخلاصة أن كتب التفسير ما عدا القليل منها سواء منها ما كان بالمأثور صرفاً، أو غلب عليه المأثور، أو كان بالرأي والاجتهاد، لم تخل غالباً من الإسرائيليات الباطلة، والأحاديث الموضوعة والواهية^(٣).

ثم إن الثعلبي أسند كثيراً من هذه الإسرائيليات بإسناده فيكون قد أبرأ عهده. وإن كان ينبغي عليه أن ينبّه على ما يقتضي التنبيه عليه، مما يمس عصمة الأنبياء، ونحوه.

يقول العلامة القاسمي في مقدمة تفسيره ((محاسن التأويل)) وقد رأيتُ مَنْ يدّعي الفضل الخط من كرامة الإمام الثعلبي - قدّس الله سرّه العزيز - لروايته الإسرائيليات، وهذا وايم الحق من جحد مزايا ذوي الفضل ومعاداة العلم، على أنّه قدّس سرّه ناقل عن غيره، وراوٍ ما حكاها بالأسانيد إلى أئمة الأخبار. وما ذنب مسبوقٍ بقولٍ نقله باللفظ وعزاه لصاحبه؟ فمعاذاً بك اللهم من هزيمة السلف.

وقد رأيتُ له في تاريخ القاضي ابن خلّكان ترجمة عالية أحببتُ إثباتها هنا، تعريفاً بمقامه لدى الجاهل به.. ثم ذكر ترجمته من ((وفيات الأعيان)) ثم قال: والقصد أن الصالحين كانوا يتقبّلون الروايات على علاقتها للملاحظة المارة، لصفاء سريرتهم، فلا ينبغي إلا تنفيذ الموضوع منها، لا الخط من مقامهم وقرض أعراضهم، كيف وقد تلقى الصحابة ومن بعدهم الإسرائيليات وحكّوها، بل بعضهم اقتنى أسفارها، وأدمن مطالعتها، لما استبان له من البشائر النبويّة، وتحقق تحريفهم^(٤).

٣- اعتماده على بعض الروايات الواهية في التفسير:

روى الثعلبي في مقدمة تفسيره ((الكشف والبيان)) تفسير ابن عباس من عدة طرق بإسناده الخاص.

(١) انظر (ص ١٠٦٣) مع هامش التحقيق.

(٢) سبق بيان ذلك في (ص ١٩٤).

(٣) ((الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)) (ص ١٤٧).

(٤) ((محاسن التأويل)) ١/ ٤١، ٤٢.

وقد روى عن ابن عباس الطرق الثابتة عنه. وروى كذلك الطرق الواهية عن ابن عباس. حيث روى عنه أو هي الطرق غليه في التفسير، وهي رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواها عن الكلبي من عدة طرق، من ضمنها أو هي هذه الطرق وهي رواية السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس^(١). وهي سلسلة الكذب كما قال السيوطي. ولذلك عدل عن هذه الرواية ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما من المفسرين. وكان الواجب على الثعلبي العدول عن هذه الرواية وإن كان قد رواها بالإسناد.

ومن الروايات التي اعتمدها الثعلبي وهي واهية عن ابن عباس أيضاً: التفسير الذي يرويه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

قال الحافظ ابن حجر: ومن التفاسير الواهية لوهاه رواها التفسير الذي جمعه موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، وهو قدر مجلدين يُسندُه إلى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وقد نسب ابن حبان موسى هذا إلى وضع الحديث، ورواه عن موسى عبد الغني بن سعيد الثقفي وهو ضعيف^(٢).

ومن التفاسير الواهية كذلك: تفسير مقاتل بن سليمان يرويه عنه أبو عصمة نوح بن أبي مريم، الوضع الذي وضع حديث فضائل القرآن^(٣).

ويمكن الاعتذار للثعلبي بما اعتذر له به في المأخذ الأول، وهو أنه روى هذه التفاسير بالإسناد. وإن كان الأولى بأبي إسحاق أن يكون قد نزه تفسيره عنها.

٤- عدم تبيين الراوي عن ابن عباس وغيره أحياناً:

عرفنا فيما سبق أن الثعلبي روى عن ابن عباس من عدة طرق، منها المقبول، ومنها الساقط الواهي.

والثعلبي يورد في ثنايا تفسيره أقوالاً كثيرة لابن عباس. بدون إسناد، لأنه ذكر أسانيده في مقدمة تفسيره، فيحذف الإسناد كاملاً ولا يذكر حتى الراوي عن ابن عباس، وبهذا لا يدري من أي الطرق عن ابن عباس، هل هو من الطرق الصحيحة؟ أم من غيرها؟ ولا يمكن معرفة ذلك إلا بتخرج الأثر - إن وُجد من يرويه بالسند - وهذا مسلكٌ وعَرٌّ في معرفة الراوي عن ابن عباس.

(١) انظر الأسانيد (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥) وقد تمت هناك دراسة هذه الأسانيد. وذكر أقوال العلماء في رواية الكلبي.

(٢) ((العُجاب في بيان الأسباب)) ١/ ٢٢٠. وانظر تفصيل القول في هذا التفسير عند الإسناد (٤).

(٣) (٤٠).

٥- جمع روايات الثقات والضعفاء في القصة الواحدة، وسوقها مساقاً واحداً دون فصل أو تمييز، حتى لا يُدرى خبر الثقة من غيره:

عند قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رَوْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الثعلبي: روت الرواة بالفاظ مختلفة، فقال بعضهم: لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وناس من الأنصار فجثوا على الركب وقالوا: والله يا رسول الله ما نزلت آية أشد علينا من هذه الآية.. الخ.

قال الثعلبي: وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وابن عباس.. وسرد جماعة من التابعين وأتباعهم.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا الصنيع: وهذا من عيوب كتابه ومن تبعه عليه، يجمعون الأقوال عن الثقات وغيرهم ويسوقون القصة مساقاً واحداً على لفظ من يُرمى بالكذب أو الضعف الشديد، ويكون أصل القصة صحيحاً، والنكارة في ألفاظ زائدة كما في هذه القصة، من تسمية الذين ذكروا، وفي كثير من الألفاظ التي نُقلت، والسياق في هذه بخصوصها إنما هو لبعضهم^(١).



مبالغة بعض المعاصرين في نقد الثعلبي وتفسيره

قام بعض المعاصرين بزم تفسير ((الكشف والبيان)) للثعلبي بعبارات قاسية، وأحكام عامة من يطالعها لأول وهلة يعتقد أن هذا الكتاب لا خير فيه ألبتة.

ومن هؤلاء الدكتور محمد حسين الذهبي، حيث يقول في كتابه ((التفسير والمفسرون)) عن الثعلبي: ليته إذ ادعى في مقدمة تفسيره أنه لم يعثر في كتب من تقدّمه من المفسرين على كتاب جامع مهذب يعتمد، أخرج لنا كتابه خالياً مما عاب عليه المفسرين، ليته فعل ذلك، إذًا لكان قد أراحنا وأراح الناس من هذا الخلط والخطب الذي لا يخلو منه موضع من كتابه^(٢).

ونحن نتمنى كذلك ما تمنّاه الذهبي على الثعلبي، ولكننا لا نوافق الذهبي في أن تفسير الثعلبي لم يخل في موضع منه من ((الخلط والخطب))، ونرى أن هذا الإطلاق مبالغة ظاهرة. فالكتاب في مواضع كثيرة منه قد تضمن علومًا نافعة وفوائد جمّة، وفنونًا متنوعة. كما سبق في بيان منهج المؤلف، وبيان أهمية الكتاب وقيّمته العلمية.

(١) ((العُجاب في بيان الأسباب)) ١/ ٦٥٤. وانظر نحو هذا أيضًا في العُجاب كذلك ٢/ ٦٩٢.

(٢) ((التفسير والمفسرون)) ١/ ٢٣٤.

والدكتور الذهبي لم يستقرئ الكتاب كاملاً حتى يكون حكمه شاملاً، بل حكم على الكتاب من خلال النسخة الأزهرية الناقصة، والتي تنتهي بتفسير سورة الفرقان، وقد ذكر ذلك في كتابه.

وإضافةً إلى الذهبي قام أيضاً بعض المعاصرين بدم الكتاب ونقده، والتزهيد فيه، والخط من قدره^(١).

والحق أنه لا ينبغي إهدار ما في الكتاب من الفوائد الجمّة، والمنافع العظيمة من أجل صنيع لم ينفرد الثعلبي به، بل شاركه معظم المفسرين الذين طُبعت كتبهم، واستفاد منها الناس، ولم يلحقها من الدم والنقد ما لحق ((تفسير الثعلبي)) رغم أن جُلهم قد استفاد منه، ونقل عنه واقتبس منه، ورغم أن الثعلبي تميز عليهم بالإسناد، مثل الزمخشري، والقرطبي، وأبي حيان، وغيرهم^(٢).

ولذلك عندما تقرأ عبارات العلماء المتقدمين الذين هم أقرب إلى الكتاب ومؤلفه وأبصر به ترى البون شاسعاً بين عبارتهم المتأنية الموضوعية، وبين عبارات بعض المتأخرين التي تتسم بالتعميم والعجلة.

فهذا عبد الغافر الفارسي بلديّ الثعلبي يقول عن الثعلبي وتفسيره ((الكشف والبيان)) صاحب التصانيف الجليلة من التفسير الحاوي لأنواع الفوائد من المعاني والإشارات وكلمات أرباب الحقائق ووجوه الإعراب والقراءات^(٣).

ويقول ابن خلّكان عن الثعلبي: صنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير^(٤). وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن بعض كتب التفسير فأجاب عن ذلك وختم جوابه بكلام نفيس حيث قال: وإن كان كل هذه الكتب لا بد أن يشتمل على ما يُنقَد، لكن يجب العدل، بينها، وإعطاء كل ذي حق حقه^(٥).

(١) انظر: ((الإسرائيليات والموضوعات)) لأبي شهبه (ص ١٢٦)، ((الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير)) للدكتور رمزي نعناعة (ص ٢١٥)، ((المفسرون بين التأويل والإثبات)) للدكتور المغراوي ٥/٢، وابن جُزي ومنهجه في ((التفسير)) ٢٤٨/١.

(٢) انظر: الكلام عن أهمية الكتاب، واستفادة العلماء منه، ونقلهم عنه، في أول هذا البحث.

(٣) ((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) (١٩٧).

(٤) ((وفيات الأعيان)) ٩٩/١.

(٥) ((مجموع الفتاوى)) ٣٨٧/١٣.

الفصل الثالث

منهج التحقيق والتنسيق ووصف المخطوطات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج التحقيق والتنسيق. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج التحقيق.

المطلب الثاني: منهج التنسيق

المبحث الثاني: وصف المخطوطات

المبحث الأول: منهج التحقيق والتنسيق

المطلب الأول: منهج التحقيق

أولاً: نسخ المخطوط والمقابلة

- ١- نسخ نسخة الأصل حسب قواعد الخط والإملاء الحديثة، بعد قراءة دقيقة ومتأنية.
- ٢- مقابلة النسخة الأصل بالنسخ الأخرى مقابلة دقيقة، وإثبات أهم الفروق تحاشياً لإثقال الحواشي بما لا فائدة فيه.
- ٣- إذا اقتضى الأمر إثبات شيء من النسخ الأخرى في المتن أثبتناه، ونبهنا على ذلك في الهامش.

- ٤- ذكر التعليقات والحواشي الموجودة على هوامش النسخ الأخرى إن وجدت.
- ٥- وضعنا الآيات القرآنية بين قوسين متركبين هكذا ﴿ ٥ ﴾ ، مع عزوها إلى أماكنها من القرآن الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٦- ترقيم الروايات المسندة الواردة سواء كانت حديثاً أو أثراً، أو قراءة، أو بيتاً من الشعر.
- ٧- وضع رقم الآية المفسرة عند بداية تفسيرها.

ثانياً: تخريج الأحاديث والآثار

- ١- تخريج الأحاديث تخريجاً موسعاً، متبعين ما يأتي: ذكر من أخرجه عن المصنف، أو من طريقه، ثم من تابع المصنف، ثم من تابع شيوخه، وهكذا، ونقدم في ترتيب مصادر التخريج: البخاري، ثم مسلماً، ثم أصحاب السنن الأربعة، والدارمي، ثم الإمام أحمد، ثم البقية على الترتيب الزمني للمصنفين.
- ٢- إن كان الحديث في الصحيحين اكتفينا بعزوه إلى الكتب الستة بذكر اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة والرقم إن وجد، وإن لم يكن فيها توسعنا في تخريجه مستشهدين بأقوال العلماء في رده أو قبوله.

٣- في المتابعات والشواهد لا نذكر - غالباً - الاختلاف في ألفاظ الحديث، ونعبر بدلاً عن ذلك بقول: بمثله، أو بنحوه، أو بمعناه.

ثالثاً: دراسة الأسانيد

١- ترجمة رجال الأسانيد ترجمة موسعة، وقد اتبعنا فيها ما يلي:
- ذكر اسمه كاملاً، ونسبه، وكنيته، وبلده، ووفاته، والخلاف فيها إن وجد، مع ذكر طبقاته إن لم تعرف سنة وفاته.

- إن كان الرجل متفقاً على توثيقه أو تضعيفه، نكتفي بحكم الحافظ ابن حجر في ((التقريب)) مع الإشارة إلى بعض مصادر ترجمته المطولة، وإن كان مختلفاً فيه؛ نحاول ذكر جميع ما قيل فيه إن كانت الأقوال قليلة، أو نختار أهم الأقوال إن كانت كثيرة، ونبدأ بذكر أقوال المعدلين، ثم أقوال المجرحين، ثم نختم بذكر قول الذهبي - إن وجد - ثم قول الحافظ في ((التقريب)). ونعتمد قول الحافظ ثم الذهبي ثم باقي علماء الجرح والتعديل.

وإن اختلفت فيه الأقوال ولم نتمكن من الترجيح نقول: مختلف فيه. وإن لم نجد له ترجمة نقول: لم أجده، وإن اشتبه علينا الاسم ولم نتمكن من تحديده نقول: لم يتبين لي من هو. وننبه أنه بسبب تدليس المصنف في الأسماء كان يصعب علينا التمييز بينها فكان مرة يذكر الراوي منسوباً لجدّه أو لجد جده، أو بالكنية فقط، ابتداءً من أسماء شيوخه إلى من دون الصحابي، علماً بأنه من الممكن أن نجد في الطبقة الواحدة أكثر من راوٍ بنفس الاسم. وأحياناً يذكر المصنف الراوي في موضع باسم مختصر، ثم يذكر الاسم كاملاً في موضع آخر.

- ذكر اسم الرجل فقط إذا تكرر مع ذكر القول الراجح فيه من حيث الجرح والتعديل.
٢- ترجمة الأعلام المذكورة غير رجال الأسانيد في الموضع الأول الذي وردوا فيه؛ مبرزين بعض مناقبهم وفضائلهم.

٣- الحكم على أسانيد المصنف بناء على قواعد مصطلح الحديث بالصحة، أو الحسن، أو الضعف، أو الوضع؛ إلا إن كان في الإسناد رجلاً لم أظفر له بترجمة، أو لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، فإننا لا نحكم على الإسناد خشية أن يكون كذاباً، أو متروكاً، ونقول عوضاً عن ذلك: في إسناده فلان لم نجد له ترجمة، أو لم نجد فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ونبه هنا أن الحكم على الإسناد بالصحة أو الرد لا يعني صحة الحديث أو ضعفه، فهناك أحاديث صحيحة حكمنا عليها بالضعف لضعف إسناد المصنف، وأحياناً نشير إلى وجود طرق أخرى صحيحة للحديث غير طريق المصنف وفي الغالب نترك ذلك إلى تخريج الحديث. فليتبه القارئ لذلك، خاصة عند ذكر الإسرائيليات قد تجد محكوم على الإسناد بالصحة فلا يغرنك ذلك.

٤- المعلقات التي يذكرها المصنف من ثلاثة رواه أو أكثر تعاملنا معها بنفس طريقة الأحاديث المسندة، غير أنها لم تدخل في الترقيم التسلسلي.

أخيراً: قد أفردنا مجلداً كبيراً للأعلام المترجم لهم في كل الكتاب مرتين ترتيباً أبجدياً.

رابعاً: الجانب الفقهي

- عزو الأقوال الفقهية لأصحابها مع دراسة مختصرة عن المسألة - في الغالب - وذكر الاختلاف فيها إن وجد.

خامساً: اللغة

١- توثيق القراءات - وخاصة الشاذة منها - من مظانها من كتب القراءات؛ فإن لم نجدها فيها فمن كتب التفسير التي تُعنى بجمع القراءات.

٢- تخريج الأبيات الشعرية، وعزوها إلى قائلها، مع بيان الفروق بين رواية المصنف ورواية غيره.

٣- شرح الألفاظ الغريبة.

٤- التعريف بالأماكن، والقبائل، والبلدان بإيجاز.

٥- ضبط المشكل من الأعلام أو الألفاظ.

المطلب الثاني: منهج التنسيق والمراجعة:

عندما قامت اللجنة المشرفة على مهمة جمع وتنسيق هذا الكتاب - من خلال تسلم إحدى وعشرين رسالة جامعية نوقشت بجامعة أم القرى قامت بتحقيق الكتاب - اتفقت على منهج عام يطبق على جميع الرسائل ويتوافق مع المنهج الأكاديمي في الجامعات، وذلك حرصاً منها على بقاء جهد الباحثين في هذا العمل الضخم، مع عدم إرهاق القارئ بكثرة التكرار في التراجم والمقدمات التي قام بها كل باحث على حدة، مع وضع قواعد فنية لإخراج الكتاب في حلة

قشبية؛ فأسندت اللجنة هذا العمل إلى ((دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث)) بمدينة الفيوم بمصر، لتقوم به وفق هذا المنهج علمياً وفنياً، وقد سبق للدار جمع كتاب ((البسيط)) للواحدي، والذي كان خمسة عشر رسالة في جامعة الإمام محمد بن سعود.

وسرنا في نهج التنسيق والمراجعة على النحو الآتي:

- توحيد منهج التخريج والحكم على الإسناد على النحو المشار إليه في منهج التحقيق.
- حذف التراجم المكررة والاكتفاء بالترجمة في أول موضع يذكر فيه صاحب الترجمة، والاكتفاء عند تكراره بذكر اسمه ومرتبته من حيث الجرح والتعديل.
- مع إصلاح ما قد يوجد من أخطاء في رجال الأسانيد، وبخاصة وأن الثعلبي ييهم في الأسماء ويدلس كثيراً جداً، وتمت مراجعتها كلها والحمد لله، على قدر المستطاع.
- ترقيم الأحاديث والآثار المسندة في الكتاب كله.
- توحيد المصادر والمراجع المستخدمة في تحقيق الكتاب، ومرفق بها ثبت في نهاية الكتاب مع الفهارس.

- أما بالنسبة لرموز المخطوطات فقد وحدناها في معظم الكتاب ولم يتيسر فعل ذلك في العموم؛ لاختلاف اختيارات الباحث للنسخة الأصل وبعض الأسباب الفنية، لكننا وضحنا رموز كل محقق عند الكلام على النسخ الخطية.

- أما النواحي الفنية فكانت أبرز ما فيها:

- نسخ جميع الآيات القرآنية وفق رسم المصحف.
- ترقيم الآيات على يمين الصفحة بشكل مميز، مع وضع اسم السورة في أعلا الصفحات الفردية، ورقم الجزء من القرآن أعلا الصفحات الزوجية.

تميز الآيات المفسرة فقط بلون أقرب إلى الأحمر.

وكذلك تميز الأحاديث القولية المرفوعة مع وضعها بين أقواس (()).

تميز بعض العناوين الفرعية بالأسود الغامق.

أما في الحاشية:

فتم تمييز كلمات (الحكم على الإسناد) و(التخريج) باللون الأحمر.

تميز الأعلام المترجم لهم بالأسود الغامق، وتميز الكلمات المشروحة بالأسود الغامق.

- تم عمل الفهارس الآتية:

١- فهرس الأرباع.

- ٢- القراءات المتواترة غير حفص.
- ٣- القراءات الشاذة.
- ٤- الأحاديث القولية.
- ٥- الأحاديث الفعلية.
- ٦- الآثار.
- ٧- رجال الإسناد.
- ٨- الأعلام المترجم لهم غير رجال الإسناد.
- ٩- فهرس شيوخ المصنف.
- ١٠- الفرق والأديان.
- ١١- الشعر.
- ١٢- الألفاظ المشروحة لغويًا.
- ١٣- موضوعات القرآن الكريم (وهو مستفاد من كتاب: دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم).
- ١٤- فهرس المصادر والمراجع.
- ١٥- فهرس ترتيب الكتاب ببيان موضع بداية السور والأجزاء والأرباع.

الإصدار الثاني:

كل ما سبق يتعلق بالإصدار الأول، أما هذا الإصدار (الثاني) فقد سرنا على نفس المنهج، ولكن أعدنا مقابلة الرسائل (١، ٣، ٧، ٨، ٩، ١٤) وأضفنا لهذه المجموعة نسخا جديدة لم تكن متوفرة في الإصدار الأول، وكذلك التعليق عليها وإعادة تنسيقها.

أما باقي الرسائل فلم تتعرض لها إلا ببعض التصويبات اليسيرة.

المبحث الثاني

وصف المخطوطات

اعتمد الباحثون في تحقيق الكتاب في الإصدار الأول على عشر نسخ خطية ليس منها نسخة كاملة تماماً، وبيانها كالتالي:

النسخة الأولى: النسخة المحمودية:

وتوجد منها صور في:

أ- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) برقم: (٩٩ تفسير).

ب- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض) برقم: (٣٣٣) أو (٨٩٨ف) ^(١).

ج- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم: (٦٤٣ف) ^(٢).

د- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم: (٥٢٦ف).

وتحتوي هذه النسخة على معظم تفسير ((الكشف والبيان))، حيث تتكوّن من ثلاثة عشر جزءاً، يوجد منها تسعة أجزاء، والباقي ناقص، وتبدأ النسخة من الجزء الأول إلى الجزء الرابع على التوالي، من أول الكتاب إلى نهاية تفسير سورة النساء، ثم الجزء السادس والسابع من الآية (٩٣) من سورة الأعراف إلى نهاية سورة النحل.

ثم الجزء العاشر والحادي عشر من أول سورة الزمر إلى نهاية الطور.

ثم الجزء الثاني عشر: من بداية النجم إلى نهاية المدثر.

ثم الجزء الثالث عشر: من أول سورة القيامة إلى نهاية القرآن.

والنسخة مكتوبة بخط كبير وواضح، وإن كانت الأوراق الأولى منها قد أثرت فيها الرطوبة. والأقواس المحيطة بالآيات القرآنية مكتوبة بخط أحمر، وتوجد بهوامشها شروح وتعليقات بخط يد الناسخ. وقد سجّل الناسخ عقب كل انتهاء جزء تاريخ فراغه من الكتابة.

(١) فهرس المخطوطات والمصورات - التفسير وعلوم القرآن - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٧٨/٢).

(٢) فهرست كتب التفسير في الجامعة الإسلامية (ص ٤٦٥ - ٤٦٦).

وهذه النسخة مسجلة في المكتبة المحمودية بالأرقام التالية: (١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧) تفسير.

عدد أسطرها (١٩) سطرًا. ومسطرتها (١٤×٢١).

وتاريخ النسخ: حوالي سنة (٦٣٠). وفرغ منه ناسخه في ستّ بقين من ربيع الآخر من السنة نفسها.

واسم الناسخ: حامد بن محمد بن حامد الشثري.

- وقد تميزت هذه النسخة بما يلي:

١- أن هذه النسخة مسندة، حيث ورد في أولها إسناد متصل إلى المؤلف، ويزيد قيمة الإسناد أنّه من طريق تلميذ المؤلف المشهور: أبي الحسن الواحدي، عن شيخه.

وهذا الأمر يزيد هذه النسخة توثيقًا وإثباتًا، وقيمةً وأهمية.

٢- تقدّم تاريخ نسخها، وقربه من عصر المؤلف، وتدوين اسم ناسخها وتاريخ الفراغ من كلّ جزء في آخره.

٣- العناية بهذه النسخة، بمقابلتها بنسخة أو نُسخ أخرى، وتصحيحها وتصويبها في الهامش.

٤- ندرة التصحيف والتحريف في هذه النسخة.

٥- وضوح خطها وظهوره، وضبطه وتشكيله. إلا في بعض المواضع التي تأثرت بالرطوبة.

- ويوجد في هذه النسخة سقط في تفسير سورة الفاتحة، حيث سقط جزء كبير من تفسيرها. كما توجد بعض الأسطر فيها طمس إمّا من أثر الرطوبة، أو بسبب اللاصق الطامس الذي وضع على بعض المواضع عند القيام بترميم المخطوطة والعناية بها في المكتبة المحمودية، وكان الأولى بمن رَمَم المخطوطة وأصلحها أن يضع لاصقًا شفافًا يمكن رؤية الكتابة من ورائه.

- واعتمد على هذه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١).

- ورمز لها في هذه الرسائل على التوالي: (الأصل، الأصل، س، م، الأصل، الأصل، ح، الأصل، م، الأصل، ح، ح، الأصل، ب).

النسخة الثانية: النسخة التركيبية (السليمانية):

وهي موجودة في المكتبة السليمانية بتركيا، تحت الرقم (١٠٢) قسم داماد إبراهيم باشا^(١). وتوجد منها صورة في أربعة أفلام ميكرو فيلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وهذه النسخة هي النسخة الوحيدة الكاملة تقريبا لتفسير ((الكشف والبيان)). وتقع في (١٦٧٨) ورقة، وعدد الأسطر (٢٥) سطرا، ومسطرتها (١١×٢١). وخطها جيد وصغير ومتقارب.

وتتكون من أربعة أجزاء في أربعة مجلدات، كل جزء له ترقيم مستقل. وتاريخ نسخها في عام (١١٨٦هـ).

وناسخها هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد، المشهور بعربجي باشا وفي بعض المواضع (عمير بجي) رحمه الله، وقد انتهى من نسخها في يوم السبت خامس عشر شهر الله المحرم سنة ١١٨٦هـ، فهي متأخرة جدا.

وكذا يوجد في هامش بعض الأوراق تصويبات واستدراكات وفي ثانيا أوراق المخطوط خاتم تبين منه ما يلي:

.... وقف... الحاج مصطفى أغا ابن المرحوم الحاج حسين أغا... والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فمن الملاحظ أن هذه النسخة تعاقب عليها عدد من النساخ، وكتبت على فترات مختلفة لاستكمالها.

وتتميز هذه النسخة بأنها النسخة الوحيدة الكاملة تقريبا، ولذلك تم تقسيم الكتاب من قبل اللجنة المنبثقة من قسم الكتاب والسنة على هذه النسخة.

وهذه النسخة يقع فيها تصحيف وتحريف.

إلا أنّها مع ذلك تبقى نسخة هامة، تمتاز بكمالها، وعدم وجود سقط فيها، أو بياض أو مسح.

- واعتمد على هذه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١).

- ورمز لها في هذه الرسائل على التوالي: (ت، أ، الأصل، ت، ت، ت، ك، الأصل، الأصل، ج، الأصل، م، أ، الأصل، الأصل، س، ج).



(١) فهرس مخطوطات مكتبة داماد إبراهيم باشا (ص ٩).

النسخة الثالثة:

- هذه النسخة لا يوجد ما يدل على مصدرها، وهي قريبة من النسخة المصورة من مكتبة أصفهان.
- كذلك لا يوجد عليها تاريخ يوضح الزمن الذي كتبت فيه، ولكنها قد تكون أقرب للمؤلف.
- تبدأ من سورة الأحزاب في منتصف الورقة الأولى، يسبقها ثمانية أسطر من تفسير سورة السجدة، وتنتهي بقوله تعالى: ﴿يَزِينَةُ الْكَوَاكِبِ﴾ الآية السادسة من سورة الصافات.
- عدد أوراقها ثمانية وخمسون، بكل ورقة صفحتان، تبدأ برقم (٣٦٣)، وتنتهي بـ (٤٧٨).
- عدد الأسطر ثلاثة وعشرون سطرًا بكل ورقة، وهو عدد قليل نسبياً؛ مما ترتب عليه زيادة المسافة بين الأسطر، وزيادة عدد الأوراق، والوضوح.
- كتبت النسخة بخط كبير، إلا أن كلماتها غير منقوطة في الغالب، ويوجد بها سقط كثير ومسح وتحريف وإغراب في بعض الألفاظ.
- واعتمد على هذه النسخة كأصل لرسائلته صاحب الرسالة (١٤) فقط، ولم يعتمد عليها أحد غيره لاحتوائها على ما قرر عليه من التحقيق.

النسخة الرابعة: نسخة جاريت يهودا:

- وهي في مجموعة (جاريت يهودا) بمكتبة جامعة برنستون الأمريكية، برقم (٨٠٠)^(١).
- والجزء الأول منها مصوّر على الشريط المصغر (الميكرو فيلم) في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، بنفس الرقم السابق.
- في (٢٧٧) ورقة (لوحة)، وعدد الأسطر (١٧) سطرًا، ومسطرتها (١٧×١١). والخط عربي وواضح، وتاريخ النسخ في القرن السادس أو السابع.
- والجزء الثامن عدد لوحاته (١٨٦) لوحة، وعدد الأسطر (١١) سطرًا ومسطرتها ١٦×١٠ والخط عربي وواضح، وسليمة من الطمس والبياض.
- تاريخ نسخها: في جمادى الآخرة سنة (٦٠٠هـ).

(١) انظر: ((الفهرس الشامل)) ٨٤/١.

- واسم ناسخها: محمد بن يحيى بن محمد بن عبيد الله البغدادي.
 وتمتاز هذه النسخة بما يلي:
 ١- سلامتها من الطمس والبياض.
 ٢- وضوح الخط وشكله.
 ٣- ندرة التصحيف والتحريف فيها.
 ٤- ضبط هذه النسخة ومقابلتها وتصحيحها، ولذلك وضع بعد كل مقطع دائرة منقوطة علامة على المقابلة.
 ٥- ومن أبرز ما تميّزت به هذه النسخة: الدقة في أسماء الرواة والأعلام، وخاصةً رجال الأسانيد.
 - ويؤخذ على هذه النسخة ما يلي:
 ١- وجود سقط في مقدمة المؤلف، حيث تبدأ المقدمة فيها بذكر مصادر المؤلف، وما قبلها ساقط.
 ٢- حذف كلمة (قال) عند تتابع الأقوال، والاقتصار على ذكر الاسم وبعده القول. وهذا تصرّف من الناسخ أساء به إلى هذه النسخة القيّمة.
 ٣- عدم ترتيب بعض أوراق المخطوط وتسلسلها، وتداخل صفحاتها.
 ٤- عدم تصدير الآية بعبارة (قوله عز وجل) قبل تفسيرها، وحذف هذه العبارة ونحوها خلط تفسير الآيات بعضها ببعض دون تمييز بين آية وأخرى.
 - واعتمد على هذه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢١).
 - ورمز لها في هذه الرسائل على التوالي: (ج، الأصل).

النسخة الخامسة: نسخة شستربتي:

وهي من مكتبة شستربتي في ((أيرلندا الشمالية - دبلن))، ورقمها هناك (٣٨٧٦، ٣٩٠٣). وتشمل المجلد الأول من التفسير ويحتوي على تفسير سورتي الفاتحة والبقرة ويقع في (٣٤٩) ورقة.

وتاريخ النسخ (٦٩٩هـ) ولا يُعرف الناسخ^(١).

(١) ((الفهرس الشامل)) ١/ ٨٥.

وعدد الأسطر (٢١) سطرًا، ومسطرتها (٢٤×١٤) وخطها نسخي جيد، وفي هامشها تصويبات كثيرة.

وهذا الجزء مصوّر على شريط مصغر (ميكرو فيلم) في معهد البحث العلمي بجامعة أم القرى، برقم (٣٢٨) تفسير وعلوم قرآن. وتتميز هذه النسخة بوضوح خطها كما أنها سليمة من النقص والسقط والبياض، إلا أنه يعيبها كثرة التصحيف والتحريف فيها.

- واعتمد على هذه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ١٥).

- ورمز لها في هذه الرسائل على التوالي: (ش، ش، ج).

النسخة السادسة:

نسخة موجودة في مكتبة دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٩٧) تفسير، توجد منها صورة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، على ميكرو فيلم رقم (١١٤٧) تفسير، وهي تحوي الجزء المراد تحقيقه كاملاً:

وخطها: نسخ معتاد، وعدد أوراقها (٢١١) ورقة، من أول سورة الشعراء إلى تفسير قوله: (هم الذين كفروا وصدوكم...) من سورة الفتح، وعدد الأسطر (٣١) سطرًا، ومقاسها (٢٥/١١) سم، وتاريخ نسخها واسم ناسخها، كلاهما غير معروف.

وهذه النسخة كلماتها غير واضحة في كثير من المواضع، ويوجد بها تحريجات، وألفاظ التحديث فيها مختصرة كالنسخة المحمودية، ولا يوجد بها سقط في الغالب.

- واعتمد على هذه النسخة صاحب الرسائل (١٥) فقط، وقد رمز لها بالرمز (ب).

النسخة السابعة: المغربية:

وهي نسخة موجودة في مكتبة الخزانة العامة، بمدينة الرباط، في المغرب، ولها مصورة في الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، تحت رقم (٣٠٤٣) تفسير.

وعدد أوراق المجلدة (٢٩٥) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٢) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٢) كلمة تقريبًا.

وناسخ هذه النسخة هو: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن عبد الله بن سهلويه رحمه الله، وقد انتهى من نسخها في سلخ ربيع الأول سنة ٤٣٠ هـ، بعد وفاة المؤلف بثلاث سنوات، وثلاثة أشهر.

وهي نسخة قيمة، لقربها من عصر المؤلف، مكتوبة بخط واضح مقروء وكبير، وبها ضبط بالشكل للآيات، وكثير من الأعلام، وفيها دقة، وتحرير.

- واعتمد على هذه النسخة أصحاب الرسالتين (٤، ٥).

- ورمز لها برمز (الأصل).

النسخة الثامنة: النسخة الفرنسية:

ومصدرها: المكتبة الوطنية، في باريس^(١). ورقمها: (٥٩٥).

وتحتوي هذه النسخة على جزء من التفسير يشمل تفسير سورة الفاتحة، وسورة البقرة إلى الآية (٢٧٧). وعدد أوراق هذا الجزء: (٣٢٨) ورقة. وعدد الأسطر: (٢١) سطرًا، ومسطرتها: (٢٣×١٥). وخطه: جيد وواضح. ولكن النقط ممسوح أحيانًا. وتاريخ النسخ: في القرن الثامن.

وهذا الجزء مصوّر في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - قسم المخطوطات - على فيلم رقمه (٨٩٩٨).

وهي سليمة من السقط والبياض، ولكنها كثيرة التصحيف والتحريف.

- واعتمد عليها صاحب الرسالة (١) فقط، ورمز لها بالرمز (ف).

النسخة التاسعة: نسخة المكتبة الأزهرية:

وهي نسخة من مكتبة الأزهر مرقومة برقم (١٣٦) تفسير في أربع مجلدات وتنتهي في أثناء سورة الفرقان وعدد أوراق الجزء الأول (٢٩٧) والثاني (١٩٠) والثالث (١٣٤٩) والرابع (٢٣١) ومسطرتها ٢٢ سم وخطها نسخ جيد واضح إلا أن بها خروما وآثار رطوبة.

(١) ((الفهرس الشامل)) (١/ ٨٥).

الجزء الثاني ويبدأ من قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ﴾: [البقرة: ١٨٧] إلى نهاية السورة، وتوجد في المكتبة الأزهرية برقم (٣١٣) [٥٥٦١] (١). وله صورة في:

مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، برقم: (١١٧٩) تفسير (٢).

وخطها نسخ واضح، بقلم معتاد قديم بها تلوين، وآثار حرق، وخروم، وفي هامشها تصحيحات وتعليقات، ويبدو أنها قرأت وصححت على النسخة المحمودية.

اسم الناسخ: محمد بن يوسف بن عيسى الأشموني.

تاريخ نهاية النسخ: يوم الخميس العاشر من صفر سنة (٧٤٠هـ).

عدد الأوراق: (١٧٧) لوحة، أي (٣٥٤) صفحة.

عدد الأسطر: (٢١) سطرًا. والمسطرة (٢٥×١٧).

- واعتمد على هذه النسخة أصحاب الرسائل: (٢، ٩، ١٠).

- ورمز لها في هذه الرسائل بالرمز (ز).

النسخة العاشرة: نسخة المسجد النبوي:

وتوجد في مكتبة المسجد النبوي، قسم المخطوطات، وتقع في خمسة أجزاء:

الجزء الأول: ويبدأ من أول الكتاب إلى نهاية تفسير سورة البقرة. ورقمه (٣٦ / ٢١٢) وعدد أوراقه (١٤٦).

والثاني: يشتمل على تفسير سورة آل عمران. ورقمه (٣٧ / ٢١٢) وعدد أوراقه (١٧٠).

والثالث: يشتمل على تفسير سورة النساء والمائدة والأنعام. ورقمه (٣٨ / ٢١٢) وعدد أوراقه (٢٨٢).

والرابع: ويبدأ من تفسير سورة الأعراف إلى نهاية تفسير سورة النحل ورقمه (٣٩ / ٢١٢) وعدد أوراقه (١٦٨).

(١) فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية ٢٨٥ / ١ وانظر الفهرس الشامل ٨٦ / ١.

(٢) فهرس علوم القرآن المصورات بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ٢٣٥ / ٢.

والخامس: يبدأ من أول تفسير سورة الإسراء إلى نهاية سورة الشعراء ورقمه (٢١٢/٤٠) وعدد أوراقه (٢٦٠).

ولا يعرف تاريخ النسخ ولا الناسخ.

وخطها دقيق وصغير، ومتقارب تقارباً يؤدي أحياناً إلى اختلاط الكلام ببعضه ببعض. كما أنها لم تسلم من التصحيف والتحريف.

- واعتمد على هذه النسخة أصحاب الرسائل: (١، ٢، ٣، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢).

- ورمز لها في هذه الرسائل بالرموز: (ن، ح، ن، ن، م، ب، ب، ح).

النسخ الخطية المضافة لهذا الإصدار:

* مكتبة الفاتح: من أول الأنبياء - إلى آخر الأحزاب

وهي نسخة موجودة في مكتبة الفاتح، تحت رقم (٣٩٨) وهي المجلد الخامس من هذه النسخة.

وعدد أوراق المجلدة (٢٥٩) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٥) سطراً تقريباً، وفي كل سطر أكثر من (١٠) كلمات تقريباً.

والناسخ غير موجود لفقدان الصفحات الأخيرة من المجلد.

* مكتبة الفاتح: من الواقعة - إلى آخر الكتاب

وهي نسخة موجودة في مكتبة الفاتح، تحت رقم (٣٩٩) وهي بخط مختلف عن المجلد السابق.

وعدد أوراق المجلدة (١٦٤) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢١) سطراً تقريباً، وفي كل سطر أكثر من (١٣) كلمة تقريباً.

وناسخ هذه النسخة هو: شعيب بن عبد السلام الجزولي المغربي. سنة اثنين وثمانين وسبع (٧٨٢). بخط معتاد فيه أثر الخط المغربي.

* مكتبة شهيد علي: من البقرة (٢٥٦) - إلى آل عمران (١٠١)

وهي نسخة موجودة في مكتبة شهيد علي، تحت رقم (١٥٥)، وهو المجلد الثاني من هذه النسخة.

وعدد أوراق المجلدة (١٤٢) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٠) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٠) كلمة تقريبًا.

بدون ناسخ.

وقد رمز لها بالرمز (ع).

* مكتبة شهيد علي: من سبأ - إلى آخر الكتاب

وهي نسخة موجودة في مكتبة، تحت رقم (١٥٦) وهي مختلفة عن السابق.

وعدد أوراق المجلدة (٢٠٠) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٣٠) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٨) كلمة تقريبًا.

وناسخ هذه النسخة هو: أحمد بن محمود... بن خالد الحاجي السقرباطي، سنة (٥٩٣ هـ).

وقد رمز لها بالرمز (ع).

* مكتبة جامعة استنبول: من الفتح - إلى التغابن

وهي نسخة موجودة في مكتبة جامعة استنبول، تحت رقم (١٨١١).

وعدد أوراق المجلدة (٨٨) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٣) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٢) كلمة تقريبًا.

والناسخ غير موجود لفقدان الورقة الأخيرة.

* مكتبة خاربوت: من الأنعام - إلى الكهف

وهي نسخة موجودة في مكتبة خاربوت، تحت رقم (١٥٨).

وعدد أوراق المجلدة (٢٣٦) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٧) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٤) كلمة تقريبًا.

والناسخ غير موجود لفقدان الورقة الأخيرة.

* مكتبة يوزغارت: من الأول - النساء ١٧٧

وهي نسخة موجودة في مكتبة يوزغارت، تحت رقم (٩٤ / ٩٦٧).

وعدد أوراق المجلدة (٣١٨) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٣٠) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٦) كلمة تقريبًا.

وتاريخ النسخ هو: (سنة ١٠٠١).

وقد رمز لها بالرمز (ي).

* مكتبة يوزغارت: من آل عمران (وسارعوا) - إلى التوبة (أرضيتم) وهي نسخة موجودة في مكتبة يوزغارت، تحت رقم (٩٤ / ١٩٣). وعدد أوراق المجلدة (٣٠٠) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٧) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٢) كلمة تقريبًا. وبدون تاريخ أو ناسخ. وقد رُمز لها بالرمز (ي).

* ولي الدين أفندي: من الأول - إلى آخر المائدة وهي نسخة موجودة في مكتبة ولي الدين أفندي، تحت رقم (٤١٠٩). وعدد أوراق المجلدة (٤٩٠) لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٥) سطرًا تقريبًا، وفي كل سطر أكثر من (١٠) كلمات تقريبًا. وبدون تاريخ أو ناسخ. وقد رُمز لها بالرمز (و).

تقسيم الرسائل بحسب ترتيب المصحف في الإصدار الأول

١- من الفاتحة- البقرة ١-١٧٦

٢- من البقرة ١٧٧- آخر السورة

٣- من آل عمران

٤- من النساء- آخر المائة

٥- الأنعام

٦- من الأعراف - الأنفال

٧- من أول التوبة - يونس

٨- من هود - الرعد

٩- من إبراهيم - الإسراء

١٠- من الكهف - مريم

١١- من طه - آخر الحج

١٢- من المؤمنون - الشعراء

١٣- من النمل إلى السجدة

١٤- من أول الأحزاب- يس

١٥- من الصافات - غافر

١٦- من فصلت - الفتح

١٧- من الحجرات - الرحمن

١٨- من الواقعة - الجمعة

١٩- من المنافقون - المزمل

٢٠- من المدثر - الفجر

٢١- من البلد- الناس

وقد أعدنا مقابلة الرسائل (١، ٣، ٧، ٨، ٩، ١٤) وأضفنا لهذه المجموعة النسخ الجديدة التي لم تكن متوفرة في الإصدار الأول، وكذلك استخدمنا فيها بعض النسخ الأولى التي استخدمت في بعض الأجزاء. وكذلك التعليق عليها وإعادة تنسيقها.